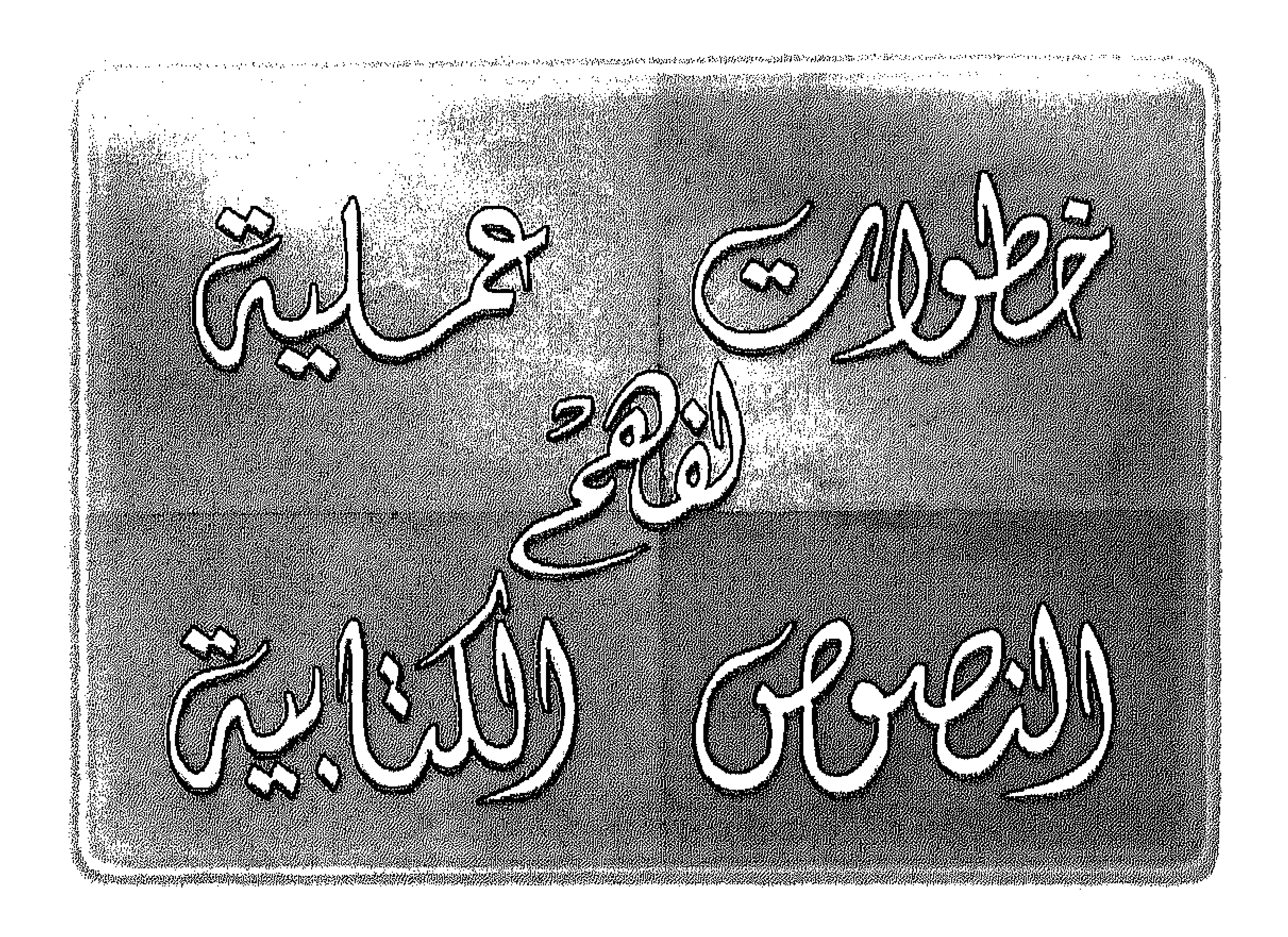
خطوات عملية لفهم النصوص الكتابية

تأليف: جوردن في - دوجلاس ستيورت





تاليف: جوردن في - دوجلاس ستيورت

Originally published in the U.S.A. under the title
HOW TO READ THE BIBLE FOR ALL ITS WORTH

توزيع دار الكتاب المقدس - مصر ت: ٢٦٣٨٣٣٢٠
صدر سابقاً باللغة العربية تحت اسم "القيمة الكاملة"
١ ش الدكتور على فهمي الزناتي - هليوبوليس
ص.ب ٥٢٧٧ هليوبوليس غرب - كود ١١٧٧١
طبع بمطبعة قطار
خطوات عملية لفهم النصوص الكتابية
الطبعة الثانية ٤/٢٠٠٨
رقم الإيداع بدار الكتب: ٢٠٠٨/٨٦١١
الإعداد الفني والجمع التصويري بدار الكتاب المقدس - مصر

Practical Steps to understand types of literatures of the Bible
I.S.B.N 978 - 977 - 230 - 339 - 4 2nd Print 2008(3K)
Printed in Egypt

المحتويات

الفصل الثامن

الفصل التاسع

الفصل العاشر

الفصل الحادي عشر

الفصل الثاني عشر

الفصل الثالث عشر

ملحق

تمهيد

هناك الكثير من الكتب التي تتحدث عن «كيفية فهم الكتاب المقدس». بعض منها جيد تمت كتابته على يد علماء في الكتاب المقدس. وهي تعالج هذا الموضوع بطرق مختلفة تُمكِّن المرء من استخدامها في دراسة الكتاب المقدس، بينما تحاول كتب أخرى أن تكون كتبًا تمهيدية في أصول «علم التفسير» للشخص الدارس. أما هذا الكتاب فهو ليس مجرد كتاب آخر حول كيفية فهم الكتاب المقدس- كما نأمل. **بل هناك عدة أوجه تميز ما نحاول تقديمه في هذا الكتاب:**

فالاهتمام الأول لهذا الكتاب هو فهم أنواع النصوص المختلفة التي يشتمل عليها «الكتاب المقدس»؛ لأنه من المؤكد بأنه يوجد اختلاف حقيقي بين مزمور من المزامير، وبين رسالة من الرسائل. إن اهتمامنا هو مساعدة القارئ على قراءة ودراسة المزامير كأشعار، والرسائل كخطابات. آملين قدرتنا على تبيان أهمية هذه الاختلافات وكيفية تأثيرها على أسلوب قراءتنا وفهمنا، للوصول بالقارئ إلى قدرة على القراءة بفهم، والاستفادة من أجزاء الكتاب المقدس بما يتناسب مع يومنا الحاضر.

٢ لقد قام على تأليف هذا الكتاب أستاذان من أساتذة كليات اللاهوت وهما يؤكدان من خلال صفحاته على أننا مدعوون وباستمرار لا لأن نكون مجرد دارسين أكاديميين، بل لأن نجاهد لفهم كيفية تطبيق الكتاب المقدس.

٣ كما أن الكثير من المشكلات الملحَّة في فهم الكتاب المقدس اليوم هي تلك التي تسعى إلى سد الفجوة بين «آنذاك وهناك» العائدتين إلى النص الأصلي وبين «الآن وهنا» المتعلقتين بأوضاع حياتنا نحن. بمعنى آخر سد الفجوة بين ما فهمه القراء الأصليون الذين وجه إليهم الكتاب ضمن زمانهم وظروفهم، وبين ما يعنيه لنا النص نحن الآن وفي ظروفنا المعاصرة.

فلا شيء يمكن أن يجعل الأمر جافًا بلا حياة كجعل دراسة الكتاب المقدس مجرد دراسة أكاديمية تعتمد على التحقيق التاريخي. لأن كلمة الله التي أعطيت لقرائها أصلاً ضمن إطار تاريخي واضح ومحدد، متميزة في كونها كلمة حية وفعالة على الدوام.

نحن نؤمن بأن كلمة الله التي أعطيت لأولئك الذين كتبت لهم في الأصل هي بعينها كلمة الله لنا اليوم؛ لذلك تنتظرنا مهمتان:

الأولى: البحث عن ما عناه النص في الأصل (آنذاك وهناك). وتسمى هذه المهمة بالتفسير الاستنتاجي للنص (Exegesis).

الثانية: في تعلُّم تطبيق ذلك المعنى ذاته في مختلف البيئات والظروف والمواقف من حولنا هذه الأيام (الآن وهنا). ونطلق على هذه المهمة اسم التفسير الحياتي (Hermeneutics).

لذلك ابتداءً من الفصل الثالث حتى نهاية الفصل الثالث عشر نرى الفصول التي تعالج بالترتيب عشرة أنواع من النصوص الكتابية المختلفة، أولينا الاهتمام

بالمهمتين السالفتين. وحيث أن التفسير الاستنتاجي للنص هو دائمًا المهمة الأولى فقد تم التشديد فيه على تميز كل أنواع النصوص الأدبية الواردة في الكتاب المقدس. وسر التفسير الجيد يكمن في تعلُّم طرح الأسئلة الصحيحة لكل نوع من هذه الأنواع. مثال:

ما هو المزمور؟

وما هي أنواع المزامير؟

ما هي خصائص الشعر العبري ؟

وكيف يؤثر كل هذا على فهمنا ؟

ستجد في هذا الكتاب بعض الإرشادات العملية في هذا الشأن. مع أنه في بعض الأحيان يحتاج الدارس للرجوع إلى المختصين من رجال الدين. أما بالنسبة للمهمة الثانية والمعنية بالتفسير الحياتي فهي تركز على كيفية عمل كلمة الله في حياتنا الآن. مثال:

ما الذي يريد الله قوله لنا الآن؟

ما الذي يجب أن نتعلمه؟

وكيف علينا أن نطيع؟

بالنسبة لهذه المهمة لن تجد قواعد محددة للسلوك، لأن ما قُدم هنا هو إرشادات واقتراحات ومساعدات فقط.

كل مؤلف من الاثنين مسئول عن الفصول التي تندرج ضمن نطاق اختصاصه. فالأستاذ «جوردن في» كتب الفصول ١-٤، ٦-٨ و١٣ بينما كتب الأستاذ «دوجلاس ستيوارت» الفصول ٥، ٩-١٢ بالإضافة إلى أن لكل مؤلف منهما

إسهامًا هامًا في الفصول التي كتبها زميله، لذلك يعد هذا الكتاب بالفعل جهدًا مشتركًا. لكن قد يلاحظ القارئ المنتبه إلى أن لكل مؤلف أسلوبه الخاص وطريقته في تقديم مادته. ونحن بدورنا نقدم شكرًا خاصًا لكل مَنْ ساهم في هذا العمل وقدم نصائح مفيدة وهم: فرانك ديريمر، بيل جاكسون، جودي بيس، مودين، شيريث وكريج وبريان في وطاقم السكرتارية، وكاري بويل وهولي جرينج.

ونحن نستعيد كلمات ذلك الطفل التي حركت القديس أوغسطينوس لقراءة مقطع من رسالة رومية Tolle Lege وهي تعني "خذ واقرأ". ندعوك إلى قراءة الكتاب المقدس كلمة الله الأبدية. اقرأه، افهمه، وأطعه.



مقدمة

الحاجة إلى التفسير

الفصل الأول

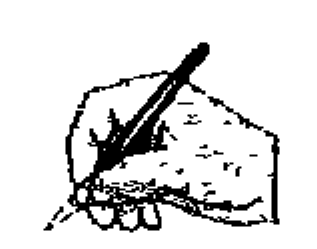
مقدمة

الحاجة إلى التفسير

- القارئ كمفسر.
- طبيعة الكتاب المقدس.
- المهمة الأولى: التفسير الاستنتاجي للنص.
- تعلم القيام بالتفسير الاستنتاجي.
- المهمة الثانية: التفسير الحياتي.

قد تقابل بين الحين والآخر شخصًا يقول: «أنت لست مجبرًا على إعطاء تفسير للكتاب المقدس، فقط كل ما عليك فعله هو قراءته وتتميم ما يقوله». هذه واحدة من الطرق التي يُعبِّر بها الناس عن رأيهم بأن الكتاب المقدس ليس كتابًا غامضًا أو مبهمًا. ويزيدون قائلين بأن أي شخص قادر على قراءته وفهمه، وأن المشكلة هي عند بعض الوعاظ والمعلمين الذين ينقبون ويبحثون كثيرًا لدرجة عقدت الأمور، فما كان واضحًا عند القراءة لم يعد كذلك.

هذا الاعتراض يحمل في طياته الكثير من الحق. فنحن نعترف بضرورة تعلُّم كل شخص قراءة الكتاب المقدس وتصديقه وطاعته. كما نعترف أيضًا بأن الكتاب المقدس لا ينبغي أن يشوبه أي غموض أو إبهام إذا ما قُرئ ودُرس بالشكل الصحيح. نعترف بحقيقة المشكلة الكبيرة التي يعاني منها الكثير من الناس مع الكتاب المقدس وهي ليست عدم فهمهم للكتاب بل عدم طاعته وتنفيذه! فعلى سبيل المثال: المشكلة في نص كتابي كهذا «افعلوا كل شيء بلا دمدمة ولا مجادلة» (في ٢: ١٤) (ت.ف) ليست في عدم فهم هذا النص، بل في عدم إطاعته– أي في وضعه موضع التنفيذ.



إن الغاية من التفسير السليم بسيطة وهي: إدراك «المعنى الواضح للنص» المعنى الذي يعطي ارتياحًا للذهن ويلمس القلب.

نحن نتفق مع الرأي القائل بأن الواعظ أو المعلم كثيرًا ما يكون ميالاً إلى التعمق في دراسة النص لدرجة يحجب فيها معنى النص الواضح. بكلمة أخرى نقول بأن هدف التفسير السليم ليس في اكتشاف معنى فريد أو في محاولة اكتشاف أمر لم يسبق لأحد اكتشافه! وغالبًا ما تكون مثل هذه التفاسير غير صحيحة. كما أنه لا يعني أيضًا إعطاء تفسير لنص ما قد لا يبدو في كثير من الأحيان فريدًا من نوعه بالنسبة لشخص يسمعه للمرة الأولى في الحقيقة، ما نريد قوله هو أن التفرد ليس هدف التفسير.

لكن الغاية من التفسير السليم بسيطة وهي: إدراك «المعنى الواضح للنص» المعنى الذي يعطي ارتياحًا للذهن ويلمس القلب.

ولكن السؤال الآن هو: إذا كان الوصول إلى المعنى الواضح هو وظيفة التفسير فما هي الحاجة إلى التفسير؟ ولماذا لا نكتفي بالقراءة وحسب؟ ألا يتضح

المعنى من مجرد القراءة؟ نعم، لكن من زاوية واحدة. وبصورة أدق، فإن هذا المعنى غير واقعي دائمًا وهذا عائد لعاملين: الأول طبيعة القارئ، والثاني طبيعة الكتاب المقدس.

القارئ كمفسِّر

كل قارئ للكتاب المقدس هو مفسر له في الوقت ذاته شئنا أم أبينا. بمعنى أن معظمنا نفترض أثناء قراءتنا للكتاب بأننا نفهم ما نقرأ. كما نميل أيضًا للاعتقاد بأن فهمنا لما نقرأ هو مطابق تمامًا لما قصده الروح القدس.

من ناحية ثانية، فإننا دون أي استثناء لأحد كلنا نأتي إلى النص الكتابي بكل ما نحن عليه، فنُدخل عليه تجاربنا وثقافتنا ومفاهيمنا المسبقة للكلمات والأفكار. وهذا ما يقودنا طبعًا - وبدون قصد - بعيدًا عن الصواب، أو يجعلنا نقرأ في النص كل أنواع الأفكار غير الموجودة فيه أصلاً.

فعلى سبيل المثال: فإن معظم البروتستانت والأرثوذكس والكاثوليك عندما يقرأون عن العبادة في الكنيسة، يتصورون بشكل آلي أناسًا جالسين في بناء مملوء بالمقاعد الخشبية الطويلة كالتي يجلسون هم عليها في كنائسهم. أو مثلاً عندما يقول بولس الرسول: «... ولا تصنعوا تدبيرًا للجسد لأجل الشهوات» (رو ١٣: ١٤)، فإن بعض الناس يظنون بأن كلمة الجسد هنا تعني «الجسم» وبأن الرسول بولس يتحدث عن الأمور الطبيعية التي ترغبها أجسامنا؛ لكن كلمة «جسد» حسب المعنى الذي قصده بولس، قلما تشير إلى الجسم البشري بل على العكس تشير هنا إلى «الطبيعة الخاطئة» في الإنسان.

هنا نرى أنه وعن غير قصد قد قام القارئ بتفسير ما قرأه لنفسه، تفسيرًا قد يكون في معظم الأحيان غير سليم.



هذا الكلام يقودنا إلى ملاحظة أبعد من ذلك، وهي أن قارئ الكتاب المقدس، المترْجَم إلى واحدة من اللغات المعاصرة قد يجد نفسه داخل دائرة التفسير؛ لأن الترجمة في حد ذاتها شكل (ضروري) من أشكال التفسير. فالكتاب المقدس، ومهما كانت اللغة التي تقرأه بها، والذي هو نقطة «البداية» بالنسبة لك، هو في الحقيقة نقطة «النهاية» لعمل كبير قام به علماء ودارسو الكتاب المقدس. فالمترجمون مطالبون باستمرار بتبني خيارات تتعلق بالمعاني، لأن خياراتهم هذه ستؤثر في كيفية فهمك لما نقلوه.

فعلى سبيل المثال بعض الطوائف تؤمن بعقيدة الاختيار وأخرى لا تؤمن به. وكذلك كنائس تؤمن بمُلك المسيح الألفي حرفيًا على الأرض وأخرى تؤمن بملك المسيح الروحي، وهناك مَنْ ينادي بالضمان الأبدي وبالمقابل هناك مَنْ ينادي بإمكانية فقدان الخلاص.

وكل طائفة تدّعى بأن اعتقادها هو المعنى الواضح للنصوص الكتابية، مع أننا جميعًا نقرأ الكتاب المقدس ذاته وجميعنا يحاول أن يكون طائعًا لما يعنيه النص بوضوح.

حتى أن كل هرطقة أو ممارسة قد تخطر على بال، ابتداء من الأريوسية «التي تنكر لاهوت المسيح» والتي يعتنقها شهود يهوه، وما يطلق عليهم اسم الطريق، وأيضًا جماعة طائفة المورمون، والمتعاملين مع الأفاعي عند الطائفة الأباكية. جميع هذه الهرطقات وغيرها تدّعي وجود نص كتابي يدعم معتقداتها.

وسط كل هذه الأفكار المتباينة، سواء من داخل الكنيسة أو من خارجها، ووسط كل هذه الاختلافات حتى بين علماء الكتاب المقدس أنفسهم، الذين يفترض بهم الإلمام بالقواعد، لا عجب إذا اكتفى البعض منهم بمجرد القراءة دونما الحاجة إلى التفسير. لكن، وكما سبق ورأينا فهذا خيار غير حقيقي. فالدواء الصحيح لمعالجة التفسير الرديء لا يكون بتجاهل أو برفض للتفسير، بل بتقديم تفسير سليم.

إن مؤلفي هذا الكتاب لا يفترضا اتفاق الجميع في النهاية على «معنى واضح» أو على معنى وضعاه مسبقًا في حال قرأت واتبعت تعليماتهما. إن ما يرجوانه زيادة حس القارئ لمشاكل معينة متضمنة في كل نوع من أنواع النصوص الكتابية ولفت نظر القارئ إلى سبب وجود عدة خيارات، سببها وكيفية الحكم عليها، تمكين القارئ من تمييز التفسير الجيد مما هو دون المستوى المطلوب من التفاسير.

طبيعة الكتاب المقدس

هناك سبب هام أكد الحاجة إلى التفسير وهو يكمن في طبيعة الكتاب المقدس نفسه. لأنه تاريخيًا، فهمت الكنيسة طبيعة الكتاب المقدس بالطريقة نفسها التي فهمت بها طبيعة شخص المسيح – فالكتاب المقدس ذو طبيعة ثنائية فهو كتاب إلهي وبشري في آن واحد. وهذه الطبيعة الثنائية تقتضي منا القيام بمهمة التفسير.

إن الكتاب المقدس ذو طبيعة ثنائية فهو كتاب إلهي وبشري في آن واحد. وهذه الطبيعة الثنائية تقتضي منا القيام بمهمة التفسير.

ولأن الكتاب المقدس هو كلمة الله، فهو ذو قيمة أبدية إذ يتكلم إلى كل البشر في جميع العصور وسائر البيئات. ولأنه كلمة الله، فواجبنا نحوه هو الإصغاء إليه وطاعته. وحيث إن الله اختار أن يتكلم بكلمته إلينا من خلال كلمات البشر عبر التاريخ فلكل سفر في الكتاب المقدس ملامحه التاريخية الخاصة، وكل سفر محدد باللغة والزمان والبيئة التي كُتب فيها أصلاً. وما يحتم ضرورة تفسير الكتاب المقدس هو ذلك التوتر السائد بين القيمة الأبدية (ما هو إلهي) والملامح التاريخية (ما هو بشري).

هناك مَنْ يعتقد أن الكتاب المقدس هو مجرد كتاب بشري، ويحتوي فقط على كلام بشر عبر التاريخ. عند مثل هؤلاء تكون مهمة تفسير الكتاب مقتصرة على التحقيق التاريخي فقط. كما ينصب اهتمامهم على الأفكار الدينية التي كانت عند اليهود، أو عند يسوع، أو عند الكنيسة الأولى. والمهمة بالنسبة لهم هي بحث تاريخي محض في ما كانت تعنيه الكلمات لأولئك الذين كتبوها. وما الذي اعتقدوه عن الله، وكيف كانوا يفهمون أنفسهم.

من جهة أخرى، هناك مجموعة تُقدِّر الكتاب المقدس وتنظر إليه من حيث قيمته الأبدية فقط. فلأنه كلمة الله، هم يميلون إلى الظن بأنه مجموعة من الافتراضات التي ينبغي الإيمان بها والأوامر الواجب إطاعتها، على الرغم من وجود انتقائية واضحة واختيارات من بين تلك الافتراضات والأوامر.

لكن الكتاب المقدس ليس سلسلة من الافتراضات والأوامر، أو بكل بساطة تجميعًا لأقوال الله وكأنه ينظر من السماء إلينا في الأسفل ويقول: «انتبهوا يا أهل الأرض تعلموا الحقائق التالية» أولاً: «ليس إله غيري وأنا هو هذا الإله». ثانيًا: «أنا خالق كل الأشياء، بما فيها بنو البشر» وهكذا... حتى يصل إلى الافتراض رقم ٧٧٧٧ والأمر رقم ٧٧٧.

مع أن كل الأقوال السابقة حقيقية وواردة في الكتاب المقدس (وإن اختلفت في الشكل)، ولربما لو كانت كذلك، كان في الواقع يمكن لكتاب مثل هذا أن يُسهِّل علينا الكثير من الأمور. لكن لم تكن هذه الطريقة هي التي اختارها الله للتحدث إلينا. بل بدلاً من ذلك، اختار الله أن يقول حقائقه الأزلية ضمن إطار ظروف وأحداث فعلية حدثت في تاريخ البشر. وهذا سبب يبعث فينا الأمل؛ لأن الله اختار بالتحديد التكلم من خلال التاريخ البشري الحقيقي. لذلك يمكننا أن نتشجع وأن نثق بأن تلك الكلمات عينها ستتحدث ثانية وثالثة وباستمرار في تاريخنا الفعلي تمامًا كما سبق وتحدثت عبر تاريخ الكنيسة.

إن حقيقة وجود جانب إنساني للكتاب المقدس هي بمثابة دعوة لنا وسبب حاجتنا للتفسير. ولذلك علينا ملاحظة:

١ تم التعبير عن كلمة الله من خلال مفردات وأفكار أشخاص فعليين في ظروف متنوعة، وعلى مدى ١٥٠٠ سنة، وبالارتباط ببيئة وثقافة تلك الأزمنة والظروف. ما نريد قوله هو أن كلمة الله لنا اليوم كانت أولاً كلمة الله لهم. إذ كان لابد لها من أن تأتي فقط من خلال أحداث ولغة يمكنهم فهمها هم أنفسهم. والمشكلة اليوم هي أننا منفصلون عنهم كثيرًا من حيث الزمن، وأحيانًا من حيث الفكر. وهذا سبب رئيسي يحتاج القارئ لأجله لأن يتعلم كيف يفسر. فإن كان لكلمة الله شأن بارتداء النساء ملابس الرجال، أو بناء الناس أسوارًا حول سطوح بيوتهم – إن كان لهذه الكلمة أن تتحدث إلينا، فعلينا أولاً معرفة ما عنته لأولئك الذين وجهت إليهم في الأصل – ولماذا.

وهكذا فإن مهمة التفسير يشترك فيها الدارس والقارئ معًا على صعيدين:

أولاً: صعيد محاولة فهم ما قد قيل للأقدمين في زمانهم ومكانهم (آنذاك وهناك).

وثانيًا: صعيد تعلُّم سماع وفهم الكلمة ذاتها في الزمان والمكان الحاليين (الآن وهنا). وسنتوسع في هاتين المهمتين أدناه.

٢ إن أهم أوجه الجانب الإنساني للكتاب المقدس هو إيصال كلمة الله إلى الفئات الإنسانية كافة. لقد اختار الله استخدام كل وسيلة توصيل متوفرة تقريبًا: التاريخ القصصي، الأنساب، الأخبار، مختلف أنواع الشرائع، مختلف أنواع الشعر، الأمثال، الوحي النبوي، الألغاز، الدراما، السِّيَر الذاتية، القصص الرمزية، الرسائل، العظات، والأدب الرؤيوي.

ولكي يتمكن الدارس والقارئ من تفسير «آنذاك وهناك» في الكتاب المقدس تفسيرًا سليمًا، عليه لا أن يعرف بعض القواعد العامة التي تنطبق على كل كلمات الكتاب المقدس فقط، بل عليه أيضًا تعلم القواعد الخاصة التي تنطبق على كل نوع من أنواع النصوص الكتابية المختلفة. لأن الطريقة التي يوصل بها الله كلمته إلينا «الآن وهنا» تختلف بين نوع نص وآخر، فعلى سبيل المثال نحتاج أن نعرف كيف يكون المزمور الموجه إلى الله، هو أيضًا كلمة الله لنا. وكيف تختلف المزامير عن الشرائع التي غالبًا ما كانت موجهة إلى الناس في ظروف بيئية لم تعد سارية الآن. أيضًا كيف يمكن لهذه الشرائع أن تتحدث إلينا؟ ما مدى اختلافها عن الشرائع الأدبية التي تصلح لكل الأحوال وفي كل البيئات؟ هذه هي الأسئلة التي تفرضها علينا طبيعة الكتاب المقدس الثنائية.

المهمة الأولى
التفسير الاستنتاجي للنص

إن مهمة المفسر الأولى هي تفسير النص تفسيرًا استنتاجيًا. ومعنى هذا أن يقوم المفسر بدراسة دقيقة ونظامية للكتاب المقدس لاكتشاف المعنى الأصلي والمقصود. وهذه في الأساس مهمة تاريخية،أي أنها محاولة لسماع وفهم كلمة الله كما سمعها أولئك الذين تلقوها أصلاً، وذلك لإيجاد «القصد الأصلي لكلمات الكتاب المقدس». وهذه المهمة كثيرًا ما تتطلب مساعدة المتخصص من رجال الدين الذين ساعدهم تدريبهم وباتوا يعرفون جيدًا لغة وظروف النصوص في وضعها الأصلي. لكن هذا لا يعني ضرورة أن يكون الشخص متخصصًا للقيام بالتفسير الاستنتاجي السليم للنص.

في الحقيقة، إن كل قارئ هو مفسر من نوع أو آخر. والسؤال الحقيقي هو

فيما إذا كنت ستكون مفسرًا جيدًا أم لا. فعلى سبيل المثال، كم مرة سمعت فيها مثل هذه العبارة «إن ما قصده الرب يسوع بهذا كان...»، «أو إنهم في تلك الأيام كانوا يقومون بـ...» هذه عبارات استنتاجية للنص. وهي تستخدم في معظم الأحيان لشرح الفرق «بينهم» و «بيننا».

لكن المشكلة في هذا التفسير الاستنتاجي للنص تكمن في أنه تفسير انتقائي ولا يعتمد على المصادر الأولية.

وهنا يلزمنا التعليق أكثر على كل من هذين الأمرين فيما يلي:

1. مع أن كل شخص يمارس التفسير الاستنتاجي للنص أحيانًا، ومع أن هذا التفسير قد يكون جيدًا في أحيان كثيرة، إلا أن الحاجة إلى ممارسة التفسير تكون فقط عند وجود اختلاف واضح بين النصوص الكتابية وبين البيئة الحديثة. مع أن التفسير الاستنتاجي للنص يجب أن يكون الخطوة الأولى في قراءة كل نص. ولن يكون الأمر سهلاً في البداية، ولكن تعلم التفكير الاستنتاجي سيزيد من الفائدة وسيجعل قراءة ودراسة الكتاب المقدس، تجربة أكثر تشويقًا ومتعة.

وهنا علينا ملاحظة أن تعلم التفسير الاستنتاجي ليس المهمة «الوحيدة» إنه بكل بساطة المهمة الأولى؛ لأن المشكلة الحقيقية في التفسير الاستنتاجي «الانتقائي» هي في أن القارئ أو الدارس كثيرًا ما يرى في النص الذي يقرأه أفكاره الشخصية التي لا وجود لها بالفعل، وبالتالي يجعل من كلمة الله أمرًا يختلف عما تقوله في الواقع. فعلى سبيل المثال، كثيرًا ما يستخدم ما جاء في أعمال ٢٧: ١٥ «سلمنا فصرنا نُحمل» على أن المقصود بها تسليم أنفسنا لله فيحملنا فوق الصعاب والمشاكل، لكن لو قمنا بالتفسير الاستنتاجي للنص لاكتشفنا أن النص في محتواه الكتابي يعني أنهم فقدوا كل أمل للنجاة فاستسلموا للرياح والبحر فصارت تحملهم.

إن استعمال النص الكتابي بحيث يعني شيئًا لم يقصد الله قوله هو في الواقع سوء استعمال للنص.

ولتجنب الوقوع في أخطاء كهذه على الشخص أن يتعلم كيف يفسر استنتاجيًا، أي أن يبدأ من «هناك وآنذاك» وهذا طبعًا ينطبق على كل نص كتابي.

٢ ربما لا يبدأ القارئ أو الدارس باستشارة «المختصين من رجال الدين» كما سنرى. ولكن عندما تكون استشارتهم ضرورية، عليه إذًا محاولة استخدام المصادر أو المراجع الأفضل. فعلى سبيل المثال، في نهاية قصة الشاب الغني نقرأ قول الرب يسوع في مرقس ١٠: ٢٣ (أيضًا مت ١٩: ٢٣؛ لو ١٨: ٢٤): «ما أعسر دخول ذوي الأموال إلى ملكوت الله» ويضيف قائلاً: «مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله» (ع٢٥). في الحقيقة كثيرًا ما قيل عن وجود بوابة في أورشليم تعرف باسم «ثقب الإبرة» والتي لا تستطيع دخولها إلا ركوعًا وبصعوبة كبيرة، فهل يا ترى غاية هذا التفسير التأكيد على إمكانية دخول الجمل من ثقب الإبرة؟ ألست معي في أن المشكلة في مثل هذا النوع من الشرح الاستنتاجي هي في أنه غير صحيح أصلاً، إذ لم يكن هناك في أورشليم أي بوابة مثل تلك ولا في أي زمن من تاريخها.

وأقدم دليل على طرح مثل تلك الفكرة يعود إلى القرن الحادي عشر في كتاب شرح لرجل يوناني من رجال الكنيسة اسمه ثيوفيلاكت، ربما واجه هذا الرجل صعوبة النص نفسها التي عادة ما نواجهها والحقيقة هي أن دخول جمل من ثقب إبرة هو شأن «المستحيل» وهذا ما كان يشير إليه السيد المسيح فعلاً. من المستحيل على مَنْ يتكل على الثروات دخول الملكوت. وخلاص شخص غني يتطلب معجزة، وهذا هو بيت القصيد في الآية اللاحقة التي تقول: «لأن كل شيء مستطاع عند الله».

تعلُّم القيام بالتفسير الاستنتاجي

كيف يمكننا إذًا تعلُّم القدرة على التفسير الاستنتاجي الجيد دون السقوط في الفخاخ التي تملأ الطريق؟ إن الجزء الأول من معظم فصول هذا الكتاب مخصص لشرح كيفية القيام بهذه المهمة والتعامل مع كل نوع من أنواع النصوص الكتابية. ونحن هنا وبكل بساطة نريد أن نقوم بإلقاء نظرة عامة على ما تتضمنه عملية التفسير الاستنتاجي لأي نص.

التفسير الاستنتاجي، في أرفع مستوياته، يتطلب معرفة أمور كثيرة لا نتوقع من قرّاء هذا الكتاب معرفتها بالضرورة: مثل لغات الكتاب الأصلية، الخلفيات اليهودية، والسامية، والهيلينية، بالإضافة إلى القدرة على استخدام كل أنواع المصادر والوسائل الأولية. مع أنه بإمكانك كقارئ وكدارس القيام بالتفسير الاستنتاجي جيدًا حتى وإن كنت لا تملك كل تلك المهارات والمعونات. وللقيام بهذا، عليك تعلُّم استغلال كل ما تملكه من مهارات، بالإضافة إلى تعلم استخدام عمل الآخرين أو الاستفادة منه.

لأن مفتاح التفسير الاستنتاجي الجيد، وبالتالي القدرة على قراءة الكتاب المقدس بفهم أفضل هو تعلم قراءة النص بعناية وطرح الأسئلة السليمة على النص. لقد علَّمتنا خبرتنا في التدريس بكليات اللاهوت على مدى سنين عديدة أن مشكلة الكثيرين تكمن في عدم معرفتهم كيفية القراءة بفهم؛ لأن قراءة الكتاب المقدس ودراسته بفهم يتطلب قراءة دقيقة متمعنة، وهذا يشمل أيضًا تعلُّم طرح الأسئلة الصحيحة بشأن النص.

هناك نوعان أساسيان من الأسئلة التي ينبغي طرحهما على كل مقطع كتابي: منها ما يتعلق «بالقرينة» (سياق أو محتوى النص) ومنها ما يتعلق «بالمضمون». وأسئلة القرينة لها نوعان أيضًا: «تاريخية وأدبية»، تعال لندرس معًا وباختصار كلاً منهما.

القرينة التاريخية:

للقرينة التاريخية التي تختلف من سفر لآخر، علاقة بعدة أمور: زمن وبيئة الكاتب وقرائه، أو آخر العوامل الجغرافية، والطوبوغرافية: (السمات السطحية لإقليم ما: وتشمل الهضاب والأودية والبحيرات والأنهار والطرق... إلخ)، أيضًا العوامل السياسية المتصلة بمحيط الكاتب ومناسبة كتابة السفر، أو الرسالة، أو المزمور، أو الوحي النبوي، أو أي نوع آخر من أنواع النصوص الكتابية. كل هذه الأمور لها أهمية خاصة للفهم.

إن ما يُحدث فرقًا في الفهم هو معرفة الخلفية الشخصية لعاموس مثلاً، أو هوشع، أو إشعياء، وكذلك في كون حجي قد تنبأ بعد السبي، وأيضًا معرفة التوقعات الخاصة بالمسيا عند شعب إسرائيل وقت ظهور يوحنا المعمدان والرب يسوع على مسرح الأحداث، أيضًا دراسة ومعرفة وفهم الاختلافات الموجودة بين مدينتي فيلبي وكورنثوس مثلاً، الأمر الذي يوضح تأثير هذه الاختلافات على كنائس كل منهما. كذلك إن معرفة العادات التي سادت زمن حياة الرب يسوع الأرضية تزيد جدًا من فهم القارئ أو الدارس للأمثال التي رواها. كمعرفة مثلاً أن الدينار آنذاك كان أجرة عمل يوم كامل (مت ٢٠: ١-١٦)، وهذه المعرفة تزيد من فهمنا للمثل. حتى المسائل الطوبوغرافية تعتبر هامة. فالذي نشأ في مصر على سبيل المثال لا يمكنه التخيل بأن الجبال التي تحيط بأورشليم (مز ١٢٥: ٢) هي كالتي يراها من حوله!



إن السؤال الأكثر أهمية في القرينة التاريخية، هو السؤال الذي يبحث في مناسبة وقصد كل سفر في الكتاب المقدس بأجزائه المختلفة.

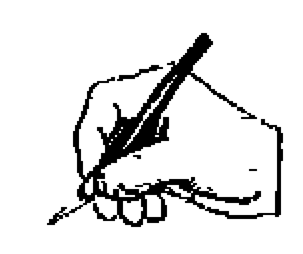
وهنا يحتاج القارئ والدارس كي يجيب على هذه الأنواع من الأسئلة إلى معونة خارجية كرجوعه إلى معاجم، أو موسوعات، أو قواميس للكتاب المقدس

لنيل المزيد من المعرفة أو المعلومات. وكذلك الاستعانة بما هو متاح من المراجع اللاهوتية والتفاسير للاستفادة منها في إغناء موضوع ما.

على أن السؤال الأكثر أهمية في القرينة التاريخية، هو السؤال الذي يبحث في مناسبة وقصد كل سفر في الكتاب المقدس بأجزائه المختلفة. ويحتاج القارئ هنا إلى أخذ فكرة عما كان يدور وسط بني إسرائيل أو وسط الكنيسة آنذاك، الأمر الذي قاد إلى كتابة هذا السفر، أو دراسة موقف الكاتب الداعي للكتابة. وهنا أيضًا، سيختلف الأمر من سفر إلى سفر آخر.

وهنا أيضًا يمكننا العثور على إجابة لهذا السؤال -بقدر بالإمكان- وذلك من خلال إيجاد الإجابة من السفر نفسه. لكن علينا تعود القراءة وعيون أذهاننا مفتوحة لكل المسائل. وإن احتجنا التأكد من نتائج بحثنا في هذه المسائل، علينا الاسترشاد بقاموس للكتاب المقدس أو العودة إلى مقدمة للسفر الذي ندرسه في أي كتاب تفسير. ولكن علينا أولاً وقبل كل شيء تدوين ملاحظاتنا التي توصلنا إليها بأنفسنا.

القرينة الأدبية:



السؤال الأكثر أهمية في القرينة الأدبية: «ما هي النقطة الجوهرية في هذا النص أو ذاك، أو ما هو المقصود بهذا المقطع أو النص؟»

يصف هذا العنوان قصد الناس عندما يتحدثون عن قراءة نص ما ضمن الإطار العام به أو عبر سياق الكلام المكتوب. وفي واقع الأمر، هذه هي المهمة الصعبة في عملية التفسير الاستنتاجي. ومعنى «القرينة الأدبية» أساسًا هو أن الكلمات تكتسب معناها فقط ضمن الجمل، والجمل تكتسب معناها فقط في علاقتها مع ما يسبقها وما يلحقها من جمل.

والسؤال الأكثر أهمية في القرينة الأدبية والذي

ينبغي أن يُطرح باستمرار حول كل جملة وكل فقرة هو: «ما هي النقطة الجوهرية في هذا النص أو ذاك، أو ما هو المقصود بهذا المقطع أو النص؟» وهنا علينا محاولة تتبع تسلسل أفكار الكاتب. ما الذي يريد قوله؟ ولماذا يقوله هنا بالذات؟ وبعد أن ذكر الكاتب ما ذكر، ما الذي سيقوله تاليًا؟ ولماذا؟ هذا السؤال يختلف من نوع لآخر حسب اختلاف أنواع النصوص الكتابية، لكنه يبقى «دائمًا» السؤال الحاسم.

إن الغاية من التفسير الاستنتاجي هي معرفة قصد الكاتب الأصلي. وللقيام بهذا الأمر خير قيام، لابد من استخدام ترجمة توضح الأجزاء الشعرية والفقرات. لأن أحد الأسباب الرئيسية التي تقود لتفسير استنتاجي دون المستوى من قِبل قراء بعض ترجمات الكتاب المقدس هو الأسلوب الذي اتبعته هذه الترجمات في تحديد بداية ونهاية الفقرات، الأمر الذي يؤدي إلى حجب منطق الكاتب. لذا وفوق كل شيء على الشخص تعلُّم تمييز وحدات الفكر، سواء أكانت فقرات في نص كتابي أم أبياتًا (في الأجزاء الشعرية).

أسئلة المضمون:

هي الأسئلة المتعلقة بالمضمون أو المحتوى الفعلي لما يقوله الكاتب. وهي تُعد من الأسئلة الرئيسية التي تُطرح بشأن النص. يتعلق «المضمون» بمعاني الكلمات، وبالتركيبات النحوية التي يمكن إدراكها ضمن عدد من البنود التي ذُكرت قبلاً تحت عنوان «القرينة التاريخية» كأجرة دينار للعامل في اليوم، على سبيل المثال، أو السفر مسافة «سبت» أو «الجبال»... إلخ.

غالبًا ما تكون هذه الأسئلة هي المختصة بالمعاني والتي يطرحها الشخص عادة بشأن النص الكتابي. فمثلاً عندما يقول الرسول بولس في كورنثوس الثانية ٥: ١٦ «وإن كنا قد عرفنا المسيح حسب الجسد لكن الآن لا نعرفه بعد»،

السؤال الذي يجب طرحه والذي يختص بالمعنى هو معرفة ما المقصود بجملة «حسب الجسد» هل تعني المسيح وهو في الجسد أم المعرفة التي نعرفها عنه نحن هي التي بحسب الجسد؟

الاستعانة بكتب تفاسير جيدة، مهما بدا ضروريًا أحيانًا، يجب أن يكون الإجراء «الأخير» للدارس.

يحتاج الشخص عادة للإجابة عن هذه الأسئلة إلى مساعدة خارجية. ومرة أخرى نؤكد بأن نوعية الإجابة على مثل هذه الأسئلة يعتمد عادة على نوعية المصادر التي يستعملها الشخص. أخيرًا نقول: حان وقت الحاجة إلى الاسترشاد بكتب شرح استدلالي جيدة. لكن الرجاء هو الانتباه إلى أن الاستعانة بكتب تفاسير جيدة، مهما بدا ضروريًا أحيانًا، يجب أن يكون الإجراء «الأخير» للدارس.

الأدوات والوسائل:

إذًا – وغالبًا – يمكنك عمل تفسير استنتاجي جيد بأقل قدر من المساعدة الخارجية. لقد سبق وذكرنا بعض الأدوات المساعدة كقاموس للكتاب المقدس، وفهرس وموسوعة كتابية، وترجمة جيدة، وكتب تفاسير جيدة. هناك بالطبع أدوات أخرى متخصصة كتلك المتعلقة بدراسة الموضوعات ودراسة الأفكار الأساسية. أما قراءة أو دراسة الكتاب المقدس سفرًا سفرًا، فالأدوات المذكورة أعلاه تكفي.

ولأن الترجمة الجيدة (أو الترجمة التي على نحو أفضل، وربما عدة تراجم جيدة) هي الأداة الأساسية التي لا غنى للدارس عنها وبالأخص الدارس الذي لا يعرف اللغات الأصلية، فلقد خصصنا الفصل التالي لهذا الشأن. إن تعلُّم اختيار كتب التفاسير أمر هام أيضًا، ولكن تذكر أنه الخطوة الأخيرة.

المهمة الثانية
التفسير الحياتي للنص

التفسير الحياتي هو التفسير المعني بطرح الأسئلة حول معنى الكتاب المقدس «هنا والآن».

إن مسألة «هنا والآن» هي التي تأتي بنا إلى الكتاب المقدس في المقام الأول. فلماذا لا نبدأ بالتفسير الحياتي؟ ولماذا نخوض مشقة التفسير الاستنتاجي؟ أليس الروح القدس نفسه الذي أوحى بكتابة الكتاب المقدس يستطيع أن يقودنا في عملية قراءته؟ هذا صحيح إلى حد ما، ونحن لا ننوي من خلال هذا الكتاب أن نسلب أحدًا متعة القراءة التعبدية التأملية للكتاب المقدس، ولا أن نحرمه من متعة الاتصال المباشر الذي تعنيه مثل هذه القراءة. لكن القراءة التعبدية التأملية ليست نوع القراءة الوحيد، إذ يجب على الدارس أيضًا القراءة ليتعلم ويفهم. باختصار، عليه تعلُّم «دراسة» الكتاب المقدس، الذي يقوم بدوره بإعطاء القراءة التعبدية معنىً أكبر، ومن هنا يأتي إصرارنا على أن «التفسير الحياتي» السليم يبدأ بالتفسير الاستنتاجي.

والسبب الذي لا يُمكِّن الدارس بالبدء بـ «الآن وهنا» هو أنه لإعطاء تفسير حياتي صحيح نحتاج في البدء لفهم القصد الأصلي للنص الكتابي. هذا هو «المعنى الواضح»، الذي أشرنا إليه في مستهل هذا الفصل باعتباره هدفنا. وبدون هذه البداية، ستكون معاني النصوص الكتابية تحت رحمة القارئ. عندها سيتحول مثل هذا التفسير إلى تفسير شخصي وذاتي بحت، ولن يعود الدارس عندها قادرًا على وصف تفسير دارس ما بالخطأ وتفسير آخر بالصواب. بل ستصبح كل التفاسير مقبولة.

في مقابل هذه التفاسير الشخصية، نحن نصر على أن يكون المعنى الأصلي

للنص – بقدر الإمكان – هو نقطة التحكم الموضوعية أي اللاشخصية. نحن مقتنعون أن معمودية الأموات عند طائفة المورمون المبنية على أساس ١كورنثوس ١٥ : ٢٩، أو رفض شهود يهوه لألوهية المسيح، أو التعامل مع الأفاعي بناء على ما جاء في مرقس ١٦ : ١٨، نحن مقتنعون أن كل هذه التفاسير مغلوطة. إن الخطأ في كل حالة من تلك يكمن في أصول تفسيرهم، خاصة أن تفسيرها لا يتوقف على التفسير الاستنتاجي الجيد. فلقد ابتدأوا تفسيرهم من «الآن وهنا» وجعلوا النصوص تعني ما لم تكن تعنيه في الأصل. فما الذي يمنع أن يقتل شخص ابنته تتميمًا لنذر خاطىء، كما فعل يفتاح؟! (قض ١١ : ٢٩–٤٠).

يعترض أحدهم، بالطبع، ويقول بأن الفطرة السليمة ستحول دون ارتكاب القارئ لمثل هذه الحماقات. لكن مع الأسف، فإن الفطرة السليمة لا تكون سليمة دائمًا. نحن نسعى لأن نعرف ما الذي يعنيه الكتاب المقدس لنا الآن، وهذا حق. لكن لا يمكننا جعله يعني كل ما يرضينا، ومن ثم نرجع «الفضل» إلى الروح القدس. لا يمكن أبدًا زج الروح القدس في أمور تجعله يناقض نفسه فيها، فالروح القدس هو الذي أوحى بالقصد الأصلي أو النية الأصلية للكتاب. لذا فإن مساعدة الروح القدس لنا هي في اكتشاف القصد الأصلي للنص، وإرشادنا في سعينا الصادق لتطبيق ذلك القصد أو المعنى على أوضاعنا نحن.

إن مساعدة الروح القدس لنا هي في اكتشاف القصد الأصلي للنص، وإرشادنا في سعينا الصادق لتطبيق ذلك القصد أو المعنى على أوضاعنا نحن.

لعل صعوبة إيجاد حل للمسائل التفسيرية الحياتية هي سبب ندرة الكتب التي تعالج هذا الجانب من موضوعنا. ولن يتفق الجميع على كيفية لتحقيق هذه المهمة، وهذا هو الجانب الحاسم. في الحقيقة يحتاج الدارسون إلى تعلم المشاركة والتحدث أحدهم مع الآخر حول هذه الأسئلة وكذلك الإصغاء لبعضهم البعض.

يجب أن يكون هناك على الأقل، اتفاق على هذا الأمر، إذ لا يمكن لأي نص أن يعني الآن ما لم يعنه من قبل أبدًا. نقول بكلمات أكثر إيجابية: إن المعنى الحقيقي للنص بالنسبة لنا هو المعنى الذي قصده الله فعلاً عندما كُتب النص لأول مرة، وهذه هي نقطة البداية. أما كيف ننطلق من هذه النقطة وننجز المهمة فهذا هو الغرض الأساسي من هذا الكتاب.

لابد من أن يتساءل أحدهم هذا السؤال: «لكن أليس ممكنًا أن يحمل النص معنىً إضافيًا (أوفى، أعمق)، غير معناه الأصلي؟» نعم يمكن وهذا ما حدث فعلاً في العهد الجديد من خلال الطريقة التي اقتبس فيها واستخدم بها العهد القديم. ففي حالة وجود نبوات من المؤكد بأننا لن نصد الباب في وجه مثل هذا الاحتمال، بل نؤكد بأنه إذا ما روعي الحذر والانضباط فإن وجود معنى ثان أو أوفى هو أمر ممكن. وإلا فكيف يمكننا تبرير وجود معانٍ في حالات عديدة واردة في الكتاب المقدس؟ ومَنْ الذي يتحدث لنا نيابة عن الله؟ من حقنا القلق كلما ادعى أحدهم أن لديه المعنى الإلهي الأعمق لنص ما – خاصة، إذا لم يعن النص قبلاً ما جعله يعني الآن. إن كل الديانات والعبادات الغريبة للأسف نشأت من مثل هذه الأمور، وكذلك الهرطقات التي لا تُحصى ولا تُعد.

في الحقيقة إنه من الصعب وضع قواعد لأصول التفسير الحياتي. فما نقدمه هنا عبر كل الفصول التالية هو بمثابة توجيهات أو إرشادات. ربما لن تتفق معنا في إرشاداتنا لكنها قد تحثك على التفكير.

٢

الأداة الأساسية ترجمة جيدة

الفصل الثاني

الأداة الأساسية ترجمة جيدة

- علم الترجمة.
- قضية اللغة.
- قضية النص.

إن الأسفار التي يضمها كتابنا المقدس قد كتبت أصلاً بثلاث لغات مختلفة: العبرية (معظم العهد القديم)، والآرامية (لغة شقيقة للعبرية استخدمت في كتابة نصف سفر دانيال ومقطعين من سفر عزرا)، واللغة اليونانية (كل العهد الجديد). ونحن إذ نفترض أن معظم القراء المعاصرين لا يتقنون هذه اللغات، نقر بأن أداتهم الأساسية لقراءة ودراسة الكتاب المقدس هي ترجمة جيدة بلغة يتقنونها.

وكما سبق وقلنا في الفصل السابق، فإن مجرد كونك قارئًا لكلمة الله مترجمة فهذه الحقيقة تعني أنك قد دخلت بالفعل في عملية التفسير شئت أم أبيت. فالذي يقرأ الكتاب المقدس هو تحت رحمة المترجم (أو المترجمين)، فقد كان على المترجمين أن يقوموا ببعض الخيارات الاستنتاجية، في سعيهم لإيجاد حقيقة

المعنى الأصلي الذي قصدته اللغة الأصلية العبرية أو اليونانية وهنا تأتي المشكلة. إن استخدام ترجمة واحدة، مهما بلغت جودتها، من شأنها أن تُبقي القارئ ملزمًا بالخيارات الاستنتاجية (أي المتعلقة بالتفسير الاستنتاجي) لتلك الترجمة على أنها كلمة الله. فالترجمة التي بين يديك قد تكون جيدة، بطبيعة الحال، ولكنها قد تكون أيضًا غير موفقة في بعض المواضع.

دعونا، على سبيل المثال، نأخذ الترجمات التالية لما جاء في ١كورنثوس ٧: ٣٦

«ولكن إن كان أحد يظن أنه يعمل بدون لياقة نحو عذرائه» (ترجمة فان دايك).

«فإن ظن أحد أنه يعاب في حق عذرائه» (الترجمة الكاثوليكية).

«إن رأى أحد أنه يسيء إلى فتاته» (الترجمة العربية المشتركة).

«إذا رأى أحد أنه قد لا يصون خطيبته» (الترجمة اليسوعية الجديدة).

«ولكن إن ظن أحد أنه يتصرف تصرفًا غير لائق نحو عزوبيته» (ترجمة كتاب الحياة).

إن الترجمات الأولى والثانية والثالثة لا تساعدنا كثيرًا هنا لأنهم يتركون مصطلح «عذراء» والعلاقة بين «الرجل» و«عذرائه أو فتاته» غامضتين. أمر واحد يمكن للدارس الاطمئنان إليه كليًا: وهو أن بولس الرسول لم يقصد أن يكون غامضًا، لكنه قصد إحدى الخيارات التي أوردتها مختلف الترجمات. وقد فهم مؤمنو كورنثوس الذين أثاروا الموضوع في رسالتهم قصده، وبالتأكيد لم يخطر ببالهم أي قصد آخر! وهنا علينا الإشارة إلى أنه لا يمكننا اعتبار أية ترجمة من الترجمات السابقة خاطئة، ذلك لأن كلاً منها يمثل خيارًا لغويًا ممكنًا من جهة

ما عناه بولس الرسول. لكن في حقيقة الأمر، واحد فقط من هذه الخيارات هو «الصحيح». والمشكلة هي، أيها؟

هناك عدة أسباب تدل على أن المقصود هو «العذراء المخطوبة» أما بالنسبة لمن اعتاد على دراسة الكتاب المقدس فقط من ترجمة واحدة من الترجمات، فسينتهي إلى تفسير قد لا يكون صحيحًا بالضرورة. وهناك آلاف من الأمثلة الكتابية على مثل هذا الأمر، فما الحل؟

أولاً، ربما كان استخدامك لترجمة واحدة فقط عملاً جيدًا، شرط أن تكون الترجمة جيدة. وهذا من شأنه أن يساعدك على حفظ الآيات، ويعينك على التركيز والتتابع في قراءتك للكتاب المقدس. وإن كنت تستخدم إحدى الترجمات الأكثر حداثة، فستجد فيها ملاحظات هامشية أو معلومات إضافية في الحواشي لتذليل الصعوبات. لكن من الأفضل لك استخدام عدة ترجمات مختارة عندما يكون قصدك دراسة الكتاب المقدس. إن أفضل شيء يمكنك القيام به هو استخدام ترجمات تعرف مسبقًا باختلافها عن بعضها. فهذا من شأنه أن يلقي ضوءًا حين تكثر الصعوبات الاستنتاجية. وستحتاج في حل هذه الصعوبات عادة إلى اللجوء إلى كتب التفاسير.

لكن، أي ترجمة يتوجب أن تُستخدم، وأيها ينبغي أن تعتمده في دراستك هنا؟ لا يقدر دارس أن يجيب بالنيابة عن آخر. فاختيارك للترجمة يجب ألا يكون لمجرد أنك تحبها أو معتاد عليها.

نحن نتمنى لك أن تحب الترجمة التي تستخدمها، وأن تقرأها وأن تحفظ الآيات منها. لكن عليك أن تقوم باختيار مدروس للترجمة، ومن أجل هذا تحتاج لأن تعرف بعض الأمور عن علم الترجمة نفسه وأيضًا عن بعض الترجمات المتوفرة.



علم الترجمة

هناك نوعان من الخيارات على المترجم القيام بهما: الأول خيار متعلق بالنص والثاني خيار لغوي. للخيار الأول علاقة بالتعبير اللفظي الفعلي للنص الأصلي. أما الثاني فمتعلق بنظرية الترجمة التي يسير عليها المترجم.

قضية النص

ينصب الاهتمام الأول للمترجم على التأكد من أن النص العبري أو اليوناني الذي يستخدمه هو أقرب للنص الأصلي. وسؤاله الدائم هو: هل هذا المزمور هو ذاك المزمور الذي كتبه صاحبه أصلاً؟ وهل هذه الألفاظ هي نفس الكلمات التي كتبها البشيران مرقس أو لوقا حقًا؟ وإن كانت كذلك فلماذا الشك بأنها غير ذلك؟

ومع أن تفاصيل مشاكل دراسة نص في العهد القديم قد تختلف عن مشاكل دراسة نص في العهد الجديد، إلا أن المشاكل هي نفسها على صعيد الدراستين، وذلك لأن:

١ النسخ الأصلية للكتاب المقدس (المخطوطات) غير متوفرة.

٢ المتوفر هو آلاف النسخ (بما فيها نسخ عن ترجمات قديمة جدًا) مكتوبة بخط اليد، ومنسوخة مرارًا عديدة أيضًا بخط اليد وعلى مدى حوالي ألف وأربعمائة سنة.

٣ وجود علم النقد النصي، وهو العلم الذي يحاول اكتشاف النصوص الأصلية للوثائق القديمة. إن غايتنا من هذا الكتاب لا تتمثل في تعليم القارئ مبادىء النقد النصي، فهناك كتب متخصصة في هذا المجال. لكن غايتنا هي إعطاء بعض المعلومات الأساسية في مبادئ علم نقد النصوص، وذلك لتمكين القارئ

من معرفة سبب حتمية قيام المترجمين بذلك، مما سيساعده على الاستفادة أكثر من الملاحظات الواردة في حواشي الترجمة التي يستخدمها.

أما بالنسبة لما نهدف إليه من هذا الفصل، فهناك أمران يجدر الانتباه إليهما:

الأمر الأول: إن نقد النصوص علم يعمل بضوابط دقيقة. ففيه يعتمد المترجم على نوعين من الأدلة أثناء اختياره للنص: الأول برهان خارجي (طبيعة ونوعية المخطوطة) والثاني برهان داخلي (دقة النُسّاخ في الكتابة). وقد يختلف العلماء أو الدارسون أحيانًا في مدى الأهمية التي ينبغي منحها لكل من هذين النوعين من الأدلة، لكنهم يتفقون جميعًا على أن امتزاج الأدلة الخارجية القوية بالأدلة الداخلية القوية يجعل الاختيارات في معظم الأحوال أمرًا يتسم بالسهولة. أما في باقي الحالات حين يتعارض هذان الخطان من الأدلة، تكون الخيارات أكثر صعوبة.

وهكذا وكما سبق وأشرنا، فيما يتعلق بالغالبية العظمى من المخطوطات المخالفة الموجودة بين المخطوطات، فإن اجتماع أفضل برهان داخلي مع أفضل برهان خارجي يمنحنا درجة عالية جدًا من اليقين حول حقيقة النص الأصلي. ويمكن أن يتضح هذا الأمر آلاف المرات بمجرد مقارنة الترجمات التي بنيت على مخطوطات لاحقة أو غير دقيقة بترجمات معاصرة. وسنذكر هنا ثلاثة أمثلة لتوضيح هذه الفكرة:

(١) صموئيل الأول ٨: ١٦

«شبانكم الحسان وحميركم...» (ترجمة فان دايك).

«... نخبة بقركم وحميركم...» (الترجمة العربية المشتركة)

النص الذي يورد كلمة «مواشي» مترجم عن الترجمة السبعينية التي تعتبر ترجمة يونانية معولاً عليها للعهد القديم، أما الترجمات التي تقول «شبانكم» فهي مأخوذة عن النص العبري، والخطأ الذي ارتكب أثناء نسخ النص العبري والذي اعتمدت عليه الترجمات التي تقول «شبانكم» سهل الفهم. فالكلمة التي ترجمت إلى «شبانكم» هي كلمة عبرية تكتب هكذا «بحريكم» أما «مواشيكم» فتكتب «بقريكم». لاحظ كيف أن ارتكاب خطأ في نسخ حرف واحد قد غيّر المعنى.

(٢) مرقس ١: ٢

«كما هو مكتوب في الأنبياء...» (ترجمة فان دايك).

«كما كتب في كتاب إشعياء» (ترجمة كتاب الحياة).

«كما كتب النبي إشعياء» (الترجمة العربية المشتركة).

إن النص الموجود في ترجمة كتاب الحياة والترجمة العربية المشتركة وارد في جميع المخطوطات اليونانية القديمة. وهو أيضًا النص الوحيد الشائع بين كل آباء الكنيسة، فيما عدا نص واحد، قبل القرن التاسع. ومن السهل رؤية ما حدث في المخطوطات اليونانية المتأخرة. فبما أن المقطع المقتبس هو مقطع يجمع ما بين نبوتي ملاخي ٣: ١ وإشعياء ٤٠: ٣، فقد جاء ناسخ في وقت متأخر وبدل كلمة إشعياء بالأنبياء.

(٣) ١كورنثوس ١١: ٢٩

«لأن الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق» (ترجمة فان دايك).

«لأن من الآكل والشارب...» (ترجمة كتاب الحياة).

إن كلمتي «بدون استحقاق» لا تردان في أي من المخطوطات اليونانية القديمة.

ويمكن تفسير وجود هاتين الكلمتين في الترجمات اللاتينية والمخطوطات اليونانية بأنهما قد أضيفتا بعد أن استعيرتا من عدد ٢٧ حيث تُجمع كل المخطوطات المعروفة على وجود «بدون استحقاق» هناك.

وهنا يجب أن نشير إلى أن المترجمين غالبًا ما يستخدمون نصوصًا يونانية وعبرية تكون قد أُخضعت إلى فحص دقيق وقاس من قبل العلماء والدارسين.

الأمر الثاني: مع أن نقد النصوص هو واحد من العلوم، إلا أنه ليس بالعلم الدقيق، وذلك لأنه مرتبط بالمتغيرات البشرية الكثيرة. فمثلاً عندما تقوم لجنة بالإشراف على الترجمة، يختلف المترجمون فيما بينهم حول تحديد المخطوطة المخالفة التي ينبغي اعتمادها كممثلة للنص الأصلي، وفي مثل هذه الحالة فإن ما يرد في النص الكتابي للترجمة هو اختيار لأغلبية المترجمين بينما اختيار الأقلية ستجده في الهامش. فعلى سبيل المثال ما ورد في ١كورنثوس ١٣ : ٣.

«وإن سلمت جسدي حتى أحترق» (ترجمة فان دايك).

«سلمت جسدي حتى أفتخر» (الترجمة العربية المشتركة).

«سلمت جسدي حتى أحترق» (هامش الترجمة العربية المشتركة).

في الحقيقة ما حدث هو أن الفرق في اللغة اليونانية بين النصين هو حرف واحد. ولكل من النصين المخالفين ما يُدعمه من الدلائل القديمة، وفي كليهما صعوبة متأصلة في التفسير (لقد كتبت رسالة كورنثوس الأولى قبل أن يختبر المسيحيون الاستشهاد بالحرق بفترة كبيرة وكذلك أيضًا من الصعب إيجاد تفسير ملائم لمعنى الافتخار). هذا مثال لأحد المواضع التي تحتاج من أجل فهمها إلى كتاب شرح جيد يساعدك على تبني أحد الخيارين.

والمثال السابق سبب جيد للعودة بك إلى الفصل السابق. ستلاحظ أن



اختيار النص الصحيح هو إحدى المسائل المتعلقة «بالمضمون». فعلى مَنْ يقوم بالتفسير الاستنتاجي الجيد أن يعرف - إن أمكنْ ذلك - ما هي الكلمات التي كتبها بولس الرسول أصلاً. مع مراعاة أن النقطة الجوهرية لدى بولس الرسول هنا لن تتأثر إلا قليلاً في نهاية الأمر بذلك الاختيار. ففي كلتا الحالتين، فإن بولس الرسول يعني أنه إذا ما سلم الإنسان جسده كتضحية كبيرة منه، أو شيء شبيه بذلك، ولكن لا محبة عنده، فكأنه لم يفعل شيئًا.

وهكذا، فإن ما نعنيه بالقول بأن على المترجمين القيام باختيارات نصية عديدة، يفسر أسباب اختلاف الترجمات أحيانًا وأسباب كون المترجمين أنفسهم مفسرين.

قضايا اللغة

إن نوعي الخيارين التاليين - اللفظي والنحوي - يأتيان بنا إلى علم الترجمة. وللأمر علاقة بتحويل الألفاظ والأفكار من لغة إلى أخرى. ولفهم النظريات المختلفة التي تشكل الأساس لترجماتنا الحديثة، ستحتاج إلى التعرف على المصطلحات الفنية التالية:

اللغة الأصلية: هي اللغة التي تتم الترجمة منها، وقد تكون العبرية، أو الآرامية، أو اليونانية.

لغة الاستقبال: اللغة التي تتم الترجمة إليها، وهي في حالتنا، العربية.

البُعد التاريخي: وهو يتعلق بالاختلافات القائمة بين اللغة الأصلية ولغة الاستقبال، سواء في مسائل الألفاظ أو النحو أو العبارات الاصطلاحية أو في مسائل البيئة والتاريخ.

نظرية الترجمة: لهذه النظرية علاقة بالدرجة التي يمكن الوصول إليها من أجل سد الفجوة بين اللغتين. فعلى سبيل المثال، هل ينبغي ترجمة كلمة «سراج» إلى «مصباح» للذين يعيشون في بيئة حل فيها المصباح الكهربائي محل السراج؟ أم ينبغي أن تترجم إلى «سراج» كما هي، مع ترك أمر سد الفجوة للقارئ نفسه؟ هل ينبغي ترجمة «قبلة مقدسة» إلى «المصافحة باليدين» لأولئك الذين ينظرون إلى التقبيل في العلن كأمر غير مقبول؟

لاحظ كيف تنطبق هذه الاصطلاحات الثلاثة على نظريات الترجمة التالية:

الترجمة الحرفية: هي محاولة الترجمة مع الحفاظ – قدر الإمكان– على الألفاظ نفسها والصياغة اللغوية ذاتها التي كانت في اللغة الأصلية، لكن مع جعل اللغة ذات معنى لقارئ لغة الاستقبال. إلا أن الترجمة الحرفية تُبقي على البعد التاريخي كما هو في كل الحالات.

الترجمة الحرة: فهي تحاول ترجمة الأفكار من لغة إلى أخرى، مع بذل اهتمام أقل حول استخدام نفس الألفاظ الواردة في اللغة الأصلية. وتسمى الترجمة الحرة أحيانًا (بإعادة الصياغة)، لمحاولتها إزالة البعد التاريخي قدر الإمكان.

التكافوء الديناميكي: وهو محاولة ترجمة الألفاظ والعبارات الاصطلاحية والبناء النحوي في اللغة الأصلية إلى ما يناظرها بدقة في لغة الاستقبال. تقوم مثل هذه الترجمة بالإبقاء على البعد التاريخي في كل المسائل التاريخية والواقعية، لكنها تقوم بتحديث مسائل اللغة والنحو والأسلوب.

يمكن وضع كل الترجمات تقريبًا على خط واحد ابتداء من الترجمة الحرفية مرورًا بترجمة التكافؤ الديناميكي، وانتهاء بالترجمة الحرة كما هو موضح في الشكل:

ترجمات حرة — ترجمات تكافؤ ديناميكي — ترجمات حرفية

L B — Phillips — GNB — NIV — RSV — KJV

JB — NAB — ترجمة كتاب الحياة — NASB

NEB — ترجمة فان دايك

الترجمة العربية المشتركة

أما المترجمون فهم لا يواصلون دائمًا اتباع نظرية واحدة طول الوقت، لكن على واحدة من هذه النظريات أن تسيطر على أسلوب المترجمين الأساسي أثناء القيام بمهمتهم. كما أنه يمكن للترجمات أحيانًا أن تفرط في استخدام الطريقة الحرفية أو الحرة. وهنا نسأل: ما هي أفضل نظرية في الترجمة؟

ما تتميز به الترجمة الحرفية هو نقلها وترجمتها لما قالته المخطوطة اليونانية أوالعبرية أساسًا. أما الترجمة الحرة فهي تساعد على حث تفكيرك حول المعنى المحتمل لما يعنيه النص اليوم.

وهنا تكمن مشكلة الترجمة الحرفية في أنها تحافظ على البُعد التاريخي في اللغة والنحو، مما قد يؤدي بالمترجم إلى صياغة اليونانية أو العبرية إلى لغة عربية غير مألوفة لا في الكتابة ولا في التكلم. لنأخذ مثالاً يوضح ذلك من تكوين ٤: ٥ حيث تقول الآية : «فاغتاظ قايين جدًا وسقط وجهه» بالطبع تعبير «سقط وجهه» ليس تعبيرًا عاديًا مألوفًا في اللغة العربية لكن ترجمة كتاب الحياة قامت بترجمته إلى ما يناظره أو يكافئه في العربية فقالت: «فاغتاظ قايين جدًا وتجهم وجهه».

مشكلة أخرى نجدها في الترجمة الحرفية في كونها تجعل لغة الاستقبال غامضة أحيانًا، بينما كانت اليونانية أو العبرية واضحة تمامًا لمستمعيها آنذاك. فعلى سبيل المثال، في كورنثوس الثانية ٥: ١٦، تقول العبارة اليونانية (كاتاساركس) والتي يمكن ترجمتها حرفيًا إلى: «حسب الجسد» كما في ترجمة فانديك والترجمة اليسوعية، ولأن العبارة غامضة بعض الشيء في ترجمة فانديك، قد نسأل: ما المقصود «بحسب الجسد» أهو الذي ينبغي أن نعرفه (المعروف) أم الذي يعرف (العارف)؟ وهل المعرفة «حسب الجسد» تعني: «حسب المظهر الخارجي» أم تعني «المعرفة البشرية»؟

هذا المعنى نراه واضحًا في اللغة اليونانية، وقد قامت ترجمة كتاب الحياة بكتابته مفسرًا على الشكل التالي: «إذن نحن منذ الآن لا نعرف أحدًا معرفة بشرية». وقد جاءت الترجمة اليسوعية الجديدة مؤيدة لترجمة كتاب الحياة.

من جهة ثانية، فإن مشكلة الترجمة الحرة، خاصة في حالة القراءة بهدف الدراسة، هي في أن المترجم يضع أقوال الكاتب الأصلي في قالب عصري بشكل زائد عن المطلوب. زيادة على ذلك، فإن مثل هذه الترجمة تكاد تشبه كتب التفسير. ويقوم على العمل بالترجمة الحرة دائمًا مترجم واحد، وما لم يكن هذا المترجم ضليعًا في عملية التفسير الاستنتاجي وعارفًا بالمشاكل المختلفة في جميع الأجزاء الكتابية، فهناك خطر على القارئ بأن ينقاد بعيدًا عن النص ومعناه.

> والطريقة التي تعالج بها الترجمات المختلفة موضوع «البُعد التاريخي» توضح وتُظهر عددًا من المشكلات التي يقابلها المترجمون.

الأوزان والمعايير والنقود: هذا مجال صعب بصورة خاصة. فهل يقوم المترجم بكتابة كلمات الأوزان والمقاييس من لغة كاليونانية أو العبرية



(حومر، إيفة... إلخ) بلغة أخرى كالعربية أم يحاول إيجاد ما يناظرها أو يكافئها؟ وإن لختار المترجم استخدام الاختيار الثاني، فماذا يستخدم، «الرطل» و «القدم»، أم «اللتر» و «المتر» ؟

إن من شأن معدلات التضخم أن تجعل المترجم يضحك على قيمة العملات النقدية المكافئة بعد بضع من سنين. لكن تزداد المشكلة تعقيدًا عندما نعرف بأن الكتاب المقدس كثيرًا ما استخدم المقاييس أو العملات النقدية لإظهار الفوارق وإبراز النتائج المذهلة، كما في متى ١٨ : ٢٤-٢٨، أو إشعياء ٥ : ١٠ وأن كتابة أسماء الأوزان والمعايير ونقلها كما هي إلى اللغة الأخرى قد تتسبب في عدم انتباه القارئ إلى القصد من المقطع الكتابي.

إننا نؤيد فكرة استخدام الأوزان والمعايير والنقود المكافئة أو استخدام الوحدات في لغتها الأصلية مع تدعيمها بملاحظات هامشية. فهذا حل طيب في معظم الأحوال. ومن ناحية ثانية، يفضل استخدام القيمة المكافئة لمقاطع مثل إشعياء ٥: ١٠ ومتى ١٨: ٢٤-٢٨ لاحظ المعنى الأعمق الذي تعطيه الملاحظات الهامشية الخاصة بالترجمة اليسوعية الجديدة وبترجمة كتاب الحياة وذلك بالمقارنة مع ترجمة فانديك.

إشعياء ٥ : ١٠

«لأن عشرة فدادين كرم تصنع بثًا واحدًا، وحومر بذار يصنع إيفة» (ترجمة فان دايك).

«فعشرة فدادين لا تنل سوى بث واحد (مئتين وعشرين لترًا) من النبيذ وحومر (عشر كيلات) من البذور ينتج كيلة واحدة».

(ترجمة كتاب الحياة)

(بينما الملاحظة بين الأقواس في ترجمة كتاب الحياة توضح أن البث يعادل نحو مئتين وعشرين لترًا وأن الحومر يساوي عشر كيلات).

متى ١٨: ٢٤، ٢٨

«... قدم إليه واحد مديون بعشرة آلاف وزنة... ولما خرج ذلك العبد وجد واحدًا من العبيد رفقائه كان مديونًا له بمئة دينار»

(ترجمة فان دايك)

«أتي بواحد منهم عليه عشرة آلاف وزنة (الهامش: مبلغ باهظ يساوي آلاف الألوف من الليرات الذهب)... ولما خرج ذلك الخادم، لقى خادمًا من أصحابه مدينًا له بمائة دينار (الهامش: مبلغ زهيد بالنسبة للمبلغ السابق)»

(الترجمة اليسوعية الجديدة)

٢ **التعبيرات المخففة:** تقريبًا كل الترجمات تستخدم تعابيرًا ملطفة أو مخففة للأمور التي تتعلق بالمسائل الجنسية. على المترجم في هذه المسائل أن يختار واحدًا من ثلاثة خيارات:

(أ) أن يترجم حرفيًا، مع أنه قد يترك القارئ في حالة ارتباك وحيرة.

(ب) أن يترجم ما يناظر النص حرفيًا، لكنه قد يصيب القارئ بصدمة أو يؤذي مشاعره.

(ج) أن يترجم النص بلغة مخففة على سبيل لطف التعبير.

ولعل الخيار الثالث هو الأفضل، هذا إن وجدنا هناك تعبيرًا لطيفًا مناسبًا، وإلا، فالأفضل تبني الخيار الثاني، خاصة في الأمور التي لم تعد تحتاج إلى تخفيف أو تلطيف في اللغة المترجم إليها. فإذا قالت راحيل «عليّ العادة» (تك ٣١: ٣٥)، فهذا يعتبر خروجًا على المألوف، لذا يفضل استخدام

الترجمة الحرفية كما جاءت في ترجمة فانديك «لأن عليّ عادة النساء» وتُصر ترجمة فانديك على استخدام الاصطلاح نفسه عندما تترجم تكوين ١٨: ١١ «... وقد انقطع أن يكون لسارة عادة كالنساء». بينما تظهر ترجمة كتاب الحياة حرية، إذ أنها تترجم هذه الآية قائلة: «وقد تجاوزت سارة سن اليأس». وفي ٢صموئيل ١٣: ١٤ نقرأ «تمكن منها وقهرها واضطجع معها»، بينما اختارت ترجمة كتاب الحياة أن تقول: «تغلب عليها واغتصبها».

مع كل ذلك فاحتمال الخطر وارد خاصة عندما يغفل المترجمون عن معنى بعض الاصطلاحات، كما ورد في ترجمات إنجليزية عن ١كورنثوس ٧: ١ «حسن للرجل أنّ لا يتزوج». أما العبارة الأصلية والتي يوردها باقي المترجمين «حسن للرجل أن لا يمس امرأة» فهي تعني أن لا يضاجع الرجل المرأة، ولا تعني البتة أي شيء له صلة بالزواج. على أن ترجمة إنجليزية وجدت تعبيرًا مخففًا يفي بالمعنى، وهو التعبير الأنجح فقالت «حسن للرجل أن لا تكون له علاقات بامرأة».

٣ **المفردات اللغوية:** عندما يتحدث الناس عن الترجمة، عادة ما يظنون أنها مهمة بسيطة تقتصر على إيجاد الكلمة العربية التي تعطي ذات المعنى الذي تعطيه الكلمة في العبرية أو اليونانية. إلا أن إيجاد الكلمة الصحيحة الدقيقة هو الذي يجعل من الترجمة شأنًا شاقًا. ومن أسباب صعوبة اختيار الكلمة المناسبة في اللغة المترجم إليها أنه يلزم اختيار كلمة لا تحمل من المعاني الضمنية ما هو غريب على اللغة الأصلية.

ويزداد الأمر تعقيدًا إذ أن بعض الكلمات العبرية أو اليونانية تحمل الكثير من المعاني التي يختلف مداها أو نطاقها عن أي شيء في اللغة العربية. زيادة على ذلك، قد تحمل بعض الكلمات عدة ظلال للمعاني، كما قد تحمل معنيين مختلفين أو أكثر. أما تعمد جعل الكلمات عند ترجمتها تحتمل أكثر من معنى كما في لغتها الأصلية فهي عادة ما تكون مستحيلة عند الترجمة من لغة إلى أخرى.

ولقد سبق وذكرنا كيف اختارت بعض الترجمات أن تترجم كلمة «عذراء» في كورنثوس الأولى ٧: ٣٦ وأشرنا في الفصل الأول إلى صعوبة استخدام بولس الرسول لكلمة «ساركس» (جسد) في حالات ترجماتها المختلفة وإلى أن إيراد كلمة مختلفة غير الكلمة الحرفية (جسد) تعطي معنى أفضل وهذا ما فعلته الترجمة التفسيرية (ت.ت) فقد تعاملت جيدًا مع هذه الكلمة بالذات وأعطتها تعبير «الناحية البشرية» في رومية ١، ٢ عندما أشارت إلى نسل يسوع من داود، وأيضًا في كورنثوس الثانية ٥: ١٦ المشار إليها سابقًا، سمتها «المعرفة البشرية» أيضًا كورنثوس الأولى ١: ٢٦ استخدمت كلمة «بشريته» وسمتها «جسد بشريته» في كولوسي ١: ٢٢.

النحو وتركيب الجمل: مع أن بعض اللغات تتشابه كثيرًا، إلا أن لكل لغة تراكيبها المفضلة حول كيفية ارتباط الكلمات والأفكار فيما بينها داخل الجمل. وهذه هي عينها المجالات التي يفضل أن يتم فيها استخدام نظرية التكافوء الديناميكي. فالترجمة الحرفية تميل إلى إساءة استخدام أو تجاهل تراكيب لغة الاستقبال، وذلك بإقحام قواعد النحو وتركيب الجمل من اللغة الأصلية إلى اللغة المترجم إليها. وعادة ما يكون مثل هذا الاقتحام المباشر «ممكنًا» في لغة القارئ، ولكنه قلما يكون أمرًا مفضلاً عمله. لقد اخترنا من بين مئات الأمثلة، واحدًا من اللغة اليونانية وآخر من العبرية:

(أ) إن إحدى خصائص اللغة اليونانية هي ولعها بأسلوب «المضاف إليه» وهو الحالة الدالة على الملكية. والتي تستخدم، على سبيل المثال، كنعوت أو صفات، وذلك من أجل توضيح المصدر، أو تضمين علاقات خاصة بين اسمين ...إلخ. وعادة تقوم الترجمة الحرفية بترجمة هذه التراكيب كما هي مثل «جمر نار» رومية ١٢: ٢٠ أو «كلمة قدرته» عبرانيين ١: ٣، كلا المثالين قد ترجما في الترجمة اليسوعية الجديدة «جمرًا متقدًا» و «كلمته القديرة» وعلى هذا النحو، نقرأ في ترجمة فان

دايك «صبر رجائكم» ١تسالونيكي١ : ٣ بينما نقرؤها في ترجمة كتاب الحياة «ثبات الرجاء».

ومن الجدير بالملاحظة في أنه يصعب في بعض الأحيان ترجمة المضاف والمضاف إليه من اللغة اليونانية إلى بعض اللغات الأخرى كما هو واضح في كورنثوس الأولى ٣: ٩ فكل عبارة بولس الرسول في اليونانية جاءت في حالة الإضافة التي تعني الملكية فكما أن الفلاحة هي فلاحة الله والبناء هو بناء الله فكذلك بولس وأبولوس (نحن) هما عاملان ملك لله.

(ب) في بعض الترجمات الحرفية للكتاب المقدس قام المترجمون في كثير من المرات باتباع ترتيب الكلمات العبرية بطريقة لا تجعل لغة الاستقبال في بعض اللغات سلسة أو مألوفة، فعلى سبيل المثال، هل لاحظت عدد المرات التي تبدأ فيها الآيات أو الجمل بحرف العطف «واو»؟ اقرأ الأصحاح الأول من سفر التكوين، ولاحظ بأن كل عدد تقريبًا في الأصحاح قد بدأ بحرف العطف (الواو)، وكذلك بدايات بعض الأسفار مثل يشوع وقضاة وصموئيل الأول وعزرا وراعوث وأستير الأمر الذي أدى إلى ركاكة في اللغة عند ترجمة هذه الأسفار إلى بعض اللغات وهذا الأمر غير ملحوظ في اللغة العربية حيث لا يُعد استخدام حرف العطف بهذا الشكل أمرًا غريبًا.

والآن لاشك أيها القارئ العزيز في أنك قد تتساءل بشأن الترجمات العربية للكتاب المقدس. إذن ما هي الترجمة الأفضل؟ وهنا نقول بأنه لا يوجد جواب قاطع لهذا السؤال. فلكل ترجمة من الترجمات مزاياها وعيوبها. لكن من المؤكد أن استخدام أكثر من ترجمة عند قراءة ودراسة الكتاب المقدس يعاون على إظهار بعض المعاني التي قد تغفلها إحدى الترجمات.

٣

الرسائل

تعلم التفكير بناء على القرينة

الفصل الثالث

الرسائل
تعلم التفكير بناء على القرينة

- طبيعة الرسائل.
- القرينة التاريخية.
- القرينة الأدبية.
- الفصول الكتابية صعبة الفهم.

نبدأ بحثنا هذا في دراسة أنواع النصوص الكتابية المختلفة في الكتاب المقدس بدراسة رسائل العهد الجديد. ولعل إحدى الأسباب التي تدعونا للبدء بدراسة الرسائل هو ما يظهر فيها من سهولة في التفسير. فمَنْ الذي يحتاج مثلاً إلى مساعدة خاصة لفهم جملة «إذ الجميع أخطأوا» (رو ٣: ٢٣)، أو «أجرة الخطية هي موت» (رو ٦: ٢٣)، أو «لأنكم بالنعمة مُخلَّصون» (أف ٢: ٨)، ومَنْ ذا الذي يجد صعوبة لفهم الآيات الواردة في صيغة الأمر مثل: «اسلكوا بالروح» (غل ٥: ١٦) و«اسلكوا في المحبة» (أف ٥: ٢)؟

لكن من جهة ثانية، يمكن لفكرة «سهولة» تفسير الرسائل أن تكون خادعة جدًا. والأمر بالفعل كذلك، بالأخص في مستوى مبادىء التفسير الحياتي. ولو حاول أحدهم قيادة مجموعة في دراسة لرسالة كورنثوس الأولى على سبيل المثال، سيرى مدى وكثرة الصعوبات. فقد يسأل بعضهم مثلاً السؤال التالي: «كيف يمكننا اعتبار رأي الرسول بولس في (٧: ٢٥) ككلمة الله؟» خاصة إذا كان أولئك الناس – في زمن بولس – لا يتفقون شخصيًا مع مضامين ذلك الرأي. وقد تستمر الأسئلة: كيف يمكن تطبيق عزل الأخ من الكنيسة (الأصحاح الخامس) على الكنيسة المعاصرة، إذ كان في إمكانية هذا «الأخ» عبور الشارع والذهاب إلى كنيسة أخرى؟ ما الغاية من الإصحاحات ١٢–١٤ من كورنثوس الأولى، إذا كان الدارس في كنيسة لا تؤمن بأن المواهب الروحية مازال معمولاً بها في القرن الحادي والعشرين؟ كيف يمكننا تجنب التلميح الواضح في ١١: ٢–١٦ بوجوب تغطية المرأة رأسها عندما تصلي أو تتنبأ أو الإشارة الضمنية الواضحة بأن على المرأة أن تصلي أو تتنبأ في الجماعة المجتمعة للعبادة.

من هذا الكم الكبير من الأسئلة يتضح جليًا بأن تفسير الرسائل ليس بالسهولة المحسوبة. لكن، وبسبب أهمية الرسائل للإيمان المسيحي، ولأن الكثير من قضايا علم التفسير الهامة تثار فيها، سنقوم باستخدامها كنماذج للقضايا الاستنتاجية والحياتية التي نود أن نثيرها في هذا الكتاب.

طبيعة الرسائل

قبل أن نأخذ الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس كنموذج محدد لعملية التفسير الاستنتاجي للرسائل، يجدر بنا التحدث بشكل عام عن كل الرسائل (العهد الجديد كله ما عدا الأناجيل الأربعة، وسفر الأعمال، وسفر الرؤيا).

أولاً، علينا الإشارة إلى أن الرسائل نفسها ليست مجموعة متجانسة واحدة.

فقد قام «أدولف ديسمن» قبل سنوات عديدة وعلى أساس الاكتشافات الواسعة لمخطوطات ورق البردي، بالتمييز بين «الخطابات» و«الرسائل» الأولى وهي «الخطابات الفعلية» كما سماها ديسمن. فهي لم تكن كتابات أدبية، بمعنى أنها لم تكن موجهة إلى الجمهور أو إلى الأجيال القادمة، بل إلى شخص أو أشخاص تم إرسال هذه الخطابات إليهم. وعلى عكس هذا النوع من الخطابات، فإن «الرسائل» كانت عبارة عن كتابات أدبية فنية أو نوعًا من أنواع النصوص المختلفة المقصود توجيهها إلى الجمهور أو العامة. ولقد صنف ديسمن كل رسائل بولس الرسول ورسالتي يوحنا الثانية والثالثة باعتبارها «خطابات» أو خطابات فعلية. إلا أن بعض العلماء والدارسين الآخرين حذَّروا من محاولة إحالة كل رسائل العهد الجديد إلى إحدى الفئتين المذكورتين، لكن هذا التحذير لم ينفِ وجود تمايز في الرسائل وقد صار واضحًا حقًا في بعضها.

إن رسالتي رومية وفليمون لا تختلفان فيما بينهما من حيث المضمون فقط، بل أيضًا من حيث كون الثانية شخصية بدرجة تفوق الأولى بكثير. وبالمقارنة مع رسائل بولس الرسول الأخرى، فإن رسالة بطرس الثانية ورسالة يوحنا الأولى هما رسالتان.

وللتأكد من صحة هذا التميز علينا دراسة «صيغة» أو «قالب» الخطابات القديمة. فكما أن لخطاباتنا اليوم قالبًا متعارفًا عليه (التاريخ، التحية، الموضوع الأساسي، الفقرة الختامية، التوقيع)، كذلك كان للخطابات القديمة قالبها. وقد تم العثور على آلاف من الخطابات القديمة، ولمعظمها نمط يمتاز بدقة الشبه ورسائل العهد الجديد (راجع رسالة المجمع المذكور في أعمال ١٥: ٢٣-٢٩). **يتألف هذا القالب من أجزاء ستة:**

١- اسم الكاتب (بولس الرسول، على سبيل المثال).

٢- اسم المرسل إليهم (كنيسة الله التي في كورنثوس، مثلاً).

٣- التحية (نعمة لكم وسلام من الله أبينا...).

٤- صلاة الطلبة أو الشكر (أشكر إلهي في كل حين من جهتكم...)

٥- الموضوع الأساسي.

٦- التحية الختامية والوداع (نعمة ربنا يسوع المسيح تكون معكم).

ولعل العنصر الوحيد المتغير في هذا القالب هو العنصر الرابع، الذي يأخذ في معظم الرسائل القديمة طابع دعاء أو أمنية (وهو تقريبًا يتماثل مع ٣يوحنا ٢) أو يُسقط كليًا من الخطاب (كما في غلاطية، تيموثاوس الأولى، تيطس)، أو قد تجد صلاة شكر وصلاة طلبة (هذا يتكرر كثيرًا في رسائل بولس الرسول). وقد تحولت صلاة الشكر هذه في ثلاث من رسائل العهد الجديد إلى تسبيحة شكر لله (كورنثوس الأولى، أفسس، وبطرس الأولى، انظر أيضًا رؤيا ١: ٥، ٦).

أما «رسائل» العهد الجديد والتي ينقصها أي من عناصر القالب ١-٣ أو ٦ فهي تلك التي لا تصل بالفعل إلى كونها خطابات، وذلك مع أنها تعتبر جزئيًا رسائل في منوالها. كرسالة العبرانيين، على سبيل المثال، والتي وُصفت كمذكرة في ثلاثة أجزاء منها وخطاب في جزء واحد، هذه الرسالة قد أُرسلت فعلاً إلى جماعة معينة من الناس، كما هو واضح من (١٠: ٣٢-٣٤؛ ١٣: ١-٢٥) -لاحظ قالب الخطاب في ١٣: ٢٢-٢٥ على وجه الخصوص- ومع ذلك، فإن الإصحاحات من ١-١٠ قليلاً ما تشبه الخطاب وهي في الواقع بمثابة عظة فصيحة تقدم الجدل المبرهن على تفوق المسيح التام وتتخللها كلمات وعظية محذرة تدعو بضرورة تمسك القراء بإيمانهم بالمسيح (٢: ١-٤؛ ٣: ٧-١٩؛ ٥: ١١-٦: ٢٠؛ ١٠: ١٩-٢٥). وقد سماها الكاتب نفسه «كلمة الوعظ» (١٣: ٢٢).

أما رسالة يوحنا الأولى فهي تشبه الرسالة إلى العبرانيين لكنها لا تحتوي على أي من عناصر قالب «الخطابات». برغم ذلك، فمن الواضح أنها قد كُتبت

إلى جماعة معينة من الناس (انظر ٢ : ٧، ١٢-١٤، ١٩، ٢٦) وهي تشبه من حيث موضوعها الأساسي أي خطاب باستثناء اختصار كل عناصر القالب. وما يراد قوله هنا الآن هو أن الرسالة ليست مجرد بحث لاهوتي للكنيسة بشكل عام.

أما رسالتا يعقوب وبطرس الثانية فيمكن اعتبارهما «خطابين» لكن تنقصهما التحية الختامية والوداع. ولا يظهر في كلتاهما أيضًا لمن أُرسلتا بالتحديد، ولا وجود لأية ملامح شخصية من قِبل الكاتبين. وهما أقرب إلى أن تكونا بمثابة «رسائل» أي أنها أُرسلت إلى الكنيسة ككل، مع أن رسالة بطرس الثانية تبدو وكأنها صدرت كرد على بعض مَنْ كانوا ينكرون مجيء المسيح الثاني (٣: ١-٧). من جهة أخرى تفتقر رسالة يعقوب إلى جدل متواصل، بحيث تبدو وكأنها مجموعة عظات عن مواضيع أدبية متنوعة أكثر من كونها خطابًا.

إن هذين العاملين بالتحديد (أي المناسبة التي دعت للرسائل، وتاريخها الراجع إلى القرن الأول) هما اللذان يجعلان أمر تفسيرها صعبًا أحيانًا.

لكن وعلى الرغم من كل هذا التنوع في أنواع الرسائل، إلا أن هناك شيئًا مشتركًا بينهم جميعًا، وهذا أمر جدير بالدراسة عند قراءة وتفسير الرسائل وهو في كونها تعد بمثابة وثائق مناسبات، (بمعنى أنها صدرت وقصد بها كصدى لمناسبات معينة) وأنها جميعها تعود إلى «القرن الأول». وهي على الرغم من كونها جميعها موحى بها من الروح القدس وبالتالي صالحة لكل زمان، فقد كُتبت في الأصل ضمن إطار بيئة الكاتب لتصل إلى بيئة وظروف المرسل إليهم الأصليين. إن هذين العاملين بالتحديد (أي المناسبة التي دعت للرسائل، وتاريخها الراجع إلى القرن الأول) هما اللذان يجعلان أمر تفسيرها صعبًا أحيانًا.

وهنا يجب أن نأخذ طبيعة «خطابات» المناسبات مأخذ الجد، أكثر من أي أمر آخر. بمعنى أنها «خطابات» دعت إلى كتابتها أحوال أو ظروف خاصة تتعلق إما بالكاتب أو القارئ المستلم. وهنا نرى أن كل رسائل العهد الجديد تكاد تكون قد دعت لكتابتها أمور من قِبل القراء (ما عدا فليمون، يعقوب، وربما رومية). ففي العادة كانت مناسبات كتابة تلك الخطابات ردًا على سلوك كان يحتاج إلى تصحيح، أو خطأ عقائدي كان بحاجة إلى تصويب أو سوء فهم كان يحتاج إلى توضيح أكثر.

وتعود أسباب معظم مشاكلنا في تفسير الرسائل إلى كونها في الواقع رسائل لها مناسبات، فالأجوبة لدينا لكننا لا نعلم دائمًا ما هي الأسئلة أو المشاكل أو حتى ما إذا كان هناك مشكلة. فالأمر يشبه تمامًا شخصًا يستمع إلى طرف واحد من مكالمة هاتفية. ثم يحاول استنتاج هوية المتكلم في الطرف الآخر وما الذي يقوله. نحن نحتاج في حالات كثيرة لسماع الطرف الآخر لكي نعرف ما الذي يجيب عليه الفصل الكتابي الذي نحن بصدده.

هناك أمر آخر وهو أن طبيعة رسائل المناسبات تعني أيضًا بأنها ليست بحوثًا لاهوتية في أصلها. فهي لا تحوي خلاصة وافية عن الفكر اللاهوتي لبولس الرسول أو لبطرس الرسول. نعم يوجد فيها مضامين لاهوتية، لكنها دائمًا بمثابة «لاهوت لمهمة معينة» أي فكر لاهوتي كُتب لمعالجة مهمة مطروحة على ساحة الواقع. وهذا صحيح حتى في ما يتعلق برسالة رومية التي تُعَد من أوفى كتابات بولس اللاهوتية. ولكنها تقدم مجرد جزء من فكر الرسول بولس اللاهوتي، وهي قد جاءت وليدة مهمة بولس الخاصة كرسول للأمم. إنها بمثابة صراع خاص يخوضه الرسول لتثبيت حق الأمم في نعمة الله، ومدى تعلق هذا الحق بمسألة الناموس الأمر الذي أعطى الطابع الخاص لرسالة رومية (٨ مرات)، وإلى استخدام كلمة «التبرير» كاستعارة مجازية أساسية لمفهوم الخلاص على رسالة

رومية (١٥ مرة) ورسالة غلاطية (٨ مرات)، في حين تتكرر مرتين فقط في سائر رسائل بولس الأخرى (١كو ٦ : ١١؛ تي ٣ : ٧).

وهكذا يعود الدارس مرة بعد مرة للرسائل لأجل معرفة الفكر اللاهوتي المسيحي وهي تزخر به. لكن عليه أن لا ينسى بأن الرسائل لم تُكتب لغاية استعراض اللاهوت المسيحي كهدف أول. فاللاهوت المسيحي يأتي دائمًا لخدمة الحاجة الخاصة. وسوف ندرس هذا الأمر وما يتضمنه عندما نصل إلى التفسير الحياتي في الفصل التالي.

وهنا وبناء على كل هذه التمهيدات قد يتساءل الدارس كيف يمكننا البدء بالتفسير الاستنتاجي للنص أو القراءة الاستنتاجية المستنيرة للرسائل؟ وردنا هو بأننا سنباشر في دراسة لرسالة كورنثوس الأولى، دراسة تصلح كنموذج لباقي الرسائل. ونحن لا نعني بأن هذه الرسالة تشبه كل الرسائل، لكن ما يُطرح من أسئلة والتي يمكن طرحها حول أي رسالة أخرى يكاد يكون كله موجودًا في كورنثوس الأولى.

القرينة التاريخية

أول أمر يتوجب على الدارس البدء فيه أثناء دراسة أي من الرسائل هو القيام باسترجاع أو إعادة تخيل الموقف الذي كان كاتب الرسالة يتحدث عنه. ومع أن هذه العملية تعتمد على التجربة إلا أنها تعتمد على ما لدينا من معلومات أيضًا. فعلى سبيل المثال نسأل السؤال التالي: ما الذي كان دائرًا في كورنثوس الأمر الذي جعل بولس الرسول يكتب رسالته الأولى إليها؟ وكيف وصلت إليه أخبار الوضع هناك؟ وما العلاقة التي كانت تربطه بهم؟ وما نوع الاتصال السابق الذي كان له معهم؟ أيضًا ما المواقف التي يعكسها كل من بولس الرسول وأهل كورنثوس

في ذلك الخطاب؟ ويمكننا أن نرى بأن هذه هي نوعية الأسئلة التي تحتاج للإجابة عنها، فماذا تفعل؟

أولاً: عليك العودة إلى موسوعة للكتاب المقدس أو إلى مقدمة لأحد كتب التفسير لمعرفة ما يمكنك معرفته عن مدينة كورنثوس وشعبها. عليك أن تعرف مثلاً هذا الأمر الهام وهو أن مدينة كورنثوس كانت مدينة حديثة العهد نسبيًا، إذ كان لها من العمر أربعة وتسعون عامًا فقط عندما زارها بولس الرسول للمرة الأولى. ومع ذلك وبسبب موقعها التجاري الاستراتيجي فقد شهدت نموًا تجاريًا سريعًا لا يُصدق. وحسب المقاييس القديمة، كانت كورنثوس مدينة عالمية تتميز بثرائها وفنونها وأديانها (كان فيها ما لا يقل عن ستة وعشرين معبدًا وهيكلاً) وكانت ذائعة الصيت من حيث الفسق والفجور شأنها في ذلك شأن الكثير من المدن الكبيرة في عالمنا المعاصر. لذا فهذا الخطاب يختلف جدًا عن الخطابات الموجهة مثلاً لكنيسة في الريف. كل هذه الأمور عليك أن تبقيها في ذهنك وأنت تقوم بالدراسة، لترى مدى تأثير ذلك على كيفية فهمك لكل جزء من الخطاب.

ثانيًا: عليك أن تنمي فيك عادة قراءة الرسالة كاملة في جلسة واحدة. وهنا ستحتاج لتخصيص ساعة من الوقت أو نحوها لفعل ذلك فهذا تدريب لا غنى عنه. وهذا عين ما تفعله عند قراءة أي خطاب آخر. هناك بعض الأمور التي تحتاج ملاحظتها أثناء قراءتك لكن لا يمكنك في هذه المرحلة استيعاب معنى كل كلمة أو جملة فالنظرة الأشمل هي بيت القصيد في بداية الأمر.

نحن لا نستطيع أن نصف مدى أهمية القراءة وتكرارها مرات ومرات. حتى بعد أن تقسم الرسالة إلى أقسامها أو إلى أجزائها المنطقية عد إلى دراسة كل قسم بالطريقة نفسها تمامًا. اقرأ وأعد القراءة، وابق منتبهًا!

أثناء قراءتك لكل الخطاب بدون توقف ستستفيد إن قمت بتدوين بعض

الملاحظات المختصرة مع تحديد أماكنها في الرسالة خصوصًا إن كنت تميل للنسيان. والسؤال الآن هو ما النقاط التي ينبغي الانتباه إليها أثناء القراءة حتى تلم بالموضوع بشكل عام؟ تذكر أن الهدف هنا وقبل كل شيء هو استرجاع المشكلة. **وها نحن نقترح أربعة أنواع من الملاحظات:**

١- ما تلاحظه حول المرسل إليهم مَنْ هم، مثلاً هل هم يهود أم يونانيون، سادة أم عبيد، ما هي مشاكلهم، ومواقفهم... إلخ.

٢- ما هي مواقف بولس الرسول؟

٣- لاحظ أي أمور خاصة ذُكرت فيما يتعلق بمناسبة معينة أدت إلى كتابة الرسالة.

٤- لاحظ أقسام الرسالة الطبيعية والمنطقية.

إن كانت ملاحظة كل هذه الأمور صعبة على أن تتم في قراءة واحدة، وإن كانت ستتسبب في خسران فائدة القراءة الشاملة للرسالة، قم بالقراءة أولاً، ثم عد بسرعة واقرأ الرسالة مرة أخرى متصفحًا إياها لالتقاط تلك النقاط. **إليك بعض الأمور التي قد تلاحظها، مرتبة بحسب الملاحظات الأربع المقترحة أعلاه.**

١ أغلب مسيحيي كورنثوس أساسًا من الأمم مع وجود لبعض المسيحيين من أصل يهودي (انظر٦: ٩-١١؛ ٨: ١٠، ١٢: ١٣)، هؤلاء كانوا يحبون الحكمة والمعرفة على ما يبدو (١: ١٨-٢: ٥؛ ٤: ١٠؛ ٨: ١-١٢) متهكمين (٦: ٥)، متكبرين ومتعجرفين (٤: ١٨؛ ٥: ٢، ٦) لدرجة الحكم على بولس الرسول (٤: ١-١٥؛ ٩: ١-١٨) وأيضًا لديهم العديد من المشاكل الداخلية.

٢ يتأرجح موقف بولس الرسول من كل هذا بين التوبيخ (٤: ٨-٢١؛ ٥: ٢؛ ٦: ١-٨) والمناشدة (٤: ١٤-١٧؛ ١٦: ١٠، ١١) والحث (٦: ١٨-٢٠؛ ١٦: ١٢-١٤).

٣ أما فيما يتعلق بمناسبة الرسالة، فربما قد لاحظت ما قاله بولس الرسول في ١: ١٠-١٢ بأنه قد «بلغه» خبرهم على لسان أهل خلوي، أيضًا ٥: ١ تشير إلى معلومات قد وصلته. وفي ٧: ١ يقول: «وأما من جهة الأمور التي كتبتم لي عنها»، مما يدل على أنه قد استلم رسالة من الكنيسة، هل لاحظت أيضًا تكرار قوله «وأما من جهة...» في ٧: ٢٥؛ ٨: ١؛ ١٢: ١؛ ١٦: ١؛ ١٦: ١٢؟

من المحتمل أن تكون كل هذه الآيات ردودًا على بنود رسالتهم وقد تناولها بولس الرسول واحدة واحدة. هناك أمر آخر أيضًا، هل لاحظت «مجيء» استفاناس وفرتوناتوس وأخائيكوس في ١٦: ١٧؟ بما أنه يطلب «الخضوع» لاستفاناس (عدد١٦) فمن المؤكد أن هؤلاء الرجال كانوا قادة في الكنيسة، ومن المرجح بأنهم قد حملوا رسالة الكنيسة إلى بولس الرسول بصفتهم وفدًا رسميًا.

إن كنت لم تتمكن بعد من ملاحظة كل هذه الأمور، فلا تيأس. نحن درسنا هذه الرسالة مرات كثيرة لهذا صارت مألوفة بالنسبة لنا. وما يهم في الأمر هو أن تقرأ بانتباه لتستطيع التقاط مثل هذه الأنواع من الأدلة.

٤ نأتي الآن بك إلى المسألة الهامة وهي وضع تقسيم للرسالة. وهذا أمر هام لهذه الرسالة بالتحديد، لأن دراستها أو قراءتها ستكون أسهل لو فعلنا ذلك بحسب «الموضوعات». لن تجد كل رسائل بولس الرسول مقسمة إلى مواضيع مستقلة غير أن عمل تقسيم للرسائل يكون دائمًا نافعًا.

وعادة ما نبدأ بالتقسيمات الواضحة الرئيسية. وفي هذه الحالة يُشكل ٧: ١ التحول الرئيسي في الرسالة. فبما أن بولس الرسول يذكر هنا رسالتهم له، وحيث أن هناك ذِكرًا في ١: ١٠-١٢؛ ٥: ١ لأمور وصلت إليه، نستطيع الافتراض بأن المسائل المذكورة في الإصحاحات ١-٦ هي أجوبة للأمور التي أُبلغ بها. لذا

فإن العبارات الافتتاحية ومواضيع البحث هي النقاط التي تساعد على تقسيم الرسالة، **وهناك أربعة أقسام للإصحاحات الستة الأولى:**

(أ) مشكلة الانقسام في الكنيسة (١: ١٠-٤: ٢١)

(ب) مشكلة مرتكب زنى المحارم (٥: ١-١٣)

(ج) مشكلة الدعاوي القضائية (٦: ١-١١)

(د) مشكلة الزنى (٦: ١٢-٢٠)

ولقد سبق وأشرنا إلى النقاط التي ساعدت في تقسيم معظم الإصحاحات ما بين ٧-١٦ على أساس الصيغة الافتتاحية «وأما من جهة» (أو ما شابهها في الترجمة). أما النقاط غير المبدوءة بهذه الصيغة فهي ثلاث ١١: ٢-١٦؛ ١١: ١٧-٣٤؛ ١٥: ١-٥٨ لعل الأمور الموجودة في الأصحاح ١١ (على الأقل في ١١: ١٧-٣٤) كان قد أُبلغ بها أيضًا، لكنها مشمولة هنا لكون كل الأمور المذكورة ما بين أصحاح ٨ و١٤ تتحدث عن العبادة بشكل أو بآخر.

أما أصحاح ١٥ فمن الصعب معرفة ما إذا كان ردًا على الرسالة التي أرسلوها له. والعبارة التي تقول «فكيف يقول قوم بينكم» في عدد ١٢ لا تساعد كثيرًا، ذلك لإمكانية كون بولس الرسول يقوم بالاقتباس من تقرير عنهم أو من رسالة منهم. **وعلى أية حال، يمكن تقسيم باقي رسالة كورنثوس الأولى بسهولة:**

(٧: ١-٢٤) السلوك ضمن العلاقة الزوجية.

(٧: ٢٥-٤٠) العذارى

(٨: ١-١١: ١) الأطعمة المذبوحة للأوثان

(١١: ٢-١٦) تغطية رأس المرأة في الكنيسة

(١١: ١٧-٣٤) مشكلة الإساءة إلى مائدة الرب

(١٢ – ١٤) المواهب الروحية

(١٥: ١–٥٨) قيامة أجساد المؤمنين

(١٦: ١–١١) موضوع جمع المال

(١٦: ١٢) عودة أبلوس

(١٦: ١٣–٢٤) الحث الختامي والتحيات

لاحظ أي اختلاف لهذا التقسيم المقترح للرسالة مع التقسيم الذي تستخدمه الترجمة التي بين يديك.

وقبل المضي قدمًا، علينا ملاحظة هذين الأمرين بانتباه:

الأول: الموضع الآخر الوحيد في الرسائل والذي يتناول فيه بولس الرسول سلسلة متعاقبة من الأمور المنفصلة كهذه موجود في ١تسالونيكي ٤–٥ لكن وفي أغلب الأحوال، جاءت الرسائل الأخرى لتشكل في مضمونها موضوع جدل طويل وواحدًا – مع أن لهذا الجدل أحيانًا أجزاء متعددة وواضحة.

الثاني: هذا التقسيم هو على سبيل التجربة لا أكثر. فما نعلمه عن مناسبة الرسالة هو معرفة سطحية، فكل ما نعرفه أن ما دفعه لكتابة الرسالة تقرير وصله عنهم ورسالة وردت منهم إليه. ولكن ما نريد معرفته بالتحديد هو «الطبيعة الدقيقة لكل مشكلة كانت في كورنثوس» وجعلت بولس الرسول يكتب الردود التي نحن بصددها. لذا وتحقيقًا لهدفنا سنركز على أمر واحد فقط وهو دراسة مشكلة الانقسام في الكنيسة في الإصحاحات ١–٤ بالإضافة إلى دراسة القرينة التاريخية للإصحاحات ١–٤ في كورنثوس الأولى.

القرينة التاريخية لكورنثوس الأولى ١- ٤

نؤكد على أنك كلما اقتربت من كل جزء من الأجزاء الأصغر في الرسالة ستحتاج لأن تكرر معظم ما فعلناه سابقًا. **لو تخيلنا بأننا الآن نطلب منك القيام بواجب ما لكل درس، فسنطلب الآتي:**

(أ) اقرأ كورنثوس الأولى ١-٤ قراءة متصلة مرتين على الأقل (يفضل أن تقرأ ترجمتين مختلفتين). تذكر أنك تقرأ لمجرد الإلمام بالصورة العامة، ولتأخذ فكرة عن المشكلة ككل بهذه الإصحاحات. بعد أن تتم القراءة للمرة الثانية (أو ربما للمرة الثالثة أو الرابعة بحسب عدد الترجمات التي عندك)، عد إلى البداية.

(ب) دوِّن في دفتر ملاحظات كل الأمور التي يمكنها أن تخبرك شيئًا عن المرسل إليهم وعن مشكلتهم. حاول أن تكون دقيقًا هنا ودوِّن كل شيء. وبعد إلقاء نظرة عن قرب ربما تحتاج للعودة ثانية من أجل شطب بعض الأمور لكونها غير مناسبة.

(ج) اكتب قائمة بالكلمات المفتاحية والعبارات المتكررة التي تشير إلى موضوع المسألة التي يَردُّ عليها بولس الرسول.

إن أحد الأسباب لاختيار هذا القسم من الرسالة كنموذج ليس بسبب مجرد أهميته الكبيرة في رسالة كورنثوس الأولى فقط، بل أيضًا وفي الحقيقة لصعوبته. فإن كنت قد قمت بقراءة القسم كاملاً بعناية، وبعين منتبهة للمشكلة، فلربما قد لاحظت، بل وشعرت بخيبة أمل لأن بولس الرسول وإن كان يبدأ رسالته بذكر المشكلة (١: ١٠-١٢) إلا أن بداية رده (١: ١٨-٣: ٤) لا صلة له بالمشكلة على الإطلاق.

في الواقع، قد يتبادر إلى ذهن الدارس الظن بأن ١: ١٨-٣: ٤ ما هو إلا انحراف عن الموضوع إلا أن بولس الرسول لا يجادل فعليًا لدرجة قد نعتبره

فيها وقد خرج عن موضوعه، بالإضافة إلى أن الخلاصة في ٣: ١٨-٢٣ «الحكمة» و «الجهالة» (وهما الفكرتان الرئيسيتان في ١: ١٨-٣: ٤) قد قام بولس بالجمع بينهما وبين «الافتخار بالناس» مع إشارات لبولس وأبلوس وصفا. إذًا إن المسألة الهامة تكمن في اكتشاف المشكلة، وفي إدراك كيفية تداخل كل هذه الأمور مع بعضها.

وخير مكان نبدأ منه دراستنا هو ملاحظة ما قاله بولس الرسول نفسه. ففي ١: ١٠-١٢ نراه يقول إنهم منقسمون بحسب أسماء قادتهم (انظر أيضًا ٣: ٤-٩؛ ٣: ٢١-٢٢؛ ٤: ٦). فهل لاحظت أن انقسامهم ليس ناتجًا عن مجرد اختلاف في الرأي فيما بينهم؟ فهم في الواقع يتنازعون (١: ١٢؛ ٣: ٣) وينتفخ أحد لأجل الواحد على الآخر (٤: ٦، وقارن ٣: ٢١).

وكل هذا يبدو واضحًا بما فيه الكفاية. غير أن التمعن أكثر في القراءة لرؤية المشكلة يجعل أمرين آخرين يطفوان على السطح:

١ يظهر بأن هناك ضغينة بين الكنيسة والرسول بولس نفسه. وهذا الأمر يصبح أكثر وضوحًا في ٤: ١-٥؛ ٤: ١٨-٢١ وإذا أخذنا ذلك في اعتبارنا، يكون الدارس محقًا عندما يرى بأن النزاع والانقسام ليس لمجرد أن بعضهم يفضل أبلوس على بولس، بل لأن أولئك في الواقع يكرهون بولس شخصيًا.

٢ إن احدى الكلمات المفتاحية لهذا المقطع هي حكمة أو حكيم (٢٦ مرة في الإصحاحات ١-٣ و١٨ مرة فقط في جميع رسائل الرسول بولس). ومن الواضح أن هذا الاستخدام للكلمة هو من باب الازدراء أكثر منه من باب المدح. فالله عازم على إبادة حكمة هذا العالم (١: ١٨-٢٢، ٢٧-٢٨؛

٣: ١٨-٢٠). وقد فعل الله هذا الشيء بالصليب (١: ١٨-٢٥) وباختياره لمسيحيي كورنثوس (١: ٢٦-٣١)، وبضعف كرازة بولس الرسول (٢: ١-٥). فالمسيح بالصليب «صار لنا حكمة من الله» (١: ٣٠)، وهذه الحكمة معلنة بالروح لمَنْ نالوا الروح.

إنّ استخدام الحكمة بهذه الطريقة في جدل الرسول بولس يجعلنا نكاد نُجزم بأنها كانت جزءًا من مشكلة الانقسام، ولكن كيف؟ نستطيع -على الأقل- أن نخمن أنهم كانوا يواصلون نزاعاتهم حول القادة وحول معارضتهم لبولس الرسول باسم الحكمة.

إن أي شيء قد نضيفه علاوة على ما قيل سيكون من باب الحدس أو التخمين. فبما أن كلمة «حكمة» هي اصطلاح فلسفي، وحيث أن الفلاسفة المتجولين من كل الفئات سادوا العالم اليوناني زمن الرسول بولس، نعتقد بأن مسيحيي كورنثوس كانوا قد ابتدأوا ينظرون إلى عقيدتهم المسيحية على أنها حكمة إلهية جديدة - فلسفة - وهذا أدى بدوره لجعلهم يجرون تقييمًا لقادتهم على أسس بشرية محضة كما لو كانوا يحكمون على أي من الفلاسفة المتجولين. ولكن لاحظ أنه مهما بلغ نفع هذا التخمين فإنه يخرج عن نطاق النص نفسه.

هناك أمور ثلاثة يمكن قولها مستندين على رد الرسول بولس:

(أ) بناء على ما جاء في ٣: ٥-٢٣ يتضح أنهم قد أساءوا جدًا فهم طبيعة وعمل القادة في الكنيسة.

(ب) أيضًا وبناء على ما جاء في ١: ١٨-٣: ٤ يبدو أنهم قد أساءوا فهم طبيعة الإنجيل الأساسية.

(ج) وبناء على ما جاء في ٤: ١-٢١ كانوا مخطئين في حكمهم على الرسول بولس وبحاجة إلى أن يعيدوا تقييم علاقتهم به. ما رأيك؟ ألم نبدأ بالتحرك تجاه تحليل رد الرسول بولس عليهم.

القرينة الأدبية

الخطوة التالية في دراسة الرسائل هي تعلم تتبع جدل بولس الرسول الذي يقدمه كرد على المشكلة التي حددناها على سبيل التجربة في المقاطع السابقة. وكما تذكر من الفصل الأول، فإن هذا العمل هو الجزء الحاسم حقًّا في عملية التفسير الاستنتاجي، وأنه بإمكانك القيام بهذا العمل في البداية دون الاستعانة بكتابات المفسرين والدارسين.

فلو أردنا منك القيام بواجب لهذا الجزء من الدرس فسيكون هكذا: تتبع جدل بولس في ١كورنثوس ١: ١٠-٤: ٢١ فقرة بفقرة ثم اشرح في جملة أو جملتين النقطة الجوهرية لكل فقرة فيما يتعلق بالجدل العام، أو بعبارة أخرى اشرح كيف تخدم هذه الفقرة كجزء من جواب الرسول بولس على مشكلة الانقسام.

ومهما قلنا يظل كلامنا قاصرًا عن إظهار مدى أهمية تعلُّمك القيام بالتفكير من خلال تقسيم النص إلى فقرات، ليس فقط من منطلق كون الفقرات هي الوحدات الطبيعية للفكر، بل أيضًا لأن التفكير بحسب الفقرات هو المفتاح الضروري والأكيد لفهم الجدل في مختلف الرسائل. تذكر أن السؤال الوحيد الذي تحتاج أن تتعلم تكرار طرحه مرة تلو المرة هو: ما القصد من هذا؟ أو ما النقطة الجوهرية المراد قولها هنا؟ **لذا عليك أن تكون قادرًا على عمل أمرين:**

١ اذكر مضمون كل فقرة بطريقة مركزة بمعنى أن تسأل: ماذا يقول الرسول بولس في هذه الفقرة؟

٢ في جملة أو اثنتين حاول شرح رأيك في سبب أو مناسبة قول بولس الرسول لما قاله في هذه المرحلة بالتحديد. وكيف يسهم مضمون ما قاله في سير الجدل العام؟

بما أننا لا نستطيع هنا أن نطبق هذا على كل ما جاء في كورنثوس الأولى ١-٤

دعونا نخوض بالتفصيل في الفقرات الثلاث الخاصة بالجزء الثاني من رد بولس ٣: ٥-١٦ وسترون بأنه حتى هذا الحد، قام بولس الرسول بوحي من الروح القدس بالرد على فهمهم المغلوط للإنجيل مشيرًا إلى أن مضمون الإنجيل -أي المسيح المصلوب- والذي يتعارض مع حكمة هذا العالم (١: ١٨-٢٥) مثلما يتعارض أيضًا اختيار الله لأولئك الذين يكونون شعب الله الجديد (١: ٢٦-٣١) وكأنما أراد بولس الرسول القول لهم إذًا أنتم تظنون بأن الإنجيل هو نوع جديد من الحكمة، أليس كذلك؟ لكن كيف يكون هذا؟ من ذا الذي كان سيدعوكم باسم الحكمة لتصيروا شعب الله الجديد؟ يُعَد وعظ بولس الرسول أيضًا إيضاحًا لهذا التعارض بين الحكمة الإنسانية والحكمة الإلهية (٢: ١-٥). غير أن بولس الرسول يؤكد لهم في (٢: ٦-١٦) بأن كل هذا في الحقيقة هو حكمة، لكنها حكمة كشفها الروح القدس لشعب الله الجديد - أي أولئك الذين فيهم روح الله. ثم ينتقل الرسول بولس من هذه النقطة للقول بأنه حيث أن مسيحيي كورنثوس لديهم الروح فعليهم أن يكفوا عن التصرف كمَنْ ليس فيهم روح الله (٣: ١-٤). والبرهان على سلوكهم وفقًا للبشر هو نزاعهم حول بولس وأبلوس.

والآن ما هو دور الفقرات الثلاث التالية في هذا الجدل؟ بالنسبة إلى ٣: ٥-٩ فالمضمون يتعامل مع طبيعة وعمل القادة الذين قام النزاع بشأنهم، إذ يشدد الرسول بولس على كون هؤلاء القادة مجرد خدام، لا أسياد كما حاولت الشعارات الكورنثية أن تصورهم، وفي الأعداد ٦-٩.

استنادًا إلى تشبيه من مجال الزراعة يشدد بولس الرسول على نقطتين حول مركزهم كخدام وهاتين النقطتين كلتاهما حاسمتان من جهة سوء الفهم المتواجد في كورنثوس:

(أ) بولس وأبلوس يعملان معًا في قضية مشتركة، رغم اختلاف مهامهما ونوال كل منهما أجرًا بحسب ما يستحق.

(ب) كل شيء وكل شخص هو ملك الله سواء الكنيسة، أو الخدام، أو النمو.

وهنا لاحظ مدى أهمية هاتين النقطتين بالنسبة للمشكلة. كان مسيحيو كورنثوس يقسمون الكنيسة بناء على قادتها. لكن هؤلاء القادة ليسوا أسيادًا يُنتمى إليهم، إنهم مجرد خدام، وإن كانت خدماتهم تختلف، فهم يظلون متساوين من حيث القضية الواحدة التي يخدمونها. وهؤلاء الخدام هم ملك لله، تمامًا كما أن مسيحيي كورنثوس أنفسهم ملك الله.

هناك نص آخر طالما أُسئ تفسيره بسبب الإخفاق في التفكير في النص الكتابي بحسب الفقرات، وهو ٣: ١٠-١٥

لاحظ أمرين:

(أ) في نهاية العدد ٩ يتحول بولس الرسول من المجاز الزراعي إلى المجاز المعماري، الذي ظل هو المجاز أو الاستعارة المستخدمة حتى نهاية الفقرة.

(ب) إن عناصر كلا الاستعارتين هي ذاتها (بولس يزرع/ يضع الأساس، أبلوس يسقي/ يبني على الأساس، كنيسة كورنثوس هي الحقل/ البناء، الله هو صاحب الحقل/ البناء). غير أن قصد كل فقرة يختلف. إن القصد من ٣: ١٠-١٥ معبر عنه بوضوح في عدد ١٠، «ولكن فلينظر كل واحد كيف يبني عليه». يتضح أيضًا من إسهاب بولس الرسول في شرح استعارته أنه يمكن للشخص أن يبني جيدًا أو على نحو رديء، وأن النتائج النهائية تكون مختلفة. لاحظ أن الذي يُبنى دائمًا هو الكنيسة، لا يوجد هناك حتى ولا تلميح واحد بأن بولس الرسول كان يشير إلى بناء المسيحي لحياته أو المسيحية لحياتها على المسيح، فمثل هذا التلميح خارج تمامًا عن موضوع الجدل هنا. فالذي

يعمله بولس الرسول هنا هو تحويل الجدل قليلاً ليحذر الذين يقودون الكنيسة بأن عليهم قيادتها بكل رعاية وعناية لأن يومًا للحساب آتٍ. إن بناء الكنيسة بالحكمة البشرية أو الكلام البليغ الذي يتحاشى الصليب هو بناء من الخشب والقش والعُشب.

والنص الذي يلي (٣: ١٦-١٧) قد أُسئ تطبيقه مرارًا، بسبب معرفتنا بأن بولس الرسول يسمي جسد الكنيسة في مقطع لاحق «هيكل الروح القدس» (٦: ١٩)، وهكذا فإن هذا النص أيضًا قد طبق على المسيحيين كأفراد للإشارة إلى إساءة استخدام الفرد لجسده أو إهمال حياته الروحية. لكن في جميع الأماكن الأخرى يستخدم بولس الرسول استعارة الهيكل بصيغة الجمع للدلالة على كون الكنيسة هي هيكل الله (٢كو ٦: ١٦؛ أف ٢: ١٩-٢٢). وهذا هو قصده هنا بالتأكيد، خاصة عندما يقول «لأن هيكل الله مقدس الذي هو أنتم».

إن بناء الكنيسة بالحكمة البشرية أو الكلام البليغ الذي يتحاشى الصليب هو بناء من الخشب والقش والعُشب.

ما هو إذًا غرض الرسول بولس في هذه القرينة؟ كان على كنيسة كورنثوس أن تكون هيكل الله في مدينة كورنثوس وذلك في مقابل كل المعايير الأخرى هناك أو بعبارتنا الخاصة نقول إن مسيحيي كورنثوس كانوا اختيار الله البديل لنمط الحياة بمدينة كورنثوس. إن روح الله الذي في وسطهم هو الذي جعل منهم هيكل الله، لكنهم كانوا يدمرون هيكل الله بانقساماتهم. وأولئك المسؤولون عن هذا التدمير سيدمرهم الله، لأن كنيسة كورنثوس كانت غالية على قلب الرب ومقدسة بالنسبة له.

وهكذا يكتمل الجدل الذي قاله بولس الرسول بوحي إلهي. فلقد بدأ بإظهار قصور فهمهم للإنجيل. فالإنجيل لم يكن غير مؤسس على حكمة البشر فقط، بل

كان أيضًا يقف ضد الحكمة البشرية بكل الأوجه. ثم يقوم بولس الرسول بإظهار سوء فهمهم للقيادة في الكنيسة وفي الوقت نفسه يحذر كل القادة والكنيسة من دينونة الله لجميع الذين يُغَذون الانقسام. وفي ٣: ١٨-٢٢ يجمع بين هاتين الفكرتين في بيان ختامي، حيث أن حكمة هذا العالم جهالة، «إذًا لا يفتخرن أحد بالناس!».

لإيجاز هذا التحليل لاحظ ما يلي:

(أ) التفسير الاستنتاجي هنا نابع من النص الكتابي ذاته، فنحن لم نلجأ ولا مرة إلى شيء خارج النص من أجل فهم ما يقول.

(ب) ليس هناك في النص ما لا يوافق الجدل الذي سقناه .

(ج) كل هذا يعطي معنى سليمًا للغاية لكل شيء.

إذًا هذا هو ما يدور حوله التفسير الاستنتاجي. فقد كانت هذه هي كلمة الله لهم. أما بخصوص الأمور التي قد تحتاج إلى مزيد من الإجابات عليها من حيث المضمون، فيمكنك الأسترشاد بما عندك من كتب تفسير. لكن بإمكانك أنت بنفسك القيام بكل ما قمنا به الآن. قد يحتاج الأمر إلى تدريب وفي بعض الحالات إلى تفكير عميق لكن من المؤكد أنك قادر على ذلك وما أعظم الفوائد التي ستجنيها.

مثال آخر

قبل أن ننهي هذا الفصل، دعونا نقوم بعملية التفسير الاستنتاجي مرة أخرى للتدريب، وفي هذه المرة سنأخذ مقطعًا أسهل بعض الشيء لا ينتمي إلى كورنثوس الأولى، لكنه مقطع يعالج الانقسام في الكنيسة أيضًا.

اقرأ فيلبي ١ : ٢٧- ٢ : ١٣ عدة مرات. لاحظ ما وصل إليه جدل بولس الرسول عند هذا الحد. المناسبة هنا هي أن بولس الرسول في السجن (١ : ١٣، ١٧) وقد

أرسلت إليه كنيسة فيلبي تقدمة بواسطة أبفرودتس (٤: ١٤-١٨). وأن مرضًا عضالاً قد أصاب أبفرودتس الأمر الذي أحزن الكنيسة لدى سماعها (٢: ٢٥-٣٠)، لكن الله رحمه، وها بولس الرسول الآن يعيده إليهم (٢: ٢٥-٣٠) محملاً إياه هذه الرسالة لكي:

١- يخبرهم عن طبيعة أحواله (١: ١٢-٢٦).

٢- يشكرهم على تقدمتهم (٤: ١٠، ١٤-١٩).

٣- يحثهم على أمرين: أن يعيشوا بوفاق (١: ٢٧-٢: ١٧؛ ٤: ٢-٣)، وأن يتجنبوا بدعة التهود (٣: ١-٤: ١).

نرى الآن أن بولس الرسول قد أتم لتوه القسم الذي أخبرهم فيه عن سير أحواله في السجن. وهذا القسم الجديد هو جزء من عملية الحث. لاحظ على سبيل المثال كيف أنه لم يعد يتحدث عن نفسه كما فعل في الأعداد ١٢-٢٦، هل لاحظت هذا التحول الواضح من استخدام ضمائر المتكلم إلى استخدام ضمائر المخاطب في عدد ٢٧؟

ما القصد أو النقطة الجوهرية إذًا من كل فقرة من فقرات هذا القسم؟

في الفقرة الأولى ١: ٢٧-٣٠ تبدأ عملية الحث. وعلى ما يبدو أن بيت القصيد هو عدد ٢٧، فقد كان عليهم أن يكونوا ثابتين في روح واحد. إنه يحثهم على الوحدة، خاصة وأنهم يواجهون مقاومة. (ملاحظة: إذا قررنا بأن العدد ٢٧ هو حقًا قصد بولس الرسول من هذه الفقرة علينا إذًا عندها أن نسأل «ما القصد من الأعداد ٢٨-٣٠ في تشديده على المقاومة والجهاد؟» لاحظ معنا الآن كيف حاولنا الإجابة على ذلك).

نسأل أولاً كيف ترتبط الفقرة ٢: ١-٤ مع وحدة الموضوع؟ إذ نراه يكرر حثه وتشجيعه (العددان ١-٢ اللذان يظهران لنا بأننا كنا محقين بشأن الفقرة

الأولى) قاصدًا التأكيد على أن التواضع هو الموقف السليم الذي يجب أن يعيشه المسيحين لينالوا الوحدة.

جرب الآن الأمر مع ٢: ٥-١١ ما المقصود؟ لماذا نرى بولس الرسول ينوه بأنشودة اتضاع المسيح ورفعته؟ من غير المفروض أن يتطابق جوابك حرفيًا مع جوابنا، لكنه بالتأكيد يجب أن يشمل التالي: لأن المسيح بتجسده وموته هو المثال الأعلى للتواضع الذي أرادهم بولس أن يتحلوا به. (ستلاحظ أنك ومن خلال طرحك للأسئلة بهذه الطريقة، سيتحول قصد الفقرة لا في أن تعلمنا شيئًا جديدًا عن المسيح فقط، بل في أن نعرف بأن بولس الرسول يستشهد بتلك الحقائق العظيمة عن المسيح ليجعل مسيحيي فيلبي يتشبهون بالمسيح، وليس مجرد أن يعرفوا عنه).

انتقل الآن إلى ٢: ١٢-١٣ ما القصد هنا؟ والجواب الواضح هو أن هذا المقطع هو الخلاصة، لاحظ كلمة (إذًا) فبناء على مثال المسيح الذي سمعوه، عليهم الآن أن يطيعوا بولس الرسول. بماذا؟ بالتأكيد بالحفاظ على الوحدة التي بدورها تتطلب التواضع.

أخيرًا، قد تلاحظ من الطريقة التي يعالج بها بولس الرسول مشكلة عدم الوحدة أو الانقسام أن المشكلة نفسها في كورنثوس كانت بدون شك ذات طبيعة أكثر خطورة وتعقيدًا. وسيساعد هذا أكثر في تأييد تخيلنا للمشكلة التي كانت في كورنثوس.

الفصول الكتابية صعبة الفهم

لقد قصدنا مشاركتك في دراسة مقطعين كتابيين مع أننا على ثقة بأنه في استطاعتك القيام بتفسير الكثير من المقاطع مستخدمًا هذا النوع من التفسير

الاستنتاجي بمفردك، طبعًا إن كنت قد تعلمت فعلاً كيفية التفكير بطريقة التقسيم إلى فقرات وطرح الأسئلة المناسبة عليها سواء المتعلقة بالتاريخ أو القرينة. مع أننا ندرك أيضًا حقيقة وجود الكثير من النصوص الأخرى التي طالما تثار حولها الأسئلة باستمرار مثل معنى «من أجل الملائكة» في كورنثوس الأولى ١١: ١٠ أو معنى «يعتمدون من أجل الأموات» في كورنثوس الأولى ١٥: ٢٩، أو كرازة المسيح إلى «الأرواح التي في السجن» في بطرس الأولى ٣: ١٩، أو «إنسان الخطية» في تسالونيكي الثانية ٢: ٣، وباختصار سؤالنا هو ماذا نفعل لإيجاد معنىً للمقاطع الصعبة الفهم؟

إليك بعض الإرشادات:

١ في حالات كثيرة يكون سبب صعوبة النصوص بالنسبة لنا هو في كونها بصراحة لم تكتب لنا. وهذا يعني أن الكاتب وقراءه الأصليين كانوا على صلة مباشرة معًا مما أتاح للكاتب الموحى له أن يبني على أشياء كثيرة لدى قرائه. وعلى سبيل المثال، عندما يقول الرسول بولس لأهل تسالونيكي بأن عليهم أن يتذكروا ما «كنت أقول لكم هذا» وأنهم «تعلمون ما يحجز» (تسالونيكي الثانية ٢: ٥-٦). فإننا نحتاج هنا إلى أن نتعلم بأن نكون قانعين بنقص معرفتنا. فما قد قاله لهم شفويًا يمكنهم الآن أن يلائموه مع ما يقوله في الرسالة. وعدم معرفتنا لما قد دار في اتصالهم الشفوي يجعل هذا الاتصال المكتوب صعبًا علينا.

نحتاج هنا إلى أن نتعلم أن نكون قانعين بنقص معرفتنا.

ويمكننا أن نأخذ الأمر التالي كقضية مُسلَّم بها: ما أرادنا الله أن نعرفه هو ما قد أوصله لنا. وما لم يقله لنا مازال يثير اهتمامنا، لكن عدم يقيننا في هذه الأمور يجب أن يجعلنا نتردد في أن نكون جازمين بشأن تفسيرنا.

٢ برغم ذلك، وكما سبق وأشرنا، فإنه حتى وإن استعصى الأمر على الدارس في أن يكون كامل اليقين بشأن بعض التفاصيل، فكثيرًا ما يكون بإمكانه إدراك القصد أو النقطة الجوهرية للمقطع الكتابي. فبغض النظر عما فعله مسيحيو كورنثوس بشأن «معمودية الأموات» فإننا نعلم لماذا أشار بولس الرسول إلى عملهم ذاك. كان عملهم هذا نوعًا من «البرهان من التجربة العملية» بأنهم كانوا يناقضون أنفسهم في رفضهم قيامة المؤمنين المستقبلية.

٣ وعلى الرغم من عدم تأكدنا من بعض التفاصيل الدقيقة يحتاج الدارس إلى تعلُّم أن يكتشف ما يمكن أن يُقال بيقين بشأن نص ما، وما يمكن أن يقال من باب الترجيح غير اليقيني. انظر مرة أخرى إلى ١ كورنثوس ١٥: ٢٩ كمثال، ما الذي يمكنك التأكد منه؟ كان بعض مسيحيي كورنثوس «يعتمدون بدل الذين يموتون» سواء رغبنا في الاعتراف بهذا أم لا. علاوة على ذلك فإن بولس الرسول لا يدين ممارستهم تلك، ولا هو يتغاضى عنها إنه يكتفي فقط بالإشارة إليها – لسبب مختلف كليًا عن تلك الممارسة ذاتها. لكننا لا نعرفه، وربما لن نعرفه أبدًا، مَنْ الذي كان يمارسها، ولمَنْ كانت تمارس، ولماذا كانوا يفعلون ذلك؟ لذا فإن تفاصيل ومعنى تلك الممارسة قد فاتتنا وربما إلى الأبد.

٤ يحسن بالدارس العودة إلى كتب تفسير جيدة حول هذه الأمور؛ لأن ما يميز كتب التفسير الجيدة من غيرها هو كيفية التعامل فيها مع هذا النوع من المقاطع الصعبة. فكتب التفسير الجيدة تستعرض وتناقش على الأقل الخيارات المتعددة التي تم طرحها كحلول، مع إبداء الأسباب المؤيدة والمعارضة لكل اختيار. وقد لا توافق بالضرورة دائمًا على اختيارات المفسر، لكنك ستحتاج بالتأكيد إلى أن تعرف عن تنوع الاختيارات التفسيرية، وهذا ما توفره لك كتب التفسير الجيدة.

أخيرًا نقر بأنه حتى الدارسون المتخصصون أنفسهم لا يملكون كل الأجوبة. يمكنك أن تتيقن بأن الخيارات قد تكون كبيرة وعددها من أربعة خيارات إلى أربعة عشر خيارًا قابلاً للتطبيق في ما يمكن أن يكون النص قد قصده، فإنه حتى علماء الكتاب المقدس أنفسهم لا يسعهم سوى التخمين! إن نصوصًا مثل كورنثوس الأولى ١٥ : ٢٩ كفيلة بجعلنا نتواضع كما يليق بنا.



ستحتاج بالتأكيد إلى أن تعرف عن تنوع الاختيارات التفسيرية، وهذا ما توفره لك كتب التفسير الجيدة.

على أية حال، فإن ما قمنا به في هذا الفصل إنما هو «نصف» المهمة. إنه النصف الأول الضروري، لكننا نريد أن نمضي ونسأل كيف يمكننا تطبيق كل هذه النصوص المتنوعة علينا. لقد تعلمنا سماع كلمة الله لهم. فماذا عن كلمته لنا؟ هذا هو موضوع الفصل التالي.

٤ الرسائل: التفسير الحياتي

الفصل الرابع

الرسائل
التفسير الحياتي

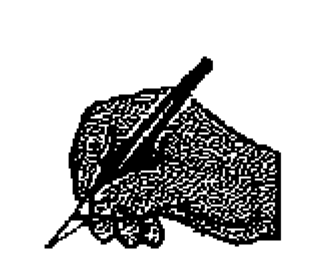
- أساليبنا التفسيرية الحياتية المتداولة.
- القاعدة الأساسية.
- القاعدة الثانية.
- المسألة الأولى: التطبيق الممتد.
- المسألة الثانية: الأمور غير المشابهة.
- المسألة الثالثة: النسبية البيئية أو الحضارية.
- المسألة الرابعة: اللاهوت المقدم لمهمة محددة.

نعود الآن إلى ما كنا قد أشرنا إليه سابقًا حول أسئلة التفسير الحياتي، وإلى ما تعنيه لنا هذه النصوص؟ هذا السؤال هو النقطة الحاسمة لكل أمر، فبالمقارنة مع مهمتنا في تقديم تفسير حياتي جيد، تظل عملية التفسير الاستنتاجي سهلة

نسبيًا؛ لأن التفسير الاستنتاجي حتى وإن واجهتنا بعض الاختلافات في الرأي فيه حول عدد من النقاط، إلا أن معظم الناس على الأقل متفقون فيه على المعنى العام، حتى الاحتمالات الموضوعية والتي قد تفرضها القرينتان التاريخية والأدبية يمكن أن نجدها ضمن حدود معينة.

فعلى سبيل المثال: لا يمكن لبولس الرسول أن يكون قد قصد أمرًا لم يسمع به هو أو قراؤه، وعلى هذا الأساس فالمعنى الذي أراده بولس الرسول لابد له من أن يكون معنى ممكنًا يتناسب مع القرن الأول الميلادي.

وهنا يلفت انتباهنا ما يلي: لا يوجد إجماع على الأمور التي تحدد معنى التفسير الحياتي والذي يعني تعلّم رؤية المعنى في بيئتنا وظروفنا المعاصرة.



إن القضية الكبرى بين المؤمنين بالكتاب المقدس ككلمة الله تتمثل في مشكلات النسبية البيئية.

فجميع الناس يمارسون التفسير الحياتي حتى وإن كانوا لا يعلمون شيئًا عن التفسير الاستنتاجي. وهنا نقول: إنه لا عجب إذًا إن وجدنا اختلافات كثيرة في التفسير بين المسيحيين.

وما نريد فعله في هذا الفصل قبل كل شيء، هو تقديم وشرح مختلف أساليب التفاسير الحياتية الشائعة بين المسيحيين وإظهار حسناتها ومساوئها، ثم مناقشة وإعطاء إرشادات لعدة مجالات قد تبدو فيها هذه الأساليب الشائعة غير ملائمة؛ لأن القضية الكبرى بين المؤمنين بالكتاب المقدس ككلمة الله تتمثل في مشكلات النسبية البيئية، أو بمعنى آخر: ما هو بيئي من بيئة قُراء الكتاب المقدس الأصليين – يختص بالقرن الأول وحده، وما يسمو فوق البيئة غير محصور ضمن بيئة قُراء الكتاب المقدس الأصليين – هو كلمة تصلح لكل العصور. ونحن بدورنا سنولي هذه القضية العناية اللازمة.

أساليبنا التفسيرية الحياتية المتداولة

ما الذي نفعله جميعنا عندما نقرأ رسائل العهد الجديد؟ بكل بساطة، ترانا نستخدم فطرتنا السليمة في التعامل مع النص محاولين تطبيق ما نستطيع تطبيقه على حالتنا الشخصية، وما لا يبدو منطبقًا علينا نتركه ببساطة في حدود القرن الأول.

فعلى سبيل المثال ليس فينا مَنْ شعر يومًا بدعوة الروح القدس إياه للسفر إلى ترواس كي يجلب رداءً لبولس الرسول من بيت كاربس وليحضره إليه في سجن رومية (٢تي ٤: ١٣) مع أن هذا المقطع يظهر لنا بوضوح ذلك الأمر. ولكن فهم معظم المسيحيين لمقطع آخر من نفس الرسالة هو أن الله يخبرهم بضرورة احتمال المشقات في أزمنة الضيق... كجندي صالح ليسوع المسيح (٢تي٢: ٣) وهنا لن يقوم أي منا بالتساؤل والجدال عما تم عمله بشأن هذين المقطعين – بل سيجاهد الكثيرون منا ساعين لطاعة المقطع الثاني طاعة حقيقية.

وهنا جدير بنا القول بأن معظم مشاكلنا – واختلافاتنا – تنجم عن تلك النصوص التي تقع بين اعتقاد البعض منا بوجوب الطاعة الكاملة لما دُون فيها بينما يظل الآخرون غير متأكدين تمامًا من هذا الأمر.

أما الصعوبات التي تواجهنا في التفسير الحياتي فهي متعددة، لكنها جميعها ترتبط بأمر واحد وهو عدم ثباتنا على مبدأ واحد. وهذا بعينه سبب الخلل الكبير في أسلوبنا التفسيري الحياتي المتداول. فترانا ودون أن نقصد ذلك بالضرورة، نجلب إلى الرسائل ونضمنها حين قراءتنا لها تراثنا اللاهوتي، ومعاييرنا الثقافية والبيئية أو همومنا الراهنة. أما ما ينجم عن عملنا هذا فهو كل أنواع التفاسير الانتقائية الممكنة أو دوران حول نصوص معينة دون أخرى.

ومن المشوق، على سبيل المثال، أن نلاحظ بأن الكثيرين من الإنجيليين

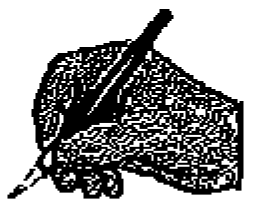
الغربيين المحافظين، يوافقون على موقفنا المشترك من تيموثاوس الثانية ٢: ٢ و٤: ١٣، غير أن البيئة الثقافية لمعظم أولئك المؤمنين أنفسهم تجعلهم يبدون حجتهم ضد طاعة ما جاء في تيموثاوس الأولى ٥: ٢٣ «لا تكن في ما بعد شرَّاب ماء، بل استعمل خمرًا قليلاً من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة». وهم يقولون لنا عن هذا الأمر إنه متعلق بتيموثاوس فقط وليس بنا، بحجة أن الماء في ذلك الوقت لم يكن مأمونًا للشرب، أو قد يجادل البعض في أن الخمر في ذلك الحين كان يعني عصير العنب- مع أن الواحد منا لربما يتعجب كيف كان لهذا أن يحصل وأساليب الحفظ والتبريد الحالية لم تكن معروفة آنذاك!

وهنا نسأل: لماذا تعد هذه الكلمة في تيموثاوس الأولى ٥: ٢٣ محصورة بتيموثاوس نفسه، بينما الحث على الاستمرار والثبات في الكلمة في تيموثاوس الثانية ٣: ١٤-١٦ عام وشامل، مع أن هذه الآية هي وصية موجهة إلى تيموثاوس فقط، لكنها صارت وصية لجميع الناس في كل زمان وكل مكان؟

انتبه قد تكون كدارس محقًا في تجاوز تيموثاوس الأولى ٥: ٢٣ بدعوى أن ليس لها تطبيق شخصي في حاضرنا. ولكن على أي أساس تفسيري حياتي يمكنك أن تبني هذا؟

خذ مثالاً آخر: المشاكل التي واجهها الكثيرون من المؤمنين التقليديين في أواخر عقد الستينات وبداية عقد السبعينات. آنذاك كان قد أصبح الشعر الطويل للشباب رمزًا لبداية حقبة جديدة. لكن أن يتخذ المسيحيون هذا الشكل كان بمثابة مخالفة لله نفسه في ضوء ما جاء في كورنثوس الأولى ١١: ١٤ «أم ليست الطبيعة نفسها تُعلِّمكم أن الرجل إن كان يرخي شعره فهو عيب له». ومع هذا فإن معظم الذين تمسكوا بهذه الآية ضد شكل الشباب هذا كانوا قد سمحوا للنساء بقص شعورهن قصيرًا (على الرغم من عدد ١٥ من النص ذاته)، ولم يُصروا على ضرورة تغطية النساء لرؤوسهن أثناء العبادة.

هذان المثالان يعرضان ببساطة كيف يمكن للبيئة الثقافية أن تُملي علينا ما هي الفطرة السليمة. إلا أنه يوجد أمور أخرى تملي أيضًا علينا الفطرة السليمة كالتراث اللاهوتي، على سبيل المثال. فكيف يمكن أن نفسر منع النساء من التكلم في الكنيسة في كثير من الكنائس بناءً على ما ورد في ١كورنثوس ١٤: ٣٤، ٣٥ وفي الوقت نفسه يجادل كثير من الكنائس نفسها ضد كل شيء آخر ورد في الأصحاح ١٤ بحجة أنه لا يمت للقرن العشرين بصلة! كيف يمكن أن يكون العددان ٣٤ و٣٥ صالحين لكل زمان وحضارة أو ثقافة بينما الأعداد ١، ٥ أو ٢٦، ٣٢ أو٣٩، ٤٠ والتي تعطي تعليمات تتعلق بالتنبوء والتكلم بألسنة تختص بكنيسة القرن الأول فقط؟!



لاحظ أيضًا مدى السهولة التي يرى بها مسيحيو القرن العشرين تقاليد أنظمتهم الكنسية بين سطور رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس ورسالته إلى تيطس. ومع هذا فإن عدد الكنائس التي تمارس القيادة الجماعية قليل جدًا (١تي٥: ١٧؛ تي ١: ٥)، فتيموثاوس لم يكن راعيًا للكنيسة هناك بل كان موفدًا مؤقتًا من قبل بولس ليضع الأمور في نصابها ويصحح بعض المساوئ فيها. حتى الكنائس التي تقوم فعليًا بالاهتمام بالأرامل في الكنيسة بحسب النص الوارد في تيموثاوس الأولى ٥: ٣-١٥ أقل بكثير.

والآن هل لاحظت كيف أن مفاهيمنا اللاهوتية المسبقة تجعل الكثيرين منا يرون مفاهيمهم في متن بعض النصوص الكتابية، بينما نقوم بالدوران حول نصوص أخرى والابتعاد عنها.

والآن هل لاحظت كيف أن مفاهيمنا اللاهوتية المسبقة تجعل الكثيرين منا يرون مفاهيمهم في متن بعض النصوص الكتابية، بينما نقوم بالدوران حول نصوص أخرى والابتعاد عنها.

يفاجأ بعض المسيحيين تمامًا لدى اكتشافهم أن مسيحيين آخرين يدعمون معمودية الأطفال من نصوص مثل كورنثوس الأولى ١: ١٦؛ ٧: ١٤ أو كولوسي ٢: ١١-١٢، أو أن آخرين يجدون لهم برهانًا على مجيء المسيح الثاني على مرحلتين في تسالونيكي الثانية ٢: ١، أو أن آخرين مازالوا يجدون لأنفسهم دليلاً على أن التقديس هو عمل ثان للنعمة، بناء على تيطس ٣: ٥.

إن الذين يؤمنون بحرية إرادة المؤمن ومسؤوليته يصابون بنوع من الحرج عند قراءة رومية ٨: ٣٠؛ ٩: ١٨-٢٤، غلاطية ١: ١٥، أفسس ١: ٤-٥، وفي المقابل فالذين يؤمنون بالاختيار وسلطان الله المطلق لهم طرقهم في الدوران حول كورنثوس الأولى ١٠: ١-١٣، بطرس الثانية ٢: ٢٠-٢٢، عبرانيين ٦: ٤-٦.

في الواقع، ومن خلال خبرتنا في التدريس نرى أن الطلاب الذين ينتمون إلى هاتين المدرستين اللاهوتيين **قلما يتساءلون عن معنى تلك النصوص**، فهم فقط يريدون معرفة **كيف يجيبون على هذه النصوص**!

نحن نفقد الكثير من قرائنا بسبب ما قلناه في الفقرات القليلة السابقة، ومع ذلك فغايتنا هي محاولة توضيح عمق المشكلة فقط، وتبيان مدى احتياج الدارس إلى التكلم مع الآخرين حول هذه القضية الخطيرة.

وهنا نسأل: ما هي الإرشادات المطلوبة لتأسيس قواعد تفسير أكثر رسوخًا في تفسير الرسائل؟

القاعدة الأساسية

هل تذكر بأننا قد وضعنا مقدمة منطقية في بداية الفصل الأول على هيئة قاعدة أساسية تقول: «**بأنه لا يمكن للنص أن يعني لنا أمرًا إن لم يكن قد عناه فعلاً لقرائه الأصليين أو لكاتبه**». هذه المقدمة تفسر سبب وأهمية إتمام التفسير

الاستنتاجي قبل أي أمر آخر. وتؤكد على ضرورة تكرارنا لها لأننا في ذلك قد نجد على الأقل ترسيخًا لما يحدد المعنى. ربما لن تخدمنا هذه القاعدة دائمًا في إيجاد ما يعنيه النص، لكنها على الأقل ستساعدنا في وضع حدود لما نقوم بتفسيره فلا نعطي للنص ما لا يمكن أن يعنيه.

القاعدة الثانية

أما القاعدة الأساسية الثانية فنقول: «بأننا كلما اشتركنا أكثر مع خلفية أو محيط القرن الأول في مواقف حياتية مشابهة لحياتهم صارت كلمة الله لنا اليوم هي نفسها كما كانت لهم آنذاك». هذه القاعدة عادة ما تجعل معظم النصوص والأوامر الموجهة للقراء الأصليين في الرسائل- تناسب قراء القرن الحالي على نفس مستوى قراء القرن الأول. فلا يزال صحيحًا أن «الجميع أخطأوا»... وأن «المسيح مات لأجلنا»... وأن الله يقول: «فالبسوا كمختاري الله القديسين المحبوبين أحشاء رأفات ولطفًا وتواضعًا ووداعة وطول أناة» (كو ٣: ١٢).

والتحذير هنا هو في ضرورة قيامنا بالتفسير الاستنتاجي بشكل جيد حتى تتكون لدينا تلك الثقة بأن أحوالنا وأمورنا هي مشابهة حقًا لأحوال وأمور القراء الأصليين.

فعلى سبيل المثال، من المهم جدًا ولخدمة تفسيرنا ملاحظة أن الدعوى القضائية المذكورة في كورنثوس الأولى٦: ١-١١ كانت بين أخين مؤمنين أمام قاض وثني في الساحة العامة في مدينة كورنثوس. وهنا يمكننا أن نجادل قائلين: إن القصد من النص لن يتغير فيما لو كان القاضي شخصًا مؤمنًا أو لو كانت المحاكمة قد حدثت داخل دار المحكمة، النقطة التي يشير إليها بولس الرسول كخطأ هو أن يتخاصم أخان من الكنيسة لدرجة أن يلجأ إلى التقاضي خارج الكنيسة وهذا هو القصد من النص كما هو واضح تمامًا في الأعداد ٦-١١.

من جهة أخرى يحق للدارس أن يتساءل فيما إذا كان الأمر ينطبق على شخص مسيحي له دعوى قضائية على مؤسسة ما في عالمنا الحديث لأنه وفي هذه الحالة لن تكون جميع الأمور مشابهة لمثلنا. إذًا دارس النص في هذا الشأن يجب أن يأخذ بعين الاعتبار مناشدة الرسول بولس بالالتزام بعدم الانتقام (عدد٧) على مثال الرب يسوع.

حتى الآن قد يبدو أن كل ما قيل سهل إلى حد معين. إلا أن مسألة كيفية تطبيق نص مثل كورنثوس الأولى ٦: ١-١١ تطبيقًا يتجاوز حدود تفاصيله الخاصة تظل إحدى المسائل التي تحتاج إلى مناقشة وبحث. وقد خصصنا ما تبقى من هذا الفصل لمعالجة أربع من هذه المسائل.

المسألة الأولى:

التطبيق الممتد

هل يصح أن نقوم بمد تطبيق النص إلى قرائن أخرى، أو جعل نص ما ينطبق على محيط مختلف كليًا عن محيط وبيئة القرن الأول؟

مثال: قد يقال بأنه حتى وإن كان نص كورنثوس الأولى٣: ١٦-١٧ موجهًا إلى الكنيسة في كورنثوس فإنه يمثل المبدأ التالي وهو: أن ما خصصه الله لنفسه بسكنى الروح القدس هو مقدس، وأن مَنْ يُفسد هذا سيقع تحت دينونة الله الشديدة.

والسؤال هنا: ألا يمكن تطبيق هذا المبدأ اليوم على المسيحي كفرد، لإظهار أن الله سيدين الشخص الذي يسيء إلى جسده؟

وأيضًا كورنثوس الأولى ٣: ١٠-١٥ موجهة إلى أولئك المسئولين في بنيان الكنيسة، وفيها يحذر بولس الرسول من الخسارة التي سيلاقيها كل مَنْ يبني

رديئًا. فبما أن هذا النص نفسه يتكلم عن الدينونة والخلاص كمَنْ سيخلص كما بنار، ألا يحق لنا استخدامه لتوضيح قضية ضمان سلامة المؤمن أبديًا؟

هنا نجيب بما يلي: إن كانت هذه التطبيقات تعد تطبيقات سليمة، فمعنى هذا أننا تلقائيًا نقوم بتجاوز التفسير الاستنتاجي تجاوزًا كليًا. وفضلاً عن ذلك، فإنه من الخطأ تطبيق نص كورنثوس الأولى٣: ١٦-١٧ على شخص ما كفرد، وعلى هذا الأساس ما الفائدة من التفسير الاستنتاجي إذًا؟! ولماذا لا نبدأ ببساطة من هنا والآن؟! وإن كنا في كلتا الحالتين عرضة للخطأ.

وهكذا عندما تصادفنا أمور مشابهة لهذه الأمثلة السالفة، فإن كلمة الله لنا في مثل تلك النصوص ينبغي أن تنحصر دائمًا بالنية والقصد الأصلي الذي كتبت من أجله. إلا أنه يجب التنبير على أن التطبيق الممتد عادة ما يحق إجراؤه إذا كان منصوصًا عنه بوضوح، ففي مقاطع كتابية أخرى يكون التطبيق فيها هو القصد من المقطع.

لكن في كورنثوس الثانية ٦: ١٤ نجد حالة أكثر تعقيدًا، وهي الآية التي تقول: «لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين» وقد تم تفسير هذا النص بمنع زواج طرف مسيحي بطرف غير مؤمن. لكن من خلال التفسير الاستنتاجي قلما استُخدِم النير كمجاز أو كاستعارة لمسألة الزواج في القرن الأول الميلادي، ولا يوجد في النص أية إشارة أو قرينة تدل على أن الزواج هو المقصود هنا.

ومشكلتنا في هذا المثال تتلخص في عدم قدرتنا على معرفة الشيء الذي يمنعه النص الأصلي. الذي هو على الأرجح يشير وبطريقة ما إلى الوثنية أو ربما ينبه إلى منع حضور الاحتفالات الوثنية (انظر كورنثوس الأولى١٠: ١٤-٢٢)، إذن لا يمكننا أن نمد مبدأ هذا النص. إننا لسنا متأكدين من معناه الأصلي لكن قد يصح التطبيق الممتد في هذا النص لأن هذا المبدأ في الحقيقة هو مبدأ كتابي يمكن استخلاصه في نصوص أخرى بمعزل عن هذا النص.

المسألة الثانية:

الأمور غير المشابهة

لهذه المسألة علاقة بنوعين من النصوص في الرسائل: (١) النصوص التي تتعلق بأمور القرن الأول والتي لا نجد لها نظيرًا في أغلب الأحوال في هذا القرن الحالي. (٢) النصوص التي تعالج مشكلات يمكن أن تحدث في القرن الحالي لكن احتمال حدوثها نادر. **إذًا ما الذي يمكن عمله بهذه النصوص، وكيف يمكن لها أن تتكلم إلينا؟**

١ هذا مثال على النوع الأول نراه في كورنثوس الأولى ٨–١٠ حيث يتحدث الرسول بولس عن مواضيع ثلاثة:

(أ) مؤمنون يتجادلون بشأن حقهم في الاستمرار بالانضمام إلى جيرانهم الوثنيين في الولائم داخل المعابد الوثنية (انظر ٨: ١٠؛ ١٠: ١٤–٢٢).

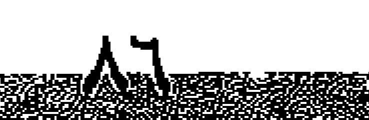
(ب) طعن مؤمني كورنثوس في سلطة بولس الرسولية (انظر ٩: ١–٢٣).

(ج) الذبائح المقدمة للأصنام والتي كانت تباع في الأسواق العامة (١٠: ٢٣–١١: ١).

يشير التفسير الاستنتاجي السليم لهذه المقاطع بأن بولس الرسول قد عالج هذه المسائل كما يلي:

- منعهم تمامًا من المشاركة في ولائم الأوثان بسبب مبدأ حجر العثرة (٨: ٧–١٣)، لأن مثل هذه الأطعمة لا تليق مع الحياة في المسيح التي تعاش حول عشاء الرب (١٠: ١٦، ١٧)، ولأن الاشتراك في مثل هذه الأطعمة يعني الاشتراك في ما هو شيطاني (١٠: ١٩–٢٢).

- يدافع بولس عن حقه في الدعم المالي كرسول، على الرغم من تخليه عن هذا الحق، ويدافع أيضًا عن تصرفاته حول المسائل التي لا تُحدث فرقًا في نظر الله (٩: ١٩–٢٣).



- أما رأيه في المسألة الثالثة فهو: أنه يمكن شراء وأكل ما ذبح للأوثان إن كان معروضًا للبيع في الأسواق، ويمكن أكله بحرية في منزل شخص آخر. وفي القرينة الأخيرة يشير إلى أن المؤمن يستطيع رفض الأكل منه إن كان هذا يسبب عثرة لشخص آخر. وعلى هذا يمكن للإنسان أكل كل شيء لمجد الله، لكن لا ينبغي عمل أي أمر بقصد الإساءة إلى الآخرين.

لكن مشكلتنا في هذا النص هي أن هذا النوع من العبادة الوثنية غير معروف في كثير من البلدان المعاصرة مما يجعل المشكلتين رقم ١، ٣ غير موجودتين. بالإضافة إلى أنه لم يعد لدينا رسل بمرتبة بولس ممن أسسوا الكنائس الجديدة، ومارسوا سلطتهم الرسولية عليها (٩: ١-٢ انظر أيضًا كورنثوس الثانية ١٠: ١٦)، وممن رأوا الرب المُقام فعليًا (٩: ١ انظر أيضًا ١٥: ٨).

- أما النوع الثاني فيمكننا توضيحه من خلال النصين التاليين: النص الأول يتحدث عن قضية الرجل المتهم بزنا المحارم (١كو ٥: ١-١١) والنص الثاني يتحدث عن الناس الذين كانوا يسكرون في عشاء مرتبط بعشاء الرب (١كو ١١: ١٧-٢٢). وهنا نقول: إنه يمكن لهذه الأمور أن تحدث في مجتمعاتنا لكنها بعيدة الاحتمال إلى حد كبير. والسؤال هو: كيف يمكن لمشكلات القرن الأول هذه أن تفيد مسيحيي القرن الحالي؟

نحن نقترح أن تأخذ عملية التفسير الحياتي هنا خطوتين:

أولاً: إجراء عملية التفسير الاستنتاجي بانتباه خاص للتمكن من سماع ما قالته كلمة الله للقراء الأصليين حقًا ولما تقوله لنا. وفي معظم الحالات المماثلة، نرى أنه قد تم فعلاً تحديد مبدأ واضح، وهذا المبدأ نادرًا ما يتعدى إطاره التاريخي الذي سبق أن طُبق فيه.

ثانيًا: نقطة هامة جدًا، إذ ينبغي علينا احترام مبدأ الزمن فلا يمكن لنا أن نطبق التفسير الاستنتاجي بشكل عشوائي على أي نوع أو على كل نوع من المواقف. إنما علينا الإصرار على ضرورة تطبيقه فقط في الحالات التي تنطوي على مشابهة أصيلة.

دعنا نوضح هاتين الخطوتين:

أولاً: مَنعَ بولس الرسول المشاركة في ولائم المعابد بناء على مبدأ حجر العثرة، لكن لاحظ أن هذا الأمر لا يشير إلى المنع لمجرد أن يستاء مسيحي آخر مما نفعله. إن مبدأ العثرة يشير إلى أمر يقوم به أحد المؤمنين وهو مرتاح الضمير، لكن بسبب عمله هذا وقناعته هذه، يدفع آخر لفعل نفس الأمر بدون راحة ضمير. وهكذا لا يظل الأمر مجرد إزعاج أو إساءة إلى المؤمن بل يسمى عملاً مدمرًا لأنه يستميل إلى محاكاة عمل شخص آخر. ولهذا يجب تطبيق هذا المبدأ فقط عند وجود مشابهة حقيقية بين الحالات.

ثانيًا: مَنعَ بولس الرسول في النهاية منعًا كليًا المشاركة في الولائم المقامة في الهياكل الوثنية، لأن الاشتراك في هذه الولائم معناه المشاركة بما هو شيطاني. وعلى هذا الأساس يُعد هذا المنع معيارًا للمشاركة في كل أشكال الروحانية الشيطانية كالسحر والشعوذة والتنجيم... إلخ. أما المبدأ القائل إن: «الذين ينادون بالإنجيل من الإنجيل يعيشون» (١كو ٩: ١٤) فهو يظل بالتأكيد قابلاً للتطبيق على الخدام الراهنين كونه مذكورًا في آيات كتابية أخرى (انظر ١تي ٥: ١٧-١٨).

والمشكلة بالنسبة لنا هنا هي في مدى قدرة الدارس على التمييز بين المسائل الهامة والأخرى التي لا تُحدث فرقًا. وهي مشكلة عويصة لأن المتعارف عليه عادة في حضارة أو بيئة ما يختلف عن بيئة أخرى ويتغير من مجتمع مسيحي إلى آخر، تمامًا كما في القرن الميلادي الأول.

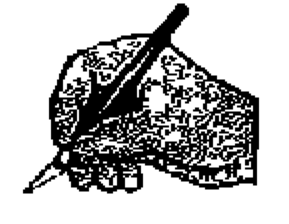
ففي بعض مجتمعات القرن الحالي تشمل قائمة مثل تلك الأمور الثياب من حيث: الألوان، ارتداء النساء للبنطلون، طول ثياب النساء، أدوات التجميل، الحلي، المجوهرات، وسائل الترفيه والتسلية، الأفلام السينمائية، والتليفزيون والرقص ولعب الورق، والطعام والشراب.

فكما كان الأمر مع الذين أدانوا حرية بولس الرسول بشأن مسألة ما ذُبح للأوثان، كذلك الأمر مع الذين يظنون بأن الامتناع عن أي من هذه الأمور المذكورة أعلاه هو عنوان القداسة أمام الله، والسبب هو أن هذه الأمور في نظرهم هي مسائل ذات قيمة لدى الله.

لكن ما الذي، يجعل أمرًا ما غير ذي قيمة ذا قيمة؟
نقترح التالي كمجرد إرشادات:

١ يمكن الإبقاء على عدم أهمية المسائل التي قللت الرسائل بالفعل من أهميتها مثل: الطعام، الشراب، حفظ الأيام (كو ٢: ١٦-٣٢).

٢ هذه المسائل ذات الشأن القليل ليست أدبية في صلبها، بل حضارية - حتى إن نشأت عن حضارة دينية، لذا فالمسائل التي تميل إلى التغيير بين حضارة وأخرى حتى بين المؤمنين الحقيقيين يمكن أن تُعد مسائل ثانوية (كالرَّقص في بعض البيئات، ومنعه في غيرها، على سبيل المثال).



على الناس الذين يختلفون تمامًا بشأن هذه المسائل أن لا يحكموا على بعضهم البعض أو يدينوا الآخرين.

٣ إن قائمة الخطايا المذكورة في الرسائل (انظر رو ١: ٢٩-٣٠؛ ١كو ٥: ١١؛ ٦: ٩-١٠؛ ٢تي ٣: ٢-٤) لا تشمل أبدًا أمورًا تختلف من بيئة أو ثقافة إلى بيئة أو ثقافة أخرى. علاوة على ذلك فإن ما يُقابل هذه

المسائل قوائم متنوعة للوصايا المسيحية (انظر رو ١٢ ؛ أف ٥ ؛ كو ٣... إلخ) والتي لا تختلف من بيئة إلى أخرى.

ومع إدراكنا التام بعدم موافقة الجميع على تقييمنا للأمور ومع ذلك وبحسب رومية ١٤، فإن على الناس الذين يختلفون تمامًا بشأن هذه المسائل أن لا يحكموا على بعضهم البعض أو يدينوا الآخرين، وعلى الشخص الحر أيضًا ألا يتباهى بحريته، وعلى مَنْ يتبنى قناعة راسخة بهذه الأمور ألا يدين غيره.

المسألة الثالثة:

النسبية البيئية أو الحضارية

هذا هو المجال الذي تقع فيه معظم صعوبات واختلافات أيامنا الحاضرة. هذه المشكلة تظهر بوضوح لأن كلمة الله السرمدية قد أُعطيت لنا ضمن إطار تاريخي مُحدد المعالم.

وتتلخص المشكلة في الخطوات التالية:

١ الرسائل كتبت في القرن الأول؛ ولذلك فهي مرهونة بلغة وثقافة هذا القرن الذي عالج حالات خاصة بكنيسة القرن الأول.

٢ كثير من الحالات الخاصة في الرسائل مرهون بمحيط القرن الأول بحيث يدرك الجميع مدى قلة أو عدم وجود تطبيق شخصي ككلمة من الله موجهة إلى القراء اليوم، ما عدا ما يمكن استخلاصه منها من مبادىء يمكن أن تطبق في القرن الحالي.

٣ هناك نصوص أخرى مرهونة جدًا بظروف ومواقف القرن الأول، لكن يمكن ترجمتها وتطبيقها في وقتنا الحالي إذا ما تشابهت الظروف والمواقف.

٤ هناك نصوص أخرى تبدو وكأن لها أمورًا مشابهة، وهنا نسأل ألا يمكن

أن تكون هي الأخرى مرهونة بمحيط القرن الأول وتحتاج إلى أن تترجم في ضوء الأوضاع الجديدة أم ينبغي تركها ببساطة ضمن خلفية أو بيئة القرن الأول؟

والجواب هو أن المسيحيين يقومون إلى حد معين على الأقل بترجمة نصوص الكتاب المقدس إلى خلفيات جديدة دون أن يصرحوا بذلك.

ولعل هذا هو السبب الذي جعل الإنجيليين في القرن الحالي يبقون على ما ورد في تيموثاوس الأولى٥: ٢٣ «استعمل خمرًا قليلاً من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة» في إطار القرن الأول، ولا يصرون على تغطية الرأس أو الشعر الطويل عند النساء، ولا يمارسون القبلة المقدسة. غير أن كثيرين من أولئك الإنجيليين أنفسهم يستاءون لو دافع أحدهم عن قيام المرأة بالتعليم في الكنيسة (بحضور الرجال) بناءً على تلك الأسس.

كثيرًا ما حاول بعضهم رفض فكرة النسبية البيئية بمجملها مما أدى بهم إلى تبني بيئة القرن الأول كمعيار إلهي؛ لكن رفضًا كهذا عادة ما يكون محدودًا في نجاحه.

قد نراهم يُبقون بناتهم في البيت وينكرون عليهن التعليم العالي ويقوم الأب بترتيب زواجهن، لكنهم عادة ما يسمحون لهن بتعلُّم القراءة والخروج بين الناس بدون غطاء رأس. والمراد قوله هنا هو أن أمر الثبات على هذا المبدأ هو غاية في الصعوبة؛ إذ لا يوجد هناك ما يسمى بالبيئة التي رسمها الله. فالبيئات في الحقيقة متغيرة والتغيير قائم ليس فقط بين بيئة القرن الأول وبيئة القرن الحالي، لكن حتى بين مختلف البيئات في هذا القرن ذاته لأنها مختلفة عن بعضها البعض بلا حدود.

فبدلاً من رفض هذا المبدأ نقترح الاعتراف بوجود درجة من النسبية البيئية

والحضارية. ولإتمام إجراء تفسير حياتي مقبول فالنسبية البيئية والحضارية نتيجة طبيعية لا مفر منها ناشئة عن وجود أسباب لكتابة الرسائل، ولكي يكون التفسير الحياتي للشخص مقبولاً فلابد له من أن يكون في إطار خطوط توجيهية محددة.

وهنا نرغب في اقتراح التوجيهات التالية للمساعدة على التمييز بين الأمور التي تتصل بالبيئة من جهة وتلك التي تتجاوز بيئتها أو محيطها الأصلي من جهة أخرى ليكون لدينا معيار يفيد كل المؤمنين في كل العصور.

١ على الشخص أن يفرق بين مركز رسالة الكتاب المقدس وبين ما يتبعه وما هو ملحق به. لا نقصد بهذا أن ننادي بلائحة قانونية أصغر ضمن اللائحة القانونية العامة لأسفار الكتاب المقدس (بمعنى أن نرفع شأن أجزاء من العهد الجديد لتكون معيارًا لأجزاء أخرى) بل ما نعنيه هو حماية الإنجيل من التحول إلى شريعة من خلال عادات حضارية أو دينية من جهة، والسعي لحفظ الإنجيل نفسه من التغيير حتى يتماشى مع كل تعبير بيئي يمكن تصوره من جهة أخرى.

وعلى هذا الأساس يكون سقوط الجنس البشري، والفداء من هذا السقوط كعمل نعمة الله بواسطة موت المسيح وقيامته، واكتمال عمل الفداء هذا بمجيء السيد المسيح مرة أخرى... إلخ، كل هذه الوقائع تكوّن جزءًا واضحًا من مركز رسالة الكتاب المقدس، أما القبلة المقدسة وغطاء رأس المرأة وخدمات ومواهب الروح القدس فهي تكوِّن الجزء التابع أو الملحق لهذا المركز.

٢ وبالتالي على الشخص أيضًا ملاحظة الفرق بين ما يعده العهد الجديد نفسه

أمرًا أخلاقيًا بطبيعته وبين ذلك الذي لا يحسبه كذلك. فالأمور ذات الطبيعة الأخلاقية المتأصلة تكون مطلقة وسارية على كل حضارة أو بيئة، أما الأمور التي ليست أخلاقية في طبيعتها فتظل تعبيرات ثقافية خاضعة للتغيير من بيئة إلى أخرى.

فقوائم الخطايا التي يسردها بولس الرسول على سبيل المثال، لا تحتوي أبدًا على أمور ذات طبيعة بيئية. بالطبع، قد تكون بعض هذه الخطايا سائدة في مجتمع ما أكثر من شيوعها في مجتمع آخر لكن لا يوجد مطلقًا ما يمكن أن نعتبره تصرفات مسيحية. وعليه فالزنى والأوثان والسكر والشذوذ الجنسي والسرقة والطمع... إلخ (١كو ٦: ٩، ١٠) كأفعال تبقى دائمًا خطية. والمسيحيون لم يضعوا أفضلية لأي من هذه الخطايا لأنها ليست خيارات أخلاقية.

فالرسول بولس يقول بوحي من الروح القدس: «وهكذا كان أناس منكم. لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا» (١كو ٦: ١١). كذلك إن نظرنا إلى الجهة الأخرى فسنرى أن عملية غسل الأرجل أو تبادل القبلة المقدسة أو الأكل مما ذبح للأوثان أو غطاء رأس المرأة عند الصلاة أو التنبؤ أو تفضيل بولس الرسول الشخصي للبتولية على الزواج أو تعليم المرأة في الكنيسة ليست كلها مسائل أخلاقية في الأساس لكنها أمور تتحدد فقط باستخدامها السليم أو سوء استخدامها في قرائن معينة كأن يكون الأمر متعلقًا بعدم الطاعة أو نقص المحبة.

٣ وهنا على الشخص أن يراعي وبعناية بالغة الأمور التي يتحدث عنها العهد الجديد باستمرار وأن يلاحظ الأمور التي يختلف فيها حكم العهد الجديد. ومن المسائل التي يؤكد عليها العهد الجديد بشكل ثابت ومستمر: المحبة كرد الفعل الأخلاقي الأساسي للمسيحي، وعدم الانتقام. أيضًا العهد

الجديد يبيِّن مدى خطأ الحقد والقتل والسرقة والشذوذ الجنسي والسُكر وكل أنواع المفاسد الجنسية.

وبالتالي قد يختلف حكم العهد الجديد على مواقف وأمور أخرى بسبب اختلاف البيئات مثل: خدمة المرأة في الكنيسة (انظر رو ١٦: ١، ٢) حيث كانت فيبي خادمة في كنيسة كنخريا. وفي رومية ١٦: ٧ حيث يرد اسم يونياس وهو اسم مؤنث وليس مذكرًا - من ضمن الرسل وفي رومية ١٦: ٣ حيث كانت بريسكلا معاونة لبولس الرسول في الخدمة - وهي نفس الكلمة اليونانية التي أطلقها بولس الرسول في وصف أبلوس في: كورنثوس الأولى٣: ٩؛ فيلبي ٤: ٢-٣؛ كورنثوس الأولى ١١: ٥.

ومن جهة أخرى ينادي بولس الرسول بصمت النساء في الكنيسة (١كو ١٤: ٣٤-٣٥). وفي تيموثاوس الأولى٢: ١٢ ينادي بأن لا تُعلِّم المرأة في الكنيسة في وجود الرجال.

كذلك الحال مع موضوع التقييم السياسي لروما (انظر رو ١٣: ١-٥؛ ١بط ٢: ١٣-١٤ وقابلها مع الأصحاحات ١٣-١٨ من سفر الرؤيا)، وموضوع احتفاظ الشخص بثروته (لو ١٢: ٣٣؛ ١٨: ٢٢ قابل هذه الأعداد مع تيموثاوس الأولى٦: ١٧-١٩)، أو أكل الطعام المقدم للأوثان (١كو ١٠: ٢٢-٢٩ بالمقابل مع أع ١٥: ٢٩؛ رؤ ٢: ١٤، ٢٠). لأن هذه المسائل بالذات تبدو بيئية أكثر منها أخلاقية؛ إذًا لا ينبغي على الشخص الانزعاج لعدم وجود حكم موحد فيها. وهنا وخاصة في العهد الجديد لا ينبغي على الشخص ممارسة التفسير الاستنتاجي كوسيلة لإثبات اتحاد المواقف.

٤ من المهم في العهد الجديد أن تكون لدينا القدرة على التمييز بين ما هو مبدأ وما هو تطبيق خاص. فبإمكان كاتب الرسائل مثلاً دعم تطبيق نسبي بمبدأ مطلق، غير أن عمله هذا لا يجعل من التطبيق أمرًا مطلقًا. فمثلاً في

كورنثوس الأولى ١١: ٢-١٦ يدعم بولس الرسول المبدأ القائل بأن على الإنسان ألا يفعل أي شيء يصرف الانتباه عن مجد الله (هو يشير بشكل خاص لموضوع الخروج عن العرف السائد) عندما تجتمع الكنيسة للعبادة (العددان ٧، ١٠). ثم يضع هنا بولس الرسول تطبيقًا نسبيًا (كغطاء الرأس) على المبدأ المطلق الذي هو عدم صرف الانتباه عن مجد الله، وهو يعيد ويكرر احتكامه إلى العرف والطبيعة (الأعداد ٦، ١٣-١٤، ١٦).

من المهم في العهد الجديد أن تكون لدينا القدرة على التمييز بين ما هو مبدأ وما هو تطبيق خاص.

فإن كان على المرأة في المجتمعات الغربية أن تُطيع النص حرفيًا (غطاء الرأس الذي هو بمثابة تطبيق نسبي) فسيكون في معظم الكنائس الأمريكية هذا التطبيق وبتأكيد شبه كامل مسئ إلى روح النص لأن تغطية الرأس هذه ستؤدي إلى لفت الانتباه (عكس المبدأ تمامًا) الذي هو مطلق حيث أن غطاء الرأس أمر غير معروف إطلاقًا في المجتمعات الأمريكية. مما قد يؤدي إلى تشكيل عثرة لبعض الناس أثناء العبادة.

على الشخص أن يبقى منتبهًا لماهية الاختلافات البيئية المحتمل وجودها بين القرنين الأول والحالي والتي أحيانًا لا يمكن لها أن تظهر بوضوح مباشرة. فعلى سبيل المثال: لتحديد دور المرأة في كنيسة القرن الحالي على الشخص أن يأخذ في الحسبان قلة الفرص التعليمية التي كانت متاحة للنساء في القرن الأول بينما يعد تعليم النساء في مجتمعاتنا المعاصرة أمرًا طبيعيًا تمامًا. وقد تؤثر معرفتنا للفروق والاختلافات بين القرنين الأول والحالي على فهمنا لنصوص مثل تيموثاوس الأولى ٢: ٩-١٥. مثال آخر تختلف الديمقراطية الحالية كثيرًا عن نوع الحكومة التي تحدَّث

عنها بولس الرسول في رومية ١٣: ١-٧. فمن مسلمات الديمقراطية أن يتم فيها تغيير القوانين الرديئة وإقصاء المسؤولين الأردياء. إذًا من الضروري أن تؤثر معرفتنا للديمقراطية اليوم في كيفية فهمنا لرومية ١٣ في عالمنا اليوم.

المسألة الرابعة:

اللاهوت المقدم لمهمة محددة

تحدثنا في نصنا السابق بأن الرسائل هي رسائل مناسبات أو كتبت كرد على مناسبات، وبالتالي فإن اللاهوت المقدَّم في هذه الرسائل هو لاهوت مقدَّم لمهمة محددة.

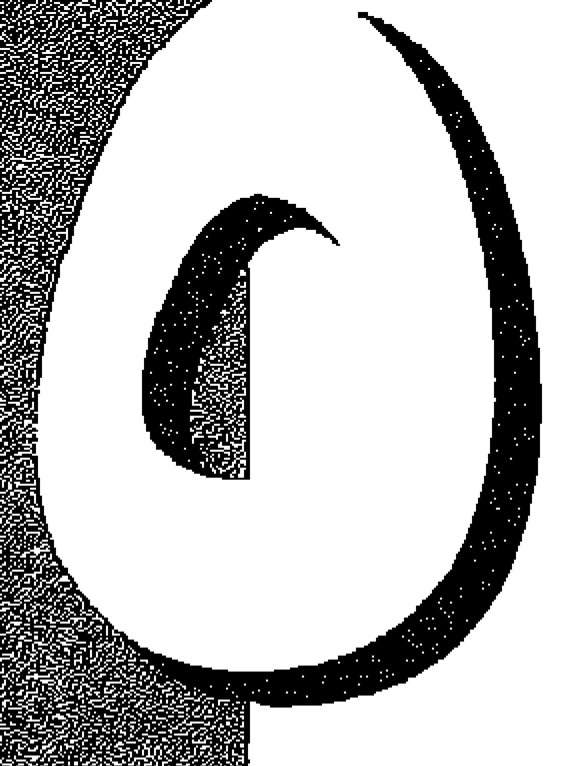
وما نريد ذكره هنا هو بعض التحذيرات الواجب مراعاتها أثناء الخوض في هذا اللاهوت:

١ بما أن الرسائل هي رسائل مناسبات إذًا علينا الاعتراف ببعض القصور الذي ينتابنا أثناء فهمنا اللاهوتي. فعلى سبيل المثال ومن أجل جعل مؤمني كورنثوس يرون مدى سخافة أن يحتكم أخّان مؤمنان إلى محكمة وثنية يقول بولس الرسول بأن القديسين سيدينون العالم والملائكة في أحد الأيام (١كو ٦: ٢-٣)، لكن النصوص لا تذكر شيئًا أكثر من ذلك. وهكذا فإننا نؤكد وكجزء من الأمور الإسخاتولوجية المسيحية، (والتي تعني مفهومنا للأمور التي ستحدث عند انقضاء الدهر) بأن القديسين سيشاركون بالمحاكمة التي ستحدث في اليوم الأخير، لكننا وبكل بساطة لا نعلم ما الذي يعنيه هذا أو كيف سيتم تنفيذه فيما عدا التوكيد نفسه، كل شيء آخر يبقى من قبيل الحدس أو التخمين ليس إلا.

٢ قد تنشأ بعض مشاكلنا اللاهوتية مع الرسائل أحيانًا لأننا نقوم بطرح أسئلتنا على النصوص التي تقدم لنا أجوبة على أسئلتهم هم فقط باعتبار أن أسئلتهم هي سبب ومناسبة كتابة هذه الرسائل. فمثلاً لو طالبنا هذه النصوص بأن تُجيب مباشرة على قضية الإجهاض، الاستنساخ... إلخ. إذًا فنحن نسعى لجعل هذه الرسائل تجيب على أسئلة تخص العصر الحالي. وهي قد تجيب أحيانًا على تلك الأسئلة، لكنها غالبًا ما لا تجيب وذلك لأن هذه الأسئلة لم تطرح في ذلك الزمان.

هناك مثال واضح على ذلك نجده في العهد الجديد نفسه. ويدور حول مسألة الطلاق. فبولس الرسول في هذا المثال يقول: «لا أنا بل الرب» (١كو ٧: ١٠) قاصدًا بذلك أن الرب يسوع نفسه قد أجاب على هذه المسألة مسبقًا، أما بالنسبة للسؤال المطروح في البيئة اليونانية حول ما إذا كان على المسيحي أن يطلق امرأته الوثنية فواضح بأنه لم تتح ليسوع مناسبة التحدث عن هذا الأمر. لذا فالقضية بكل بساطة كانت خارج نطاق المجتمع اليهودي للمسيح. أما بولس الرسول فكان عليه أن يجيب على تلك المسألة بنفسه لذلك نراه يقول «أنا لا الرب» (ع١٢). إن إحدى المشكلات التي تواجهنا هي أننا نحن أنفسنا لا نملك سلطة بولس الرسولية ولا الوحي الذي حظي به. فالطريقة الوحيدة التي يمكننا بها معالجة مثل هذه القضايا قائمة على أساس لاهوت كتابي كامل، وهذا بدوره – أي اللاهوت الكتابي الكامل– يشمل فهمنا لعملية الخلق، السقوط، الفداء، وانتهاء الدهر. مما يعني بأنه علينا النظر إلى لاهوت الكتاب المقدس نظرة شاملة ككل. ولن نجد أي إثبات نصي طالما أنه ليس هناك أية نصوص مباشرة مختصة بالمسألة.

إذًا ما سبق وقدمناه كان بعض اقتراحاتنا حول تقديم تفسير حياتي جيد عند قراءة وتفسير «الرسائل»، هادفين مباشرة إلى بلوغ مستوى أفضل من الدقة والترابط قاصدين دعوتنا جميعًا إلى مزيد من الطاعة لما نسمعه من كلمة الله ولما نفهمه.



قصص العهد القديم
واستخدامها السليم

الفصل الخامس

قصص العهد القديم
واستخدامها السليم

- طبيعة القصص.
- مبادئ تفسير قصص العهد القديم.
- أمثلة على فهم قصص العهد القديم.
- بعض التنبيهات الختامية.

يحتوى الكتاب المقدس على مقدار وافر من الأدب القصصي أكثر من أي نوع آخر من النصوص الأدبية الأخرى. فعلى سبيل المثال إن أكثر من ٤٠٪ من نصوص العهد القديم قصصية. ولأن العهد القديم نفسه يشكل ثلاثة أرباع الكتاب المقدس، فليس غريبًا أن يكون النوع الأدبي الأكثر شيوعًا في كل الكتاب المقدس هو الأدب القصصي. فأسفار العهد القديم التالية تتألف في معظمها أو مجملها من المادة القصصية: التكوين، يشوع، قضاة، راعوث، صموئيل الأول والثاني، ملوك الأول والثاني، أخبار الأيام الأول والثاني، عزرا، نحميا، دانيال،

يونان، وحجي، علاوة على ذلك تحتوي أسفار الخروج، العدد، إرميا، حزقيال، إشعياء، وأيوب أيضًا على أجزاء قصصية غير قليلة وفي العهد الجديد هناك مقاطع قصصية كبيرة في الأناجيل الأربعة ومعظم سفر أعمال الرسل.

وافتراضنا المسبق هو أن الروح القدس كان أدرى بما هو فاعل عندما أوحى بهذا الكم الكبير من النصوص القصصية لتكتب في الكتاب المقدس. ونحن نعتقد بوضوح بأن هذا النوع من الأدب يخدم جيدًا هدف الله الإعلاني. أما كيف يخدم هذا النوع قصد الله وكيف يمكننا أن نستفيد جيدًا من استخدام هذا النوع في خدمتنا لله فهذا هو لب موضوع الفصل القادم.

طبيعة القصص

حقيقة قصص العهد القديم

القصص هي حكايات أو روايات، وعلى الرغم من أننا من وقت لآخر نستخدم كلمة حكاية لوصف نوع الأدب هذا، إلا أننا نفضل استخدام كلمة قصة لما قد تحمله الحكاية من خيال كما في حكايات الأطفال. والمقصود بكلمة حكاية هو الإشارة إلى حكاية واحدة ذات مجموعة واحدة من الشخصيات وذات حبكة واحدة. أما الكتاب المقدس فيحتوي على ما نسميه كثيرًا قصة الله– قصة حقيقية بكل ما في الكلمة من معنى، وهي قصة في غاية الأهمية وكثيرًا ما تكون مُركبة. إنها قصة باهرة وأعظم من أعظم القصص الملحمية، وأغنى في حبكتها وشخصياتها ووصفها من أية قصة ألّفها إنسان في هذا الوجود. لذا فإن كلمة قصص هي الكلمة الأفضل في الاستخدام الفني لوصف تلك المقاطع من هذه القصة الإلهية العظيمة ذات الطابع القصصي؛ ذلك لأن هذا التعبير هو التعبير الأكثر موضوعية ودقة.

إن قصص الكتاب المقدس تخبرنا عن أمور حدثت بالفعل وليست مجرد أية أمور. والغرض من هذه القصص هو إظهار الله عاملاً في خليقته وبين شعبه. أما غاية هذه القصص فهي تمجيد الله ومساعدتنا على فهمه وتبجيله وإعطاؤنا صورة عن عنايته وحمايته. كما أنها في الوقت نفسه بمثابة أمثلة تحمل الكثير من الإيضاحات لدروس كبيرة وهامة لحياتنا.

لكل القصص حبكة وشخصيات (سواء كانت إلهية أم بشرية أم حيوانية ونباتية أو غيرها) لكن لقصص العهد القديم عدّة حبكات تعد جزءًا من الحبكة الإجمالية ولها أسلوب توزيع خاص للشخصيات. وأما أكثر الشخصيات أهمية وخصوصية فهي شخصية الله نفسه.

المستويات الثلاثة لقصص العهد القديم

من المفيد أثناء قراءتك ودراستك لقصص العهد القديم بأن تدرك أن القصة فيه تروى في الواقع على مستويات ثلاثة:

المستوى الأعلى: وهو قصة خطة الله الشاملة المنفذة من خلال خليقته والأوجه الرئيسية لحبكة هذا المستوى الأعلى للقصة هي بداية الخليقة نفسها، سقوط البشرية، قوة الخطية، وكلية وجودها، الحاجة إلى الفداء، وتجسد المسيح، وذبيحته وقيامته.

المستوى الأوسط: والذي يتحدث عن المواضيع الرئيسية التالية: أمة إسرائيل، دعوة إبراهيم، تتابع نسل إبراهيم من خلال الآباء، عبودية بني إسرائيل في مصر، إنقاذ الله لبني إسرائيل من العبودية ودخول أرض الموعد، خطايا بني إسرائيل العديدة وازدياد خيانتهم لله، حماية الله لهم ومناشدته لهم، الدمار النهائي الذي حل بالمملكة الشمالية ثم بيهوذا، وعودة الشعب من السبي.

المستوى السفلي: وهنا نجد المئات من القصص الفردية التي تشكل منها المستويان الآخران قصة بيع إخوة يوسف له لرجال قوافل من العرب كانوا متجهين إلى مصر، قصة شكوك جدعون واختباره لله بواسطة جزة الصوف- قصة زنى داود مع بَثشبع... إلخ.

ملاحظة هامة: كل قصة فردية في العهد القديم (المستوى السفلي) هي على الأقل جزء من القصة التي تكبرها من تاريخ شعب إسرائيل في العالم (المستوى الأوسط) والتي تعد بدورها جزءًا من القصة الأعظم لخليقة الله وفدائه (المستوى الأعلى). وتمتد هذه القصة العظيمة والرائعة متجاوزة العهد القديم إلى نهاية العهد الجديد. ولذلك لن يكون بوسعك إيفاء أية قصة فردية حقها من الفهم دون إدراك كونها جزءًا من القصتين الأخريين. تتألف القصة أحيانًا من مجموعة من القصص الفردية الأقصر طولاً، التي تسمى بالقصة المركبة، وما قلناه عن المستويات الثلاثة للقصص عمليًا لا يتأثر بمعرفتنا أن الكتاب المقدس بأكمله يزخر بالقصص المركبة.

نأمل أن يكون إدراكك لهذا الهرم القصصي قد ساعدك وحثّك على تقديم تطبيق قائم على إيمان قوي لقصص العهد القديم في حياتك وفي خدمتك للآخرين. عندما أعلن الرب يسوع بأن الكتب «... تشهد لي» (يو ٥: ٣٧-٣٩) من الواضح تمامًا أنه لم يكن يتكلم عن كل مقطع فردي قصير في العهد القديم. فهذه المقاطع الفردية بما فيها القصص الخاصة بالمسيا أو التي رمزت إلى المسيح في العهد الجديد (انظر ١كو ١٠: ٤) هي كلها شكلت جزءًا هامًا من العهد القديم لكنها احتوت فقط على مقدار بسيط من إعلانه الكلي. غير أن الرب يسوع تحدث عن المستوى الأعلى والأقصى للقصة، لأن كفارته كانت الحدث المركزي للقصة بينما كان إخضاع كل الخليقة له هو ذروة الحبكة. وهكذا فقد أعلن الرب يسوع أن الكتب بمجملها تشهد له وتدور حول سيادته ومحبته.

ما بين أيدينا إذًا قصص فردية (ذات طبيعة مركبة أحيانًا) ضمن قصة رئيسية داخل قصة نهائية، تتألف بعض القصص المركبة فيها من عدد كبير من القصص الفردية القصيرة. ويُعد هذا الأمر صفة مميزة لكل القصص ذات الحبكات الفرعية وبالتالي فهو ليس بالأمر الغريب. لدينا في العهد الجديد قصص فردية (كالدخول الظافر إلى أورشليم لو ١٩ : ٢٨-٤٦) داخل قصص أكبر (إنجيل لوقا- سفر الأعمال) داخل القصة النهائية وهي قصة الله الكاملة كما يرويها الكتاب المقدس. وبهذا الشكل يمكننا ترتيب العهد القديم أيضًا. فعلى سبيل المثال القصة المركبة الطويلة التي نسميها قصة يوسف (تك ٣٧-٥٠) تحتوي على قصص فردية قصيرة عنه، مثلاً قصة أحلامه الأولى (تك ٣٧: ٥-١١)، قصته كعبد في بيت فوطيفار (تك ٣٩)، قصة دفنه ليعقوب في كنعان (تك ٥٠ : ١-١٤)... إلخ. ومع هذا فإنها كلها جزء من قصة الكتاب المقدس الإجمالية العظيمة.

ليس من الخطأ دراسة أية قصة فردية كوحدة قائمة بذاتها. وهي صراحة دراسة مستحبة. ولكن من أجل إدراك المعنى الأكمل، علينا في نهاية المطاف أن نرى تلك القصة الفردية في موقعها ضمن مستوياتها الأعم والأشمل.

قصص العهد القديم ليست:



فأية قصة في الكتاب المقدس بطلها هو الله.

١ مجرد قصص عن أُناس عاشوا زمن العهد القديم. هي أولاً وقبل كل شيء قصص عما قام به الله من خلال أولئك الناس. فأية قصة في الكتاب المقدس بطلها هو الله. نعم سيكون في هذه القصص شخصيات وأحداث وتطورات وحبكة وذروة لكن من وراء كل هذا يظل الله هو بطل الرواية الأسمى أو الشخصية الحاسمة لكل الأمور في كل القصص.

٢ قصصًا رمزية أو قصصًا ذات معان مستترة، حتى وإن كانت فيها هناك بعض الأوجه التي يصعب فهمها. فليس من السهل دائمًا استيعاب الطرق التي يعمل الله بها في التاريخ، ولا الطرق التي يؤثر بها في أعمال البشر وينفذ مشيئته من خلالهم وأحيانًا بعكس رغبة البشر (انظر تك ٥٠: ٢٠). هناك مرات كثيرة لم يخبرنا فيها الكتاب المقدس ما الذي فعله الله بالضبط في حالة معينة استدعت حدوث أمر معين بالطريقة التي أبلغنا بها عنه العهد القديم. وحتى عندما يتم إخبارنا بما فعله الله، قد لا يتم إخبارنا دائمًا بالكيفية التي قام الله على أساسها بذلك الفعل ولا بالسبب الذي من أجله قام الله بهذا مثلاً.

بعبارة أخرى لا تقوم القصص بالإجابة عن كل أسئلتنا حول موضوع ما: فهي محدودة من حيث تركيزها وتقدم لنا جزءًا واحدًا فقط من الصورة الإجمالية لما يفعله الله في التاريخ. وما علينا سوى تعلم الاكتفاء بذلك الفهم المحدود وكبح فضولنا في مواضع كثيرة وإلا ستنتهي دراستنا هذه بمحاولة قراءة ما بين السطور مما يجعلنا نحمِّل القصص المقروءة ما ليس موجودًا فيها من معنى جاعلين للسرد التاريخي مضامين رمزية. نعم، لا يخبرنا الكتاب المقدس عن كيفية قيام الله بالأمور المعجزية التي سمح بحدوثها. لكن الفضول الزائد من جهة فهم أمور لم يشرحها الكتاب المقدس يمكن أن يؤدي ببعض الناس إلى قبول تفسيرات منافية للعقل وبعيدة الاحتمال.

٣ لم توجد قصص العهد القديم لتقدم دائمًا تعليمًا مباشرًا. فهي عادة ما تركز على طبيعة الله وإعلانه بطرق خاصة لا تستطيعها مقاطع أخرى في الكتاب المقدس كتلك المختصة بالشريعة أو العقيدة. وللحصول على هذا الإعلان ولمن تلك الطبيعة علينا أن نسمح بأن نضع أنفسنا في موقع الأحداث والتجارب وليس مجرد التعلم عن الأمور المتضمنة في تلك الأحداث والتجارب.

ويمكننا القول أنه رغم عدم تقديم قصص العهد القديم بالضرورة للتعليم المباشر، إلا أنها كثيرًا ما تقدم إيضاحات لما تريد تعليمه مباشرة بصراحة في مواضع أخرى. هذا يمثل نوعًا من التعليم الضمني الذي بمساعدة التعاليم الكتابية البينة والصريحة في الكتاب المقدس سيكون ذا أثر فعال في توليد خبرة التعلم التي يستطيع الروح القدس استخدامها بشكل إيجابي. فعلى سبيل المثال في قصة زنى داود مع بثشبع (٢صم ١١) لن نجد تصريحًا مثل هذا «لقد أخطأ داود بارتكابه الزنى والقتل» لأنه من المفترض بديهيًا أن نعرف بأن القتل والزنى خطية فهذا الأمر منصوص عليه بصراحة في الكتاب المقدس (خر ٢٠: ١٣-١٤). وهذه القصة توضح مدى الضرر الذي حل بحياة الملك داود الشخصية وبمقدرته على الحكم. نعم تُقدم قصة داود التعليم المباشر عن موضوع الزنى وبالتالي لا يمكن عدها الأساس الوحيد لهذا التعليم، لكنها وباعتبارها واحدة من أهم الإيضاحات لعواقب الزنى في حالة معينة فهذه القصة تحمل رسالة قوية قادرة على أن ترسخ في ذهن القارئ بطريقة قد يعجز التعليم المباشر والصريح عن تحقيقها.

٤ لكل قصة فردية أو جزء من القصة مغزى قائم بذاته. فلا يصح تفسير أجزاء القصص بشكل منفصل وكأن كل بيان، أو كل حدث، أو كل وصف يمكن أن يكون له بمعزل عن غيره من العناصر رسالة خاصة للقارئ. في الواقع إن كل الأجزاء المكونة للقصص والتي تميل للطول تعمل معًا لغرس فكرة رئيسية واحدة في ذهن القارئ. كما أن لكل قصة اتجاهًا عامًا أو فكرة إجمالية أو بناء فوقيًا يقود إلى النقطة الجوهرية، والتي هي عادة عبارة عن نقطة واحدة.

وفي هذه الناحية نرى تشابهًا واضحًا بين القصص والأمثال (انظر الفصل الثامن) فالوحدة الكاملة هي التي تقوم بإعطاء الرسالة وليس الأجزاء المنفصلة الأثر والوقع والفاعلية والقدرة على الاقتناع الآتٍ من مجمل

تتابع الأحداث المروية. فعناصر منفردة كثيرة تقوم بالتضافر معًا لتكوين القصة ولنقل إعلان الله من خلالها إلى البشر. ولا معنى للقيام بالبحث عن مغزى معين لكل معلومة صغيرة أو كل جزء فيها أو حدث على حدة لأنه لن نفيد شيئًا. علينا فقط اعتبار القصة كوحدة واحدة متكاملة وليس كأجزاء منفصلة.

مبادئ تفسير قصص العهد القديم

كي نتمكن من إيضاح النقاط التي أشرنا إليها في البحث سابقًا قمنا باختيار قصتين رئيسيتين من أجل تحليلهما مستعينين بالمبادىء العشرة التالية والتي ستساعدك على تجنب الأخطاء الواضحة التي ظهرت أثناء التفسير الاستنتاجي ومحاولة فهم سواء هاتين القصتين أو غيرهما من القصص الكتابية.

١ قصص العهد القديم لا تقوم عادة بتعليم عقيدة ما بشكل مباشر.

٢ عادة ما تقوم القصة في العهد القديم على إيضاح عقيدة ما أو عقائد تم تعليمها في مكان آخر في الكتاب المقدس.

٣ تسجل القصص في العهد القديم ما دار من أحداث وليس بالضرورة ما كان يجب أن يحدث أو ما ينبغي حدوثه في كل مرة.

٤ ما قام الناس بعمله في القصص لا يُشكل بالضرورة مثالاً جيدًا لنا بل للأسف كثيرًا ما يكون الأمر على عكس ذلك.

٥ إن معظم شخصيات قصص العهد القديم بعيدة عن الكمال هم وأعمالهم.

٦ لا يقال لنا دائمًا عند نهاية القصة ما إذا كان ما حدث هو أمر جيد أو سيئ لأنه يفترض بنا أن نحكم نحن على ذلك بناء على ما سبق وعلمنا الله إياه في الكتاب المقدس بشكل مباشر وصريح.

٧ كل القصص انتقائية وغير تامة، ولا ترد فيها كل التفاصيل المتعلقة بها (انظر يو ٢١: ٢٥).

٨ لم تُكتب القصص لتجيب على جميع أسئلتنا اللاهوتية. فلهذه القصص أغراض معينة وخاصة ومحدودة وهي تتعامل مع قضايا معينة تاركة علاج الأمور الأخرى في أمكنة أخرى وبطرق أخرى.

٩ قد تقوم القصص بتقديم التعليم إما صراحة (بالاعتماد على نصوص أو أمور معينة بوضوح) أو ضمنيًا (بالإيحاء دون التصريح به فعليًا).

١٠ في التحليل النهائي، الله هو بطل كل القصص الكتابية.

أمثلة على فهم قصص العهد القديم

قصة يوسف:

يشغل الجزء الكبير من المادة القصصية التي نطلق عليها قصة يوسف الإصحاحات ٣٧، ٣٩–٥٠ من سفر التكوين. اقرأ كل هذه الإصحاحات وستجد أن يوسف هو الشخصية البشرية المركزية في كل نقطة تقريبًا.

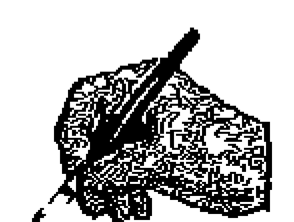
في الأصحاح ٣٧ نقرأ عن أسلوب يوسف الذي يغلب عليه الانتقاد والغطرسة، هذا الأسلوب الذي نجم ربما عن تفضيل أبيه له (تك ٣٧: ٣)، وإصرار يوسف على إذاعة فحوى أحلامه لم يسهم في تحسين وضعه بين أفراد عائلته (٣٧: ١٠، ١١)؛ إذ قام إخوته ببيعه كعبد، خادعين أباهم بادعاء موته.

بعد أن بيع يوسف عبدًا في مصر، صار إداريًا ناجحًا في بيت فوطيفار (أصحاح ٣٩) لماذا؟ هل بسبب مهاراته الإدارية الفطرية؟ ما أبعد هذا السبب عن الحقيقة فالكتاب المقدس يورد السبب بوضوح: «وكان الرب مع يوسف فكان رجلاً ناجحًا... الرب معه، وأن كل ما يصنع كان الرب ينجحه بيده... أن الرب

بارك بيت المصري بسبب يوسف، وكانت بركة الرب على كل ما كان له في البيت وفي الحقل» (تك ٣٩: ٢-٥).

فمهما بلغت مهارات يوسف الإدارية كان واضحًا أن دور هذه المهارات كان ثانويًا أمام قيام الله بالتدخل لإنجاح حياته. وبعد أن تم سجنه ظلمًا برز يوسف كإداري أيضًا داخل السجن. لماذا؟ مرة أخرى لا يترك لنا الكتاب المقدس مجالاً للشك قائلاً: «ولكن الرب كان مع يوسف وبسط إليه لطفًا وجعل نعمة له في عيني رئيس بيت السجن» (تك ٣٩: ٢١).

هذه القصة لا تترك مجالاً للشك في مَنْ هو بطل القصة أو ما هو مغزاها. فالله هو البطل، والمغزى هو أن الله كان مع يوسف. فإن أردت أن تتعلم شيئًا من قصة يوسف، محاولاً إيجاد بطل آخر غير الله، فمَنْ هو ذلك البطل؟ هل سيكون يعقوب الذي أظهر تفضيلاً بين أولاده؟ أم فوطيفار وزوجته اللذين ظلما يوسف؟ أو ربما رئيس السجن الذي لا تذكر القصة حتى اسمه؟ أو قد تختار يوسف نفسه، ذلك الشاب السهل الانزلاق في المشاكل؟ إن اخترت أيًا من هؤلاء تكون ولابد قد انحرفت عن لب القصة، وتحولت عن الانتباه إلى سيادة الله وتحكمه في الأحداث وتوجيهه لها.



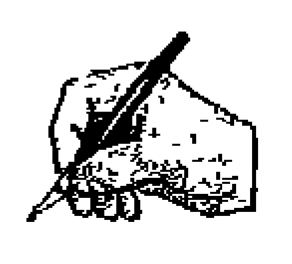
إن قصة يوسف لا تترك مجالاً للشك في مَن هو بطل القصة أو ما هو مغزاها، فالله هو البطل.

وماذا عن مغزى القصة؟ هل سنرتكب الخطأ نفسه، الذي ارتكبه الكثير من المعلمين والوعاظ عندما بدأوا يبحثون عن دروس كل منها قائم بذاته يمكن استخلاصها من كل حدث مر بحياة يوسف؟ إن كان الأمر كذلك فقد تستنتج من هذه القصة ما يلي: «حذار من أن تروي أحلامك لأحد فقد تقع في متاعب كبيرة» أو «حتى العبيد أنفسهم بإمكانهم الارتقاء إلى أعلى المناصب إن هم اعتنوا بمهاراتهم الإدارية» أو «سيكون

حالك في السجن أفضل بكثير لو أنك اكتسبت بعض الخبرة في حقل الأعمال الإدارية قبل أن يتم اعتقالك» أو «يرتقي الغرباء إلى مراتب السلطة أسرع مما يفعله السكان المحليون».

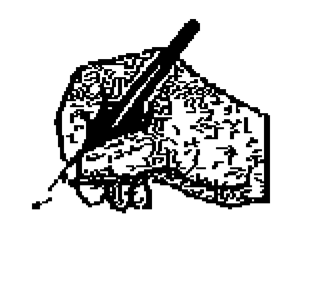
بعبارة أخرى إذا بحثت عن شيء اتصف به يوسف أو فعله قد يستدعي أن يحذو مؤمنو اليوم حذوه لينالوا البركة، فلن تجد مبتغاك في قصة يوسف. فالقصة وبكل بساطة تخبرنا عما فعله الله بشخص كان من غير المحتمل نجاحه. فقصة يوسف تخلو من أي قواعد تتعلق بالأعمال أو بالحياة على وجه العموم؛ لأن حال يوسف تردى من سيئ إلى أسوأ وقضى سنوات كثيرة في السجن قبل أن يهيئ الله وليس يوسف فرصة إطلاق سراحه.

وإطلاق سراح يوسف من السجن كان بسبب مهارات تفسير الأحلام التي أعطاها له الله (تك ٤٠-٤١) وتفاصيل ترقيته إلى مركز هام في السلطة ومساعدته لعائلته أثناء سني المجاعة (تك ٤١-٥٠) وكل ما تبقى من التفاصيل المختلفة الأخرى للقصص الصغيرة التي تتألف منها قصة يوسف بكاملها، وفي الحقيقة كلها لا تشير إلى أي أمر جوهري في شخصية يوسف نفسه أو أي أمر في أفعاله يمكن أن يُقتدى به. نعم ستبذل جهودك عبثًا باحثًا عن أي مغزى ولن تجد سوى ذلك المغزى الوحيد الواضح الذي يعلنه الكتاب المقدس: «كان الله مع يوسف». لأن عملية هبوط يوسف ونهوضه إلى مركز السلطة كانت كلها من عمل الله. حتى سوء نية إخوة يوسف تجاهه قد استُخدمت في خطة الله. تمامًا كما خاطب يوسف إخوته قائلاً: «هل أنا مكان الله؟ أنتم قصدتم لي شرًا، أما الله فقصد به خيرًا لكي يفعل كما اليوم. ليحيي شعبًا كثيرًا» (٥٠: ١٩، ٢٠).



المغزى الوحيد الواضح الذي يعلنه الكتاب المقدس: «كان الله مع يوسف».

إن كل سلسلة الأحداث والقصص الصغيرة التي تألفت منها قصة يوسف الكبيرة المركبة كانت إذًا جزءًا من قصة أكبر: ألا وهي خطة الله لأمة إسرائيل ولحفظ الكنعانيين والمصريين ومَنْ معهم أثناء زمن المجاعة. فقد كانت مصر آنذاك هي المكان الذي أسس فيه الله شعب إسرائيل وكثَّره مهيئًا إياهم للخروج والانتصار كي يصلوا إلى أرض كنعان التي سبق الله ووعد إبراهيم بها.



لقد مُنح يوسف في النهاية القدرة على إدراك أن الله قد سمح بحدوث كل الأحداث التي تألفت منها قصته من أجل هدف عظيم.

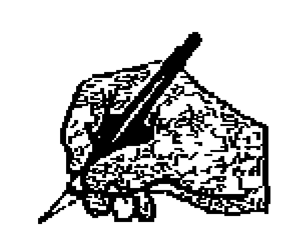
لقد مُنح يوسف في النهاية القدرة على إدراك أن الله قد سمح بحدوث كل الأحداث التي تألفت منها قصته من أجل هدف عظيم. وفي آخر أيام حياته شهد يوسف عن هذا الحدث حين قال لإخوته: «أنا أموت. ولكن الله سيفتقدكم ويصعدكم من هذه الأرض إلى الأرض التي حلف لإبراهيم وإسحاق ويعقوب» (تك ٥٠: ٢٤).

كان التركيز في هذه القصة على الله. فهو تعالى قادر على أن ينجز ما يشاء. وباستخدام وسائط غير متوقعة، كيوسف وعائلته وفرعون، أبقى الله على شعوب كثيرة وبدأ يصنع لنفسه شعبًا خاصًا به. وهذا هو الموضوع الذي نجد فيه مغزى القصة حين يكون تركيزنا في التفسير قائمًا على إدراك نعمة الله ورعايته لنا الأمر الذي يقودنا إلى احترام طرقه والثقة بتدبيراته.

قصة راعوث:

يُعد سفر راعوث سفرًا قصيرًا ومستقلاً في حد ذاته، من السهل تتبع حبكة قصته، ولا توجد أية صعوبة في التعرف إلى شخصياته الرئيسية. الأمر الذي يجعله سفرًا مناسبًا لإيضاح المبادئ الواردة أعلاه، مع التشديد

الخاص على البند التاسع من قائمة المبادئ السابق ذكرها، ونحن إذ نفعل هذا فغايتنا هي مساعدتك على ملاحظة أن تعليم الروح القدس من خلال القصة الكتابية يمكن أن يأتي إما صراحة أو ضمنيًا. فالتعليم الصريح هو ذاك الذي يقول فيه الراوي بوحي الروح مثلاً: «وكان الرب مع يوسف». أما التعليم الضمني فهو ذلك الذي يظهر جليًا في القصة، دون التصريح به بكلمات مباشرة. عليك أن تراه متضمنًا في القصة لكن لا قدرة لك على قراءته مباشرة بالنص.



تعليم الروح القدس من خلال القصة الكتابية يمكن أن يأتي إما صراحة أو ضمنيًا.

وعملية تمييز ما تعلمه القصة صراحة هي عملية سهلة. أما تمييز ما يمكن للقصة أن تعلمه ضمنيًا فأمر يمكن أن يكون صعبًا، إنه يتطلب مهارة وعملاً شاقًا وحرصًا وصلاة وتوقيرًا لدور الروح القدس في عملية الوحي بالنص. فما تسعى إليه أنت هو إلى قراءة ما يكمن في القصة، وليس إلى قراءة ما تعتقد بوجوده فيها.

يمكننا تلخيص قصة راعوث كالتالي: تقوم راعوث الأرملة الموآبية بالهجرة من موآب إلى بيت لحم مع حماتها نعمي، الأرملة الإسرائيلية (راعوث١). كانت راعوث تلتقط فضلات الحبوب من حقل بوعز، الذي أظهر لها لطفًا لسماعه بإيمانها وبرها بنعمي حماتها وقريبته (راعوث٢)، وبناء على اقتراح نعمي، تخبر راعوث بوعز بحبها له وبرغبتها في أن يتزوجها (راعوث ٣). يتخذ بوعز الإجراءات الشرعية الضرورية للزواج من راعوث وللحفاظ على حقوق أملاك الأسرة لزوجها المتوفي محلون، ثم يتحول حزن نعمي إلى فرح وتعزية لدى ولادة عوبيد، الابن الأول لبوعز وراعوث. وفي النهاية يؤول الأمر لأن يصبح حفيد عوبيد هو داود الملك (راعوث٤).

إن لم تكن ملمًا بقصة راعوث، نقترح أن تقوم بقراءتها مرتين على الأقل. بعدئذ عُد ولاحظ بالتحديد البنود الضمنية التالية التي أوحت بها القصة.

١ تخبرنا القصة بأن راعوث قد تحولت إلى الإيمان بالرب إله إسرائيل، ونعرف هذا من خلال تسجيل الوحي لكلمات راعوث لنعمي «شعبك شعبي وإلهك إلهي» (١ : ١٦)، ولم يقل الوحي في ذلك كلمات مثل: «اهتدت راعوث وآمنت». يُفترض فينا القدرة على إدراك أن راعوث قد آمنت بسبب اتخاذها الرب إلهًا. وفعلاً أكدت لنا القصة ضمنيًا بأن إيمان راعوث كان صادقًا حقيقيًا وليس مجرد تملق أو ولاء كلامي زائف وذلك بتسجيل الوحي لكلمات راعوث نفسها: «هكذا يفعل الرب بي وهكذا يزيد، إنما الموت يفصل بيني وبينك» (١ : ١٧). بالطبع تشير هذه الكلمات بوضوح مع أنها لا تُصرح علنًا، إلى أن راعوث الموآبية التي كانت تعبد آلهة الموآبيين في السابق أصبحت الآن تؤمن بيهوه وتحيا بحسب معايير يهوه الرب إله إسرائيل. فلا مجال إذًا للشك هنا بأن راعوث تحولت إلى الإيمان بالإله الحقيقي، على الرغم من عدم ذكر ذلك صراحة في أي موقع في السفر.

٢ تخبرنا القصة ضمنيًا أيضًا بأن بوعز كان إسرائيليًا بارًا يحفظ ناموس موسى في وقت لم يكن فيه كثير من الإسرائيليين يفعلون ذلك. أين نجد هذا القول؟ انظر جيدًا إلى: راعوث ٢ : ٣-١٣؛ ٢ : ٢٢؛ ٣ : ١٠-١٢؛ ٤ : ٩-١٠. إذ توضح لنا هذه المقاطع أن بوعز ومن خلال كلامه، كان مخلصًا للرب وخاضعًا لوصاياه، وأنه كان حافظًا لشريعة التقاط بقايا الحصاد الواردة في لاويين ١٩ : ٩-١٠ (تنطبق شروط تلك الشريعة بوجهيها على راعوث- فقد كانت مسكينة وغريبة)، وأنه كان حافظًا لشريعة فكاك الأرض الواردة في لاويين ٢٥ : ٢٣-٢٤، وأن بني إسرائيل لم يكونوا جميعًا مخلصين جدًا للشريعة – فقد كان أمر التقاط فضلات حصاد الحقل خطيرًا في أراضي أُناس غير طائعين لوصية الالتقاط الناموسية (٢ : ٢٢).

٣ كما تخبرنا هذه القصة ضمنيًا بأنها جزء من خلفية أجداد الملك داود – وأن بامتدادها تكون خلفية لنسب الرب يسوع المسيح. انظر إلى راعوث ٤: ١٧-٢١. فكلا سلسلتي النسب القصيرة في عدد ١٧ والطويلة في الأعداد ١٨-٢١ تنتهيان باسم داود. وداود هذا صار محور التركيز في نهاية هذا المقطع من القصة. ومن خلال قوائم أخرى لسلسلة الأنساب في الكتاب المقدس، نعرف بأن داود هذا هو الملك داود، أول ملك عظيم لبني إسرائيل كما أننا نعرف من سلسلة أنساب العهد الجديد أن يسوع، من حيث طبيعته الإنسانية هو من نسل داود. إذًا لقد كانت راعوث جدة داود، وبالتالي هي جدة يسوع.

وهذا الجزء هو جزء تعليمي أهم من القصة كلها. فهي ليست قصة عن راعوث وبوعز وإخلاصهما للرب فحسب، بل هي قصتهما من حيث مكانتهما في تاريخ بني إسرائيل، وبالطبع، لم يكن لهما سبيل ليعرفا طبيعة مكانتهما، وكانا اثنين ممن استخدمهم الله في نسب داود وابن داود ربنا يسوع المسيح.

٤ تخبرنا هذه القصة ضمنيًا بأن مدينة بيت لحم كانت فريدة أثناء فترة حكم القضاة بسبب إيمان مواطنيها. إن القدرة على ملاحظة واستنتاج هذا الإقحام الضمني ليس أمرًا سهلاً أو تلقائيًا. فهي تتطلب قراءة متأنية للقصة كلها، مع انتباه كبير وشديد إلى كلمات وأفعال جميع المشاركين في القصة. وهي تتطلب أيضًا معرفة كافية بطبيعة الأحوال عمومًا في أنحاء أخرى من إسرائيل في تلك الأيام بالمقارنة مع طبيعة الأحوال في مدينة بيت لحم بشكل خاص.

تعتمد هذه المعرفة على إلمام الشخص بأحداث وأفكار سفر القضاة الرئيسية ذلك أن قصة راعوث مرتبطة مباشرة بتلك الحقبة (١: ١). ولو

سنحت لك الفرصة لقراءة سفر القضاة بعناية، فستلاحظ بأن فترة حكم القضاة قد تميزت عمومًا بأمور كثيرة كانتشار عبادة الأوثان، والحركات التوفيقية (التوفيق بين المعتقدات الوثنية والإيمان اليهودي الحق)، والظلم الاجتماعي والاضطراب الاجتماعي والمشاكسات القبلية والفجور الجنسي، وأمور أخرى كثيرة تدل على عدم الإيمان. والصورة التي يرسمها لنا سفر القضاة تكاد لا تمت للسعادة بصلة، مع أن الله أظهر في هذا الوقت وفي حالات فردية هناك عظيم رحمته، بمساعدة من بني إسرائيل أو بعض الأسباط من بني إسرائيل رغم انتشار ظاهرة العصيان آنذاك ضد الله.

لكن ما الذي يخبرنا به الوحي في سفر راعوث عن هذا الأمر، أن بيت لحم كانت مستثناه من هذه الظاهرة بالمقارنة مع وضع عدم الإيمان السائد؟ فعمليًا كل شيء يشير إلى هذا الأمر عدا ٢: ٢٢، حيث نجد فيه تلميحًا إلى أن سكان بيت لحم لم يكونوا كلهم يمارسون شرائع التقاط الفضلات كما يجب. عدا ذلك فالصورة تبدو وحدة متتابعة إلى حد كبير، ولعل كلمات شخصيات القصة أنفسهم كانت تُعبِّر عن مدى صدق وولاء أهل بيت لحم للرب.

لكن تذكر بأن كل شخصيات القصة، ما عدا راعوث وعرفة، كانوا من أهل بيت لحم. تأمل في شخصية نُعمي سواء في أيام الضيق الشديد (١: ٨، ٩، ١٣، ٢٠، ٢١)، أو في أيام السعادة (١: ٦؛ ٢: ١٩، ٢٠) فهي كانت تدرك مشيئة الله وتخضع لها. علاوة على ذلك فإن بوعز كان يُظهر وباستمرار من خلال أقواله، بأنه يعبد الرب ويتبعه (٢: ١١-١٢؛ ٣: ١٠، ١٣) وكانت أفعاله تعكس دائمًا صدق كلماته.

حتى الطريقة التي كان يُحيي بها الناس بعضهم بعضًا في بيت لحم كانت تُظهر درجة عالية من الولاء الصادق للرب (٢: ٤). وبطريقة مماثلة فإن إيمان شيوخ بيت لحم كان يظهر من خلال مباركتهم للزواج وثمره (٤: ١١-١٢)، ومن خلال

مباركة النساء لنعمي (٤: ١٤). إن قبول أهل بيت لحم لراعوث تلك المرأة الموآبية التي اهتدت للإيمان، لهو شهادة إضافية على إيمانهم.

أخيرًا ينسب كاتب القصة بالوحي الإلهي أحداثًا هامة إلى الرب (١: ٦؛ ٤: ١٣) مع أننا لا نملك دليلاً على كون كاتب الرواية من بيت لحم أو لا، وليس غريبًا أن نجد كاتب القصة وقد اتخذ موقفًا منفصلاً عن روح عدم الإيمان التي كانت سائدة في تلك الأيام.

والنقطة الجوهرية هنا هي أن الدارس لا يمكنه قراءة قصة راعوث بتأنٍّ (مقارنًا إياها بسفر القضاة) دون أن يرى مرة تلو الأخرى الوضع الاستثنائي الذي كانت عليه بيت لحم، مع أنه لا يوجد في كل القصة ما يقوله الوحي صراحة بأن بيت لحم كانت مدينة معروفة بالتقوى في تلك الأيام. لكن هذه القصة تخبرنا بهذا وبكل دقة وبنفس درجة الحسم والإقناع التي للكلمات الصريحة والمباشرة.

نأمل أن تكون هذه الأمثلة قد أظهرت ضرورة القراءة الدقيقة للتفاصيل ولحركة القصة الإجمالية وقرائنها، وذلك إذا ما أردنا فعلاً فهم المعنى الكامل للقصة. لأن ما هو كامن وضمني فيها يمكن أن يعادل تمامًا في مغزاه ما هو واضح ومباشر.

بعض التنبيهات الختامية

سؤال: ما السبب في أن بعض الناس قد يكتشفون في القصص الكتابية أمورًا غير موجودة في واقع الأمر؟ ولماذا يزجون بنظرياتهم الخاصة في الكتاب المقدس بدلاً من أن يستخلصوا منه ما يريدهم الله أن يعرفوا؟ **وها هي الإجابة: هناك أسباب ثلاثة:**

أولاً : هناك بعض الناس ممن يشعرون بأنهم بحاجة ماسة للحصول على معلومات

تساعدهم في أمورهم الخاصة، وتكون نافعة لهم بشكل شخصي بحيث يمكن تطبيقها على حالتهم.

ثانيًا: منهم مَنْ هو عديم الصبر فهم يريدون أجوبة فورية، من هذا السفر أو من ذاك الأصحاح الذي يقرأونه.

ثالثًا: نراهم أحيانًا يظنون خطأ بأن كل ما في الكتاب المقدس ينطبق مباشرة على حياتهم كأفراد وكأنه تعليمات خاصة لهم. الكتاب المقدس كنز عظيم، وهو يحتوى على كل ما يحتاجه المؤمن من الإرشاد الإلهي للحياة، لكنه لا يحتوي دائمًا على إجابات شخصية ومحددة كما قد يتمنى البعض، وهو لا يحصر كل معلوماته في كل أصحاح من كل سفر، فعندما لا يصبر الناس حتى يجدوا مشيئة الله في الكتاب المقدس ككل، نراهم يرتكبون الأخطاء إذ يسمحون لأنفسهم بفهم أجزاء مستقلة من الكتاب المقدس بأسلوب خاطىء.

ولكي تتفادى عزيزنا الدارس هذا الاتجاه الخاطيء نذكر فيما يلي قائمة بالأخطاء الخمسة الأكثر شيوعًا لدى الناس عند قيامهم بفهم أو استخراج الأجوبة من بعض الأجزاء من الكتاب المقدس. ففي الوقت الذي قد تنطبق فيه هذه الأخطاء كلها على نص ما فهي تنطبق أيضًا على العديد من النصوص الأخرى.

١ **إهمال القرينة:** قد يقوم البعض بإهمال القرائن التاريخية والأدبية الكاملة، أو قد يهمل بعض الناس في كثير من الأحيان القصة الفردية الأمر الذي يقودهم إلى التركيز على وحدات صغيرة فقط، وبالتالي تفوتهم الدلائل التفسيرية الكبيرة. وأنت صديقي الدارس إن أهملت القرينة إهمالاً كبيرًا، فستتمكن من جعل أي جزء من الكتاب المقدس تقريبًا يقول ما تريد أنت قوله.

٢- **الانتقائية:** وهي تشبه إلى حد ما إهمال القرينة. فهي تعني انتقاء واختيار بعض الكلمات والعبارات المعينة والتركيز عليها، مع إهمال سواها، وإهمال النظرة الإجمالية للجزء الخاضع للدراسة. فبدلاً من عمل موازنة بين الأجزاء والكل، تُهمِل الانتقائية بعض الأجزاء فلا يكون هناك ما يربطها بالكل.

٣- **التفسير الرمزي:** يتم التفسير منه على الشكل التالي: بدلاً من التركيز على المعنى الجلي للنص، يذهب بعض الناس إلى إحالة النص إلى مجرد انعكاس لمعنى آخر لا وجود له ويتجاوز النص. نعم ومن المؤكد أن هناك الكثير من المقاطع الرمزية في الكتاب المقدس مثل: حزقيال ٢٣ أو بعض الأجزاء من سفر الرؤيا، ولكن لن يأتي أي مقطع كتابي رمزي في هيئة قصة بسيطة.

٤- **الربط المغلوط:** هذه الطريقة تربط بعض العناصر المتفرقة وتضعها معًا في مقطع ما من أجل استخلاص نقطة ما نتيجة هذا الربط، في حين أن هذه العناصر قد لا تكون مرتبطة مباشرة ببعضها البعض.

٥- **تحوير المعاني:** قد لا ينجح المعنى الجلي في إرضاء ذوق الناس، أو قد لا يولد فيهم بهجة روحية فورية، أو ربما يوحي المعنى الواضح للنص بأمور لا يريد الناس سماعها، فنراهم ينساقون كثيرًا إلى إعادة تعريف معنى النص بمعنى آخر. نراهم مثلاً يأخذون كلمات يسوع التالية: «ولكن ويل لكم أيها الأغنياء» و«ويل لكم إذا قال فيكم جميع الناس حسنًا» (لو ٦: ٢٤-٢٦) ويحورونها من معناها الواضح والجلي لتصبح: «الويل لكم يا مَنْ تحبون المال كثيرًا لدرجة التخلي عن إيمانكم بالله» و «الويل لكم يا مَنْ صرتم ملحدين لكي تنالوا مجدًا سهلاً من الناس الكفرة». وهكذا يتم تحوير هذه الأقوال بطريقة لا تعود فيها هذه الأقوال نفسها تُشكل خطرًا أو تهديدًا على مَنْ يقوم بالتحوير.

وهنا التحذير الأهم والأنفع الذي يمكن أن نعطيك إياه حول قراءة القصص الكتابية والتعلم منها، ألا وهو: لا تقلّد كل ما جاء في الكتاب المقدس وكأنك أنت المعني شخصيًا بالأمر. ما من قصة في الكتاب المقدس قد كُتبت بشكل خاص عنك أنت. فقصة يوسف مكتوبة عن يوسف وخاصة عن كيفية تعامل الله معه وبواسطته وليست هي قصة تتناولك مباشرة. وأما قصة راعوث أيضًا فهي كُتبت لتمجيد الله على حمايته وعمله لخير راعوث وأهل بيت لحم وليس حمايته وخيره لك أنت. نعم، يمكنك تعلُّم الكثير من هاتين القصتين، ومن قصص الكتاب المقدس كلها، لكن عليك ألا تفترض أن الله يتوقع منك أن تقوم بالأعمال نفسها التي قامت بها شخصيات هذه القصص، أو تتوقع أن تحدث لك ذات الأحداث التي حدثت لهم. ولمزيد من الضوء حول هذا الموضوع، تابع الفصل السادس من هذا الكتاب.

كما أن شخصيات الكتاب المقدس تتسم بالخير حينًا، وبالشر حينًا آخر، أحيانًا بالحكمة، وبالحماقة في مرات أخرى. نراهم تارة يتعرضون للعقوبة، وطورًا للرحمة، تارة للسعادة وأخرى للبؤس.

وما هو مطلوب منك فعله حقًا هو طاعة ما يدعوك الله إليه في كتابه المقدس لعمله وتتميمه. وقيمة القصص بالنسبة لنا تأتي من كونها تعرض وبصورة حية للغاية تدخُّل الله في العالم وتوضح لنا مبادئه ودعوته. وهي بذلك تُعلِّمنا الكثير- لكن ما تعلمنا إياه بشكل مباشر لا يتضمن الإشارة إلى الأخلاق الشخصية مباشرة. فإن أردنا تعلم الأخلاق، علينا العودة إلى مقاطع أخرى في كلمة الله فيها يتم تعليم الأخلاق الشخصية بصراحة تامة وبشكل مباشر. لأن وفرة وتنوع كنوز الكتاب المقدس يجب أن تعمل لصالحنا ولخيرنا لا أن تصبح عبئًا معقدًا ملزمًا دائمًا.

٦

سفر الأعمال
السابقة التاريخية

الفصل السادس

سفر الأعمال
السابقة التاريخية

- التفسير الاستنتاجي لسفر الأعمال.
- سفر الأعمال كتاريخ.
- سفر الأعمال- نظرة شاملة.
- بعض المبادئ العامة.
- بعض المبادئ الخاصة.

قد يُعد تخصيص فصل منفصل عن سفر الأعمال أمرًا من باب الإسهاب؛ لأن كل ما قيل في الفصل السابق تقريبًا ينطبق على هذا الفصل أيضًا. ولكن من أجل سبب عملي للغاية ومتعلق بالتفسير الحياتي، تطلَّب سفر أعمال الرسل فصلاً خاصًا به. والسبب بسيط وهو أن معظم المسيحيين يقرأون سفر الأعمال بطريقة تختلف عن أسلوب قراءتهم لسفر القضاة أو لسفر صموئيل الثاني، حتى وإن لم يدركوا هذه الحقيقة إدراكًا تامًا.

فعندما نقرأ قصص العهد القديم نميل عادة إلى عمل الأمور المذكورة في الفصل السابق وهي تبني التفاسير الرمزية، واستخراج الدروس الأخلاقية، وقراءة ما بين السطور... وهكذا نادرًا ما نعتبر قصص العهد القديم تلك القصص التي يمكن أن تكون أمثلة على أنماط من السلوك المسيحي أو الحياة الكنسية. وحتى في الحالات القليلة التي نفعل فيها ذلك - واستخدام جزة صوف لمعرفة مشيئة الله - فإننا لا نفعل أبدًا ما فعلوه هم بالتمام، أي أننا لا نقوم فعليًا بإخراج جزة صوف لله ليجعلها ناشفة أو مبللة. لكننا نقوم بالتعامل مع الله من خلال سلسلة من العلامات، أو الظروف فمثلاً: إن قام أحد من مدينة بعيدة - نريد الذهاب إليها - بالاتصال بنا هاتفيًا قد نفسر هذا الاتصال على أنه وسيلة الله لإعلامنا بأن ذهابنا إلى تلك المدينة هو من ضمن مشيئته. وبينما نفعل ذلك، لا يخطر في بالنا أبدًا بأن ما قام به جدعون في اختبار الله كان أمرًا غير محبب، لأنه كان دليلاً على قلة ثقته بكلمة الله التي سبق أن تسلمها بالفعل.

وهكذا، فإننا نادرًا ما ننظر لتاريخ العهد القديم باعتباره يقدم لنا سوابق (أنماطًا) كتابية قد دونت من أجل حياتنا نحن. من ناحية أخرى، فهذه هي الطريقة التي اعتاد أن يقرأ بها المسيحيون سفر أعمال الرسل، الذي لا يخبرنا فقط عن تاريخ الكنيسة الأولى، بل يقدم لنا أيضًا النموذج المثالي للكنيسة عبر العصور. وهنا بالتحديد نجد الصعوبة التفسيرية والتطبيقية.

بمعنى أصح أننا نعود بأنظارنا بانتظام إلى كنيسة القرن الأول وإلى الاختبار المسيحي في ذلك القرن كنموذج يفترض بنا استعادته أو كغاية ينبغي لنا أن ندنو منها. وكثيرًا ما قد نقول أمورًا كالآتي: «يُعلِّمنا سفر أعمال الرسل بوضوح أن...» غير أنه لا يبدو أن ما نعلمه واضح بالدرجة نفسها لدى الجميع.

والواقع هو أن افتقارنا للدقة التفسيرية من جهة ما يحاول سفر الأعمال تعليمه هو الذي أدى بنا إلى تلك الانقسامات الكثيرة التي نراها في مختلف الكنائس

والطوائف. فالممارسات المختلفة بشأن مثلاً: معمودية الأطفال أو معمودية الكبار فقط، وأنظمة إدارة الكنيسة كالنظام الجماعي أو الكهنوتي، أو ضرورة تناول عشاء الرب كل يوم أحد، أو معمودية الروح القدس المصحوبة بالتكلم بألسنة، بيع الممتلكات وجعل كل الأمور مشتركة، أوجد لها الناس براهين وأدلة مبنية على سفر الأعمال.

إن الغرض الرئيسي من هذا الفصل هو تقديم بعض المقترحات العملية في تفسير مسألة السوابق الكتابية. فما سيقال هنا في هذا الفصل يمكن أن ينطبق أيضًا على كافة القصص التاريخية في الكتاب المقدس، بما فيها بعض محتويات الأناجيل. ولكن قبل ذلك، نحتاج إلى ذكر بعض الأمور حول كيفية قراءة ودراسة سفر أعمال الرسل.

سنلجأ كثيرًا في بحثنا التالي إلى الإشارة إلى نية البشير لوقا أو هدفه من كتابته لسفر أعمال الرسل مع التشديد على قصدنا الدائم في أن الروح القدس هو الذي كان يوجه قصد البشير لوقا.

التفسير الاستنتاجي لسفر الأعمال

مع أن سفر الأعمال كتاب تسهل قراءته إلا أن بعض الناس يقدم على دراسته لأسباب متنوعة. فمثلاً بعضهم يهتم جدًا بالتفاصيل التاريخية، أي بكل ما يقوله سفر الأعمال عن تاريخ الكنيسة الأولى. وآخرون لديهم اهتمام دفاعي بمعنى أنهم يريدون إثبات صحة الكتاب المقدس من خلال إظهار دقة لوقا البشير كمؤرخ. من جهة ثانية، فإن معظم الناس نجدهم يدرسون سفر الأعمال لأسباب تأملية أو تعبدية إذ ينشدون معرفة ما كان عليه المسيحيون الأوائل كي يقتدوا بهم ويستلهموا منهم النماذج.

لذا فالاهتمام الذي يبديه الناس بسفر الأعمال، قد يسبب حدوث كثير من الانتقائية أثناء القراءة أو الدراسة. فلأولئك الدارسين لسفر الأعمال بهدف التأمل والعبادة يكون على سبيل المثال كلام غمالائيل في أعمال ٥ أقل شأنًا من قصة إيمان بولس في أعمال ٩ أو سجن بطرس الرسول في أعمال ١٢، وقراءة من هذا القبيل عادة ما تجعل الناس يتخطون المسائل التاريخية أو المتعلقة بالترتيب الزمني للأحداث. فمثلاً، من الصعب عليك أن تتخيل أثناء قراءتك للإصحاحات الإحدى عشرة الأولى، أن لوقا البشير قد غطى فيها أحداثًا استغرقت ما بين ١٠-١٥ سنة.

وما يهمنا هنا، في الحقيقة هو مساعدتك على قراءة ودراسة سفر الأعمال بانتباه، ومساعدتك على النظر إلى السفر من زاوية اهتمام البشير لوقا، وعلى طرح نوع جديد من الأسئلة أثناء القراءة.

سفر الأعمال كتاريخ

كان لوقا البشير رجلاً أمميًا، ولذلك فإن قصته الموحى بها تصلح كمثال رائع للتأريخ الهيليني، وهو نوع من الكتابة التاريخية تعود بدايته إلى زمن ثوسايديدس (حوالي ٤٦٠ – ٤٠٠ ق م)، إلا أنه ازدهر أثناء العصر الهليني (حوالي ٣٠٠ ق م – ٢٠٠ م). مثل هذا التأريخ لم يكتب لمجرد حفظ السجلات أو لعمل ترتيب زمني لأحداث الماضي. لكنه كتب من أجل التشجيع والفائدة والاستمتاع بالقراءة ومن أجل تقديم المعرفة واستخراج الدروس الأخلاقية، أو للدفاع عن العقائد والتعاليم.

والسفران اللذان كتبهما لوقا البشير (إنجيل لوقا وسفر الأعمال) يندرجان تحت هذا الباب التاريخي. ومع كونهما ممتعين في القراءة، نجدهما في الوقت نفسه يُعبِّران عن اهتمامات كانت عند لوقا وتشمل أكثر من مجرد الإفادة أو

إطلاع القارئ. إن ملاحظة هذه الاهتمامات تكتسب أهمية خاصة عند قراءة أو دراسة سفر الأعمال. فالشرح الاستنتاجي لسفر الأعمال لا يشمل المسائل التاريخية فقط، كأن نسأل مثلاً وماذا حدث؟ بل يشمل أيضًا المسائل اللاهوتية، كأن نسأل: ما غاية ونية البشير لوقا في انتقائه لموضوعاته وصياغتها بهذه الطريقة؟

ما غاية ونية البشير لوقا في انتقائه لموضوعاته وصياغتها بهذه الطريقة؟

والسؤال المتعلق بغاية لوقا ونيته يبرز في الحال باعتباره السؤال الأكثر أهمية والأكثر صعوبة في آن واحد. وأهمية هذا السؤال القصوى ترجع لخطورته على ما نقوم به من تفسير. فإن ثبت أن غاية لوقا في سفر الأعمال كانت من أجل وضع نمط للكنيسة في كل الأزمنة، سيصبح هذا النمط بالتأكيد هو المعيار أو النموذج الذي يطلب الله من المؤمنين به اتباعه في كل الظروف والأحوال. أما إذا كان قصد لوقا شيئًا آخر، إذًا نحتاج لأن نطرح أسئلتنا التفسيرية الحياتية بطريقة مختلفة. إن معرفة غاية البشير لوقا هي أمر صعب جدًا، ذلك لأننا لا نعرف مَنْ كان ثاوفيلس، ولا سبب كتابة لوقا له من جهة، ومن جهة ثانية هذا السفر يبدو أن فيه اهتمامات كثيرة ومختلفة.

لذلك، فإن اهتمامنا بالتفسير الاستنتاجي يجب أن ينصب على كل من السؤالين التاليين: «ماذا» و «لماذا». وكما سبق وتعلمنا فعلى الدارس أن يبدأ بالسؤال: «ماذا» قبل أن يسأل: «لماذا».

الخطوات الأولى

١ اقرأ سفر الأعمال من بدايته إلى نهايته في جلسة واحدة أو اثنتين.

٢ قم أثناء قراءتك بتدوين ملاحظات عن أمور تختص بالشخصيات والأماكن

الرئيسية والحوادث المتكررة (التي تُظهر دوافع واهتمامات لوقا البشير في الأصل) بالإضافة إلى وضع ملاحظات عن تقسيمات السفر.

٣ عُد الآن، وتصفح السفر سريعًا، ودوّن ما لاحظته سابقًا باختصار مع تحديد الشواهد الكتابية.

٤ اسأل نفسك هذا السؤال: «لماذا كتب لوقا البشير هذا السفر؟»

وبما أن سفر الأعمال فريد من نوعه بين أسفار العهد الجديد فسنكون أكثر وضوحًا ودقة في توجيه قراءتك ودراستك.

سفر الأعمال: نظرة شاملة

دعونا نبدأ بحثنا في السؤال «ماذا» بملاحظة التقسيمات الطبيعية التي قام بها لوقا البشير نفسه. فكثيرًا ما تم تقسيم سفر الأعمال بحسب اهتمام لوقا ببطرس (١-١٢) وبولس (١٣-٢٨)، أو بحسب الامتداد الجغرافي لرسالة الإنجيل (١-٧ أورشليم، ٨-١٠ السامرة واليهودية، ١١-٢٨ إلى أقصى الأرض). وعلى الرغم من إمكانية تمييز هذه التقسيمات من حيث المضمون الفعلي للسفر، إلا أن هناك دليلاً آخر أورده البشير لوقا نفسه ويبدو أنه يربط كل الأشياء معًا بشكل أفضل. لاحظ، وأنت تقرأ التصريحات الموجزة والقصيرة في ٦: ٧؛ ٩: ٣١؛ ١٢-٢٤، ١٦: ٤؛ ١٩: ٢٠ ميل القصة إلى التوقف لبرهة قبل أن تستأنف السير باتجاه جديد مختلف نوعًا ما. وعلى أساس هذا المفتاح يمكننا ملاحظة أن سفر الأعمال يتكون من ستة مقاطع، أو أجزاء تدفع بالقصة بحركة متواصلة إلى الأمام من المحيط اليهودي ومركزه أورشليم وبقيادة بطرس الرسول، باتجاه كنيسة قوامها الرئيسي من الأمم بقيادة بولس الرسول وهدفها هو روما، عاصمة العالم الأممي، وما أن يصل بولس إلى روما حيث يقوم ثانية بالتركيز على الأمم لأنهم سيستمعون إليه (٢٨: ٢٨) حتى تنتهي القصة.

عليك إذًا أن تلاحظ أثناء قراءتك كيف أن كل مقطع قد أسهم في هذه الحركة، حاول وبكلماتك الخاصة أن تصف كل جزء من حيث مضمونه ومن حيث إسهامه في تقدم الحركة، ما الذي يبدو أنه المفتاح لكل عملية دفع جديدة للأمام؟

إليك المحاولة التي توصلنا إليها نحن في هذا الشأن:

١: ١-٦: ٧ وصف للكنيسة الأولى في أورشليم، كرازتها المبكرة، وحياتها المشتركة وانتشارها والمقاومة لها في البداية. لاحظ مدى يهودية كل الأمور، بما في ذلك العظات والمعارضة، وحقيقة استمرار تعلُّق المسيحيين الأوائل بالهيكل والمجامع. يختتم لوقا هذا الجزء بقصة تشير إلى بدء انقسام بين المسيحيين المتكلمين باللغة اليونانية والمسيحيين المتكلمين باللغة الآرامية.

٦: ٨-٩: ٣١ وصف لأول امتداد جغرافي قام به المسيحيون من اليهود الناطقين باليونانية «الهلينيون» إلى يهود الشتات أو «أشباه اليهود» (السامريين والمتهودين). يذكر لوقا البشير أيضًا إيمان بولس الذي كان (١) هلينيًا، (٢) خصمًا، (٣) يهوديًا، عتيدًا أن يقود التوسع الأممي. أما استشهاد استفانوس فهو مفتاح هذا التوسع الأولي.

٩: ٣٢-١٢: ٢٤ وصف أول امتداد باتجاه الأمم. والمفتاح هو إيمان كرنيليوس، الذي ذُكرت قصته مرتين. تأتي أهمية كرنيليوس بسبب إيمانه الذي تم بعمل مباشر من الله، الله الذي لم يستخدم المسيحيين الهلينيين في ذلك الوقت، وإلا لكان الأمر في موضع شك، لكن الله استخدم بطرس الرسول، الذي اؤتمن على إرسالية المسيحية لليهود. يشمل هذا المقطع أيضًا قصة كنيسة إنطاكية، حيث آمن الأمميون بواسطة المسيحيين الهلينيين بطريقة لها مغزاها.

١٢: ٢٥-١٦: ٥ وصف لأول امتداد جغرافي إلى العالم الأممي بقيادة

بولس الرسول. يرفض اليهود الآن بشكل متكرر قبول الإنجيل لأنه يشمل الأمم. فتجتمع الكنيسة على هيئة مجمع ولا تقوم برفض الإخوة والأخوات الأمميين، كما أنها لا تفرض عليهم المتطلبات الدينية اليهودية. ويصبح هذا القرار هو المفتاح للتوسع الكامل نحو العالم الأممي.

١٦: ٦–١٩: ٢٠ وصف لمزيد من الامتداد نحو العالم الأممي باتجاه الغرب حتى أوروبا. يتكرر رفض اليهود للإنجيل وترحيب الأمم به.

١٩: ٢١–٢٨: ٣٠ هذه الأعداد وصفت الأحداث التي دفعت بولس الرسول والإنجيل نحو روما، مع إعطاء مقدار كبير من الاهتمام بالمحاكمات التي تعرَّض لها، حيث تمت تبرئته ثلاث مرات من التهم المنسوبة إليه.

حاول قراءة سفر الأعمال بحسب الترتيب السابق، والمُنصب على الحركة لترى بنفسك ما إذا كان ذلك الترتيب يستوعب الأحداث الجارية. ستلاحظ أثناء قراءتك له بأن وصفنا للمضمون لم يكن مبنيًا على عامل هام – أو لعله العامل الأعظم أهمية في الحقيقة – وهو بالتحديد دور الروح القدس في كل ما حدث.

ستلاحظ أثناء القراءة وعند الوصول إلى كل حلقة اتصال رئيسية والوقوف عند كل شخصية رئيسية، أن دور الروح القدس هو الدور القيادي بلا منازع. فبناء على ما كتبه البشير لوقا، لم تتقدم هذه الحركة بمشيئة أو تصميم إنسان بل تقدمت ونمت لأن الله أراد لها ذلك، ولأن الروح القدس نفَّذ هذه الإرادة.

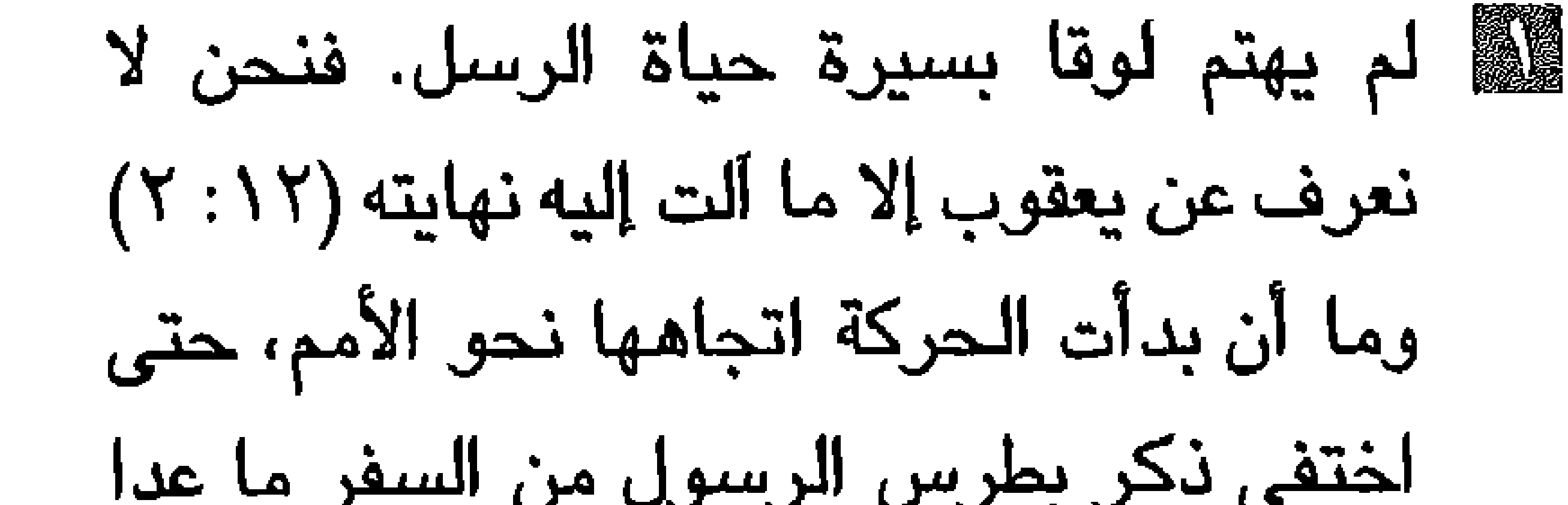
هدف لوقا البشير

علينا أن نحذر من عدم الانتقال عفويًا أو ارتجاليًا من هذه النظرة العامة لما قام به لوقا إلى تبنّي تعبير سهل أو جازم بخصوص هدف لوقا الموحى به من كل حدث. من المناسب أن نورد الملاحظات التالية والمبنية جزئيًا على ما لم يفعله لوقا:

أولاً: يبدو أن المفتاح إلى فهم سفر الأعمال يكمن في اهتمام لوقا وخضوعه للحركة التي وجه بها الروح القدس الإنجيل، من تمركزه في أورشليم للوصول إلى كل الأمم وليس اليهود فقط. وإذا اعتمدنا على تركيب السفر ومضمونه وحدهما، فإن أي هدف لا يشمل الكرازة للأمم ولا يتحدث عن دور الروح القدس في هذه الكرازة، هو هدف فاشل وغير قادر على الوصول إلى غاية هذا السفر.

ثانيًا: إن هذا الاهتمام بالحركة يلاقي دعمًا أكبر في ما لم يقله لنا لوقا:

١ لم يهتم لوقا بسيرة حياة الرسل. فنحن لا نعرف عن يعقوب إلا ما آلت إليه نهايته (١٢: ٢) وما أن بدأت الحركة اتجاهها نحو الأمم، حتى اختفي ذكر بطرس الرسول من السفر ما عدا ما ذُكر عنه في أصحاح ١٥ مؤيدًا كرازة الأمم. وباستثناء يوحنا لم يرد أي ذكر لباقي الرسل، وقد انصبَّ اهتمام لوقا على بولس الرسول في دائرة كرازة الأمم بشكل شبه كلي.



إن المفتاح إلى فهم سفر الأعمال يكمن في اهتمام لوقا وخضوعه للحركة التي وجه بها الروح القدس الإنجيل.

٢ نرى لوقا لا يهتم إلا القليل بما يتعلق بالتنظيم الكنسي أو إدارة الكنيسة. فهو لم يذكر اللقب الكنسي للسبعة المذكورين في الأصحاح السادس، وعلى أية حال نقرأ فيما بعد عنهم أنهم سرعان ما تركوا أورشليم. لا يذكر لنا لوقا أيضًا كيف أو لماذا انتقلت قيادة كنيسة أورشليم من أيدي بطرس والرسل إلى يد يعقوب أخي الرب (١٢: ١٧؛ ١٥: ١٣؛ ٢١: ١٨). ولا يذكر لنا حتى ولو لمرة كيف تم تنظيم الكنائس المحلية من حيث القيادة أو الإدارة فيها.

٣ ليس هناك ذكر لأي خط امتداد جغرافي غير الخط المباشر والوحيد من أورشليم إلى روما. وليس هناك ذكر لكنائس مثل كريت (تي ١: ٥) أو

الليريكون (يوغسلافيا) (رو ١٥: ١٩) أو بنتس وكبدوكية، وبيثينية (١بط ١: ١). ناهيك عن توسع وامتداد الكنيسة نحو الشرق باتجاه بلاد ما بين النهرين أو جنوبًا باتجاه مصر.

كل ما سبق يشير وببساطة إلى أن قصد لوقا البشير من كتابة السفر لم يكن تأريخًا للكنيسة.

ثالثًا: لا يبدو للوقا البشير أي اهتمام مُركَّز على تحديد معايير للأمور أو وضعها بشكل متناسق. فنادرًا جدًا ما يذكر قضية التوبة ذكرًا محددًا، حتى بعد تسجيل ما يقوله بطرس في ٢: ٣٨-٣٩، وبطريقة مماثلة فإن لوقا لا يذكر أو حتى يلمح إلى أن كنائس الأمم قد مارست حياة مشاركة جماعية كالتي عاشتها الكنيسة في أورشليم وذُكر عنها في ٢: ٤٢-٤٧؛ ٤: ٣٢-٣٥ ولعل عدم ذكره لهذه الأمور يعني أنه لم يتم وضع مثال معين ومحدد من شأنه أن يكون نموذجًا للسلوك المسيحي أو لحياة الكنيسة.

لكن هل يمكننا القول بأن لوقا لم يسعَ إلى أن يخبرنا شيئًا بواسطة هذه القصص المتنوعة المحددة؟ هذا القول ليس صحيحًا بالضرورة. والسؤال المهم هنا هو ما الذي حاول لوقا قوله لقرائه الأولين؟

رابعًا: نعم نحن نؤمن أن لوقا قد قصد بأن يكون جزء كبير من سفر الأعمال بمثابة مثال أو نموذج، لكن هذا النموذج لم يكن متمثلاً في التفاصيل بمقدار ما هو في الصورة العامة؛ لأنه بالطريقة نفسها التي حرك الله بها لوقا ليجمع هذا التاريخ ويرويه، بدا ممكنًا رؤية قصد الله للكنيسة المتتابعة عبر الأجيال من خلال هذا الامتداد المتقدم للإنجيل بصورته المنتصرة والبهية، وبقوة الروح القدس الذي قاد إلى تغيير حياة الكثيرين من الأفراد والجماعات المحلية. ولأن هذا الهدف هو قصد الله للكنيسة، إذًا لن يستطيع أحد إعاقة هذا الامتداد، لا السنهدريم ولا المجمع، ولا

الخلاف ولا ضيق الأفق الفكري، ولا السجن ولا التآمر. وهكذا فمن المرجح جدًا أن يكون لوقا البشير قد قصد للكنيسة أن تكون بالصورة عينها التي رسمها في سفر الأعمال، لكن بمعنى أشمل، بدلاً من أن يجعل سفر الأعمال نموذجًا أو مثلاً محددًا تقف عنده الكنيسة.

مثال للتفسير الاستنتاجي

دعونا الآن نتفحص هاتين القصتين الموجودتين في (٦: ١-٧؛ ٨: ١-٢٥) ونلاحظ نوع الأسئلة الاستنتاجية التي يحتاج الشخص إلى تعلُّم طرحها على نصوص سفر الأعمال.

كما هو الحال دائمًا، عادة يبدأ الشخص بقراءة المقطع المختار وقرينته المباشرة المرة تلو الأخرى. وكما هو الحال أيضًا في الرسائل تظل الأسئلة المرتبطة بالقرينة والتي يجب طرحها على سفر الأعمال هي: ما المقصود من هذه القصة؟ أو ما النقطة الجوهرية في هذه القصة أو هذا الكلام؟ ما وظيفتها في مجمل قصة لوقا البشير؟ لماذا تعمد لوقا ذكرها هنا؟ تستطيع عادة وبشكل مؤقت الإجابة عن هذه الأسئلة بعد مرة أو مرتين من القراءة المتأنية. لكنك أحيانًا وخاصة مع سفر الأعمال تحتاج إلى قراءات خارجية للإجابة على بعض الأسئلة المتعلقة بالمضمون قبل أن تبدأ بالشعور بالثقة بأنك على الطريق السليم.

دعنا نبدأ بـ ٦: ١-٧ وانظر كيف يؤدي هذا المقطع دوره في الصورة العامة الشاملة؟ **هناك أمران يمكننا التصريح بهما على الفور:**

أولاً: لوقا يعمل على إنهاء الجزء الأول (١: ١-٦: ٧).

ثانيًا: لوقا يستعمل هذه القصة كفقرة انتقالية نحو الجزء الثاني أي (٦: ٨-٩: ٣١) لاحظ كيفية قيامه بذلك. ينصب أيضًا اهتمام لوقا البشير في ١: ١-٦: ٧ على تصوير حياة الكنيسة الأولى وكذلك امتدادها داخل أورشليم.

والقصة (٦: ١-٧) تشمل هذين الجانبين لكنها تشير أيضًا إلى أول توتر حدث داخل المجموعة نفسها، والذي كان قائمًا بين الفئتين التقليديتين في المجتمع اليهودي، وهما يهود أورشليم (الناطقون بالآرامية) ويهود الشتات (الناطقون باليونانية)، وكيف تم التغلب على هذا النزاع داخل الكنيسة بالاعتراف بالقيادة التي بدأت تبرز بين المؤمنين بالمسيحية من اليهود الناطقين باليونانية.

لقد قمنا بصياغة الجملة الأخيرة بتلك الطريقة الخاصة، لأن على الدارس عند وصوله إلى هذا الجزء أن يقوم هو ببعض البحث الخارجي حول هذه القرينة التاريخية. فبقيامنا ببعض الدراسات المختلفة (مقالات في الموسوعات الكتابية عن الشمامسة والهلينيين وكتب الشروح وكتب تاريخ أورشليم في زمن المسيح) يمكننا اكتشاف الحقائق الهامة التالية:

١ نكاد نكون متأكدين تقريبًا من أن الهلينيين كانوا يهودًا ناطقين باليونانية، أي يهود شتات عاشوا آنذاك في أورشليم.

٢ فقد عاد كثير من أولئك الهلينيين في أواخر أيامهم ليموتوا في أورشليم ويدفنوا قرب جبل صهيون. وبما أنهم لم يكونوا من مواليد أورشليم لم تكن أراملهم يملكن بابًا للرزق أو سبيل عيش منتظم يقوتهن.

٣ لقد تمت رعاية تلك الأرامل بواسطة إعانات يومية، مما سبب ضائقة مادية وعبئًا اقتصاديًا في أورشليم.

٤ يتضح لنا أيضًا من قراءتنا لـ ٦: ٩ أنه كان للهلينيين مجمعهم الناطق باليونانية والذي كان شاول الطرسوسي (كانت طرسوس تقع في مقاطعة كيليكيا) واستفانوس عضوين فيه (عدد٩).

٥ وأخيرًا يبرهن الأصحاح السادس من سفر الأعمال أن الكنيسة الأولى قد شقت طريقها إلى داخل ذلك المجمع- لاحظ ذكر كلمة أراملهم وحقيقة أن

جميع المختارين السبعة الذين كلفوا بحمل تلك المسؤولية كانوا يحملون أسماء يونانية. وأن المعارضة الشديدة كانت صادرة عن مجمع يهود الشتات.

إن معرفتك هذه بالمضمون، ستساعدك بصفة خاصة على فهم ما سيلي وذلك لأن لوقا يركز في ٦: ٨- ٨: ١ على أحد السبعة كشخصية رئيسية في أول امتداد خارج أورشليم. فهو يصرح لنا علانية بأن استشهاد استفانوس أدى إلى تلك النتيجة (٨: ١-٤). عليك أن تلاحظ أيضًا من هذا المقطع الأخير مدى أهمية المجتمع الناطق باليونانية من مسيحيي أورشليم لخطة الله. لقد أُجبروا على ترك أورشليم بسبب الاضطهاد، وهم على أي حال لم يكونوا من مواليدها أصلاً. وهكذا نراهم تحت هذا الضغط قد تركوا أورشليم وجالوا يبشرون بالكلمة في أنحاء اليهودية والسامرة.

إذًا ما نستنتجه مما سبق أن القصد من ٦: ١-٧ لم يكن إخبارنا عن تنظيم الكنيسة الأولى إلى رجال دين ورجال علمانيين. بل الغاية من القصة إبراز دورها في الإعداد لمشهد الامتداد الأول للكنيسة خارج نطاق قاعدتها في أورشليم.

أما القصة في ٨: ٥-٢٥ فهي من نوع آخر؛ لأنها القصة الفعلية لأول توسع معروف لدينا للكنيسة الأولى. تكتسب هذه القصة أيضًا أهمية خاصة لاحتوائها على عدة صعوبات في التفسير الاستنتاجي ولأنها كانت مرارًا عديدة مسرحًا لنزاعات المفسرين أثناء إجراء التفسير الحياتي.

وكما اعتدنا دائمًا نبدأ أولاً بعملية التفسير الاستنتاجي بحرص، ومرة أخرى نقول، لا بديل لنا ولك عزيزنا الدارس عن قراءة النص مرة تلو الأخرى، مدونين ملاحظاتنا واستنتاجاتنا. وفي هذه الحالة وعند وصولك إلى السؤال: «ماذا» في القصة، حاول الإجابة عليه بكلماتك الخاصة. أما ملاحظاتنا المختصرة فهي كما يلي:

هذه القصة صريحة بما فيه الكفاية، فهي تحدثنا عن خدمة فيلبس الأولى في السامرة والتي رافقها الشفاء والتحرر من الأرواح الشريرة (٨: ٥-٧). وعلى ما يبدو وبسبب هذه الزيارة، صار كثير من السامريين مسيحيين إذ آمنوا واعتمدوا. واضح جدًا أن المعجزات كانت من القوة بمكان بحيث جعلت سيمون الساحر المحترف والسيئ السمعة يؤمن أيضًا (٨: ٩-١٣). لدى سماع كنيسة أورشليم بما حدث قامت بإرسال بطرس ويوحنا، وما أن وصلا السامرة حتى نال أهلها الروح القدس (٨: ١٤-١٧). لقد أراد سيمون آنذاك أن يقتني بماله ما كان لدى بطرس ويوحنا (٨: ١٨-١٩). فقام بطرس عندها بتوبيخ سيمون، ولكن لم يكن واضحًا من خلال رده الأخير (٨: ٢٤) ما إذا كان سيمون قد تاب أو كان سينال الحكم الذي نطق به بطرس عليه (٨: ٢٠-٢٣).

من الواضح واستنادًا على الطريقة التي دوَّن بها لوقا البشير هذه القصة أن أمرين اثنين قد سيطرا على اهتمامه:

أولاً: إيمان السامريين.

ثانيًا: قضية سيمون.

أما المشاكل المتعلقة بالتفسير الاستنتاجي بهاتين القضيتين فقد نشأت بسبب المعرفة والقناعات المسبقة. فهم – أي المفسرون – يميلون للظن ببساطة أن الأمور لا ينبغي لها أن تحدث بهذه الطريقة. فبما أن بولس يُصرِّح في رومية ٨ أنه بدون الروح القدس ليس إيمان، فكيف يمكن أن يكون هناك مؤمنون لم ينالوا الروح القدس بعد؟ وماذا عن سيمون؟ هل كان حقًا مؤمنًا ثم ارتد، أم أنه اعترف بالإيمان بالكلام فقط؟!

من الصعب لنا الإصغاء إلى مقطع كتابي كهذا دون القيام بإقحام تحيزاتنا السابقة فيه، وهذا ينطبق علينا أيضًا نحن مؤلفي هذا الكتاب، إذ نحن لسنا

معصومين من هذا الخطأ. ومع ذلك سنحاول معًا عزيزنا الدارس الإصغاء إلى وجهة نظر لوقا. تعال نسأل: لماذا اهتم لوقا بتقديم هذه الواقعة؟ وما هو دورها في اهتمام البشير لوقا الإجمالي بالسفر؟

والإجابة يمكن أن تكون: بشأن إيمان السامريين، هناك أمران يبدوان مهمين في نظر لوقا:

١ الكرازة إلى السامرة، والتي كانت أول امتداد جغرافي للإنجيل بقيادة واحد من الهلينيين الأمر الذي كان بعيدًا عن أي خطة أو ترتيب من جانب الرسل.

٢ ومع ذلك، فقد كان هامًا للقُراء بالنسبة للوقا أن يعرفوا أن تلك الإرسالية قد حظيت برضى إلهي ورسولي، كما هو ثابت من إمساك الروح القدس عن الحلول إلى أن قام الرسولان بوضع الأيدي. وما يتفق مع الاهتمام الكلي للوقا هو إظهار أن عمل الإرسالية الهلينية لم يكن حركة خارجة أو منشقّة رغم كونها قد حدثت دون أي مجمع رسولي للبحث في أمر نمو الكنيسة.

ومع أننا لا نستطيع إثبات ذلك – لعدم قيام النص بالتصريح به ولأن الأمر على ما يبدو خارج عن اهتمامات لوقا – فمن المرجح أن الذي تم إمساكه إلى حين قدوم بطرس ويوحنا كان «البرهان» المحسوس لحضور الروح القدس والمتمثل في المواهب. **ونحن لدينا ثلاثة أسباب لهذا الاستنتاج:**

(أ) إن كل ما قيل عن السامريين قبيل مجيء بطرس ويوحنا قد قيل في مواضع أخرى من سفر الأعمال، إذًا لقد كانوا فعلاً وفي واقع الأمر قد ابتدأوا حياتهم المسيحية.

(ب) إن حضور الروح القدس – كما في مواضع أخرى من سفر الأعمال مثلما هنا أيضًا – هو عنصر هام في الحياة المسيحية. وإلا فكيف كان يمكنهم البدء بالحياة المسيحية بدون مثل هذا الحضور الهام؟

(ج) إن حضور الروح القدس وبحسب قصد لوقا في سفر الأعمال كان يعني عادة القوة (١: ٨؛ ٦: ٨؛ ١٠: ٣٨) فهو يظهر عادة مصحوبًا ببرهان محسوس. لذلك ومن أجل إعطاء هذا البرهان القوي والمحسوس على حضور الروح والذي لم يكن قد تجلى بعد في السامرة استخدم لوقا كلمة «مجيء» أو «قبول» الروح القدس.

أما دور سيمون في هذه القصة فهو بنفس درجة التعقيد. وقضية اتصاله القصير الأمد مع الكنيسة، على الأقل كمؤمن معترَف بإيمانه، هي قضية هامة للقصة.

ونحن نعترف ونقر بأن شرحًا استنتاجيًا من النوع الذي يبحث في «ماذا ولماذا» في قصة لوقا ليس بالضرورة شيقًا من ناحية القراءة التعبدية للكتاب المقدس، لكننا نشدد على كونه الخطوة الأولى الإلزامية لفهم سفر الأعمال ككلمة الله. فليس من الضروري أن تخبرنا كل جملة في كل قصة أو خطبة شيئًا ما، لكن كل جملة في كل قصة أو خطبة قد تسهم إلى حد ما في إيضاح ما يسعى الله لقوله لنا بصورة كاملة من خلال سفر الأعمال.

بعض المبادىء العامة

كما سبق وأشرنا، فإن اهتمامنا هنا هو في مسألة واحدة، وهي كيف يمكن للقصص الفردية في سفر الأعمال، أو لأي قصة كتابية أخرى أن تخدم الكنيسة كسابقة وكمثل تسترشد به فيما بعد؟ وهل حقًا تخدم هذه القصص الكنيسة معطية فعلاً هذا المعنى؟ بكلمات أخرى، هل سِجل سفر الأعمال يقوم فقط على وصف الكنيسة الأولى، أم أنه أيضًا يقدم لنا معيارًا للكنيسة في كل وقت؟ وإن كان هناك مثل هذا المعيار، فكيف يمكن للشخص اكتشافه أو وضع مبادىء تساعد على رؤيته؟ وإن لم يكن كذلك، فما الذي سنفعله إذًا بمفهوم السابقة التاريخية؟

باختصار، ما الدور المطلوب من السابقة التاريخية أن تؤديه في العقيدة المسيحية أو في فهم السلوك المسيحي؟

وهنا يجب الإشارة في مستهل هذا البحث إلى أن نهج جميع المسيحيين تقريبًا يميل إلى إعطاء السابقة سلطة معيارية بدرجة ما أو بأخرى. ولكنهم للأسف قلما يقومون فعلاً بذلك بتناغم وثبات على المبدأ. فنرى بعضهم يميل إلى اتباع أو السير وراء بعض القصص كأنماط ملزمة لهم، في حين أنهم يتجاهلون غيرها. والاقتراحات التي نقدمها ليست مطلقة أو كاملة أو مُلزمة لك، لكنها ستساعدك على الإمساك بزمام هذه المشكلة التفسيرية.

إن المسألة التفسيرية الحاسمة هنا تكمن في ما إذا كانت القصص الكتابية والتي تصف «ماذا حدث» في الكنيسة الأولى تصلح أيضًا كمعيار مقصود منه تصوير «ماذا ينبغي أن يحدث» في الكنيسة على مر العصور. فهل هناك وفي الأحداث المسجلة بسفر الأعمال ما يصح أن يقال فيه، «يجب أن نفعل هذا» أم أننا يمكن أن نكتفي بالقول: «يجوز لنا أن نفعل هذا»؟

في الحقيقة إن افتراضنا هو كافتراض كثيرين غيرنا، فنحن نؤكد على أن ما لم يخبرنا الكتاب المقدس صراحة بضرورة فعله كأمر ما ملزم، فهو مجرد حادثة ما قد رويت أو وصف لا يمكن أبدًا أن يكون مقياسًا مطلقًا لنا. ولدينا أسباب جيدة لهذا الافتراض.

وبصورة عامة، فإن التعاليم العقائدية المأخوذة من الكتاب المقدس تقع في أبواب ثلاثة:

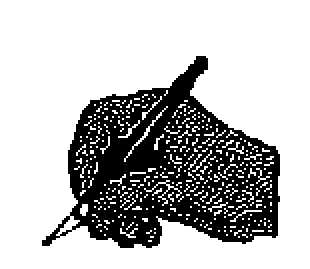
١ علم اللاهوت المسيحي (أي ما يؤمن به المسيحيون).

٢ علم الأخلاق المسيحي (وهو ماذا ينبغي أن يكون عليه السلوك المسيحي).

٣ السلوك أو الممارسة المسيحية (ما يفعله وما يعيشه المسيحيون).

وضمن هذه التصنيفات، يمكن لك صديقنا الدارس أن تميز مستويين من التعاليم، أطلقنا عليها اسمين «التعاليم الرئيسية والتعاليم الثانوية». ففي التعاليم الرئيسية، نرى التعاليم العقائدية المشتقة من التوجيهات الصريحة أو الصيغة الأمرية في الكتاب المقدس (وهو ما ينوي الكتاب المقدس تقديمه). والتعاليم الثانوية، هي تلك التعاليم المستخلصة سواء بشكل ضمني أو بواسطة السابقة التاريخية.

فعلى سبيل المثال: التعاليم المتعلقة بعلم اللاهوت المسيحي مثل: الله واحد، الله محبة، ألوهية المسيح، الجميع أخطأوا، مات المسيح من أجل خطايانا، هى كلها عقائد مشتقة من مقاطع قصدها التعليم فهي بالتالي تعاليم رئيسية. أما على المستوى الثانوي فيمكن أن نجد تلك التعاليم التي تُعد بمثابة الانسياب المنطقي لتلك التعاليم الرئيسية. وهي -أي التعاليم الثانوية- يتم اشتقاقها ضمنيًا من الآيات الكتابية. وبناء عليه، فإن حقيقة لاهوت المسيح تعليم رئيسي أما كيف تتحد وتلتقي طبيعتاه في وحدة واحدة فذلك تعليم ثانوي. هذا لا يعني أن التعاليم الثانوية ليست ذات أهمية. فكثيرًا ما يكون لها الأثر الهام على إيمان الفرد بما يتعلق بالتعاليم الرئيسية. في الحقيقة إن القيمة اللاهوتية النهائية للتعاليم الثانوية تتصل بمدى إسهامها في حفظ تكامل التعاليم الرئيسية.



إن التعاليم المتعلقة بعلم اللاهوت المسيحي مثل: الله واحد، الله محبة، ألوهية المسيح، الجميع أخطأوا، مات المسيح من أجل خطايانا، هي كلها تعاليم رئيسية.

والجدير بالملاحظة في هذا الشأن هو أن جميع ما يشتقه المسيحيون تقريبًا من الكتاب المقدس بطريق السابقة التاريخية يندرج تحت الباب الثالث والذي

اسميناه السلوك أو الممارسة المسيحية، وهو دائمًا جزء من التعليم الثانوي. فعلى سبيل المثال أن يكون عشاء الرب ممارسة مستمرة ولازمة في الكنيسة هو التعليم الرئيسي؛ لأن الرب يسوع المسيح أوصى بذلك ويقف سفر الأعمال والرسائل شهودًا على ذلك. أما عدد مرات تكرار تلك الممارسة حيث يختلف المسيحيون عادة بهذا الشأن فهذا أمر يعتمد على التقليد والسابقة. فالكتاب المقدس وبكل بساطة لا يتحدث مباشرة عن هذه المسألة. فقيام المؤمنين مثلاً «بالاجتماع معًا» هذا أمر (رئيسي) أما عدد مرات هذا الاجتماع الذي يجتمعون فيه فهو أمر (ثانوي). نعود لنكرر القول بأن ما قلناه لا يعني التقليل من شأن التعاليم الثانوية.

إن المبدأ الأساسي لعلم التفسير الحياتي يقول بأنه علينا إيجاد كلمة الله في إطار قصد الكتاب المقدس. وهذا الأمر يكتسب أهمية خاصة في قضية تفسير القصص التاريخية. لأن قيام الكاتب بتدوين حادثة ما لكونها تخدم القصد الأكبر من عمله هذا شيء. وقيام المفسر باستخدام تلك الحادثة باعتبار أن لها قيمة تعليمية منفصلة عن القصد الأكبر للكاتب فهذا شيء آخر.

ومع أن الهدف الأشمل والذي من أجله قد أوحي للوقا البشير كتابة سفر الأعمال قد يكون قضية مثيرة للجدل عند البعض، فإن افتراضنا لا يزال مبنيًا على التفسير الاستنتاجي السابق وهو أنه كان يحاول إظهار أن الكنيسة قد بدأت فعلاً وبشكل رئيسي كظاهرة أممية أساسًا وعالمية النطاق، وذلك من جذورها الأساسية في أورشليم ومن طائفة المؤمنين من أصل يهودي ومن ذوي التوجه اليهودي.

لقد كان لوقا البشير يحاول أيضًا إظهار مسؤولية الروح القدس المباشرة في هذه الظاهرة الخلاصية الشاملة النطاق والمؤسسة على عمل المسيح. ولعل تكرار هذا الدافع المختص بفكرة أن شيئًا لا يستطيع إعاقة تقدُّم حركة الكنيسة

بقيادة الروح القدس لعله يجعلنا نظن بأن لوقا البشير أيضًا قد قصد أن يرى قراؤه هذا التقدم كنموذج لوجودهم.

> وحقيقة كون سفر الأعمال ضمن الأسفار القانونية يزيد في اعتقادنا بأن أسلوب حياة الكنيسة في سفر الأعمال هو الأسلوب والطريقة التي قصد الله دائمًا للكنيسة أن تحياها في أن تكون كنيسة مبشرة، مبتهجة، ومزودة بقوة الروح القدس.

ولكن ماذا عن تلك التفاصيل الدقيقة في هذه القصص، والتي إذا أخذناها فقط بعين الاعتبار، ستكون مُعينًا لنا في إدراك قصد لوقا البشير الأشمل؟ هل لهذه التفاصيل القيمة التعليمية نفسها؟ هل يمكن أن تفيدنا كقصص نموذجية فيها أمثلة يُحتذى بها؟

لا نعتقد ذلك، وذلك لأن معظم تلك التفاصيل تفاصيل عرضية بالنسبة إلى الغرض الأساسي للقصة، ولأن التفاصيل عادة تختلف من قصة إلى قصة أخرى.

وهكذا فإننا كما سبقنا ودرسنا أعمال ٦: ١-٧ رأينا كيف أن هذه القصة قد أسهمت في الخطة الشاملة للوقا البشير، كخاتمة لمقطعه الأول الرئيسي، وفي الوقت نفسه خدمت في تقديم الهلينيين إلينا. ولربما كانت أيضًا جزءًا من قصده لإظهار الأسلوب الودي الذي حُسم به أول توتر داخل جماعة المسيحيين.

قد نستطيع أيضًا تعلُّم ولو بشكل عرضي عدد آخر من الأمور. فعلى سبيل المثال، من الممكن أن تتعلم صديقنا الدارس أن إحدى الطرق الجيدة لمساعدة أقلية من الناس في الكنيسة هي بمنحها قيادة خاصة بها، عن طريق قيام أعضائها باختيار تلك القيادة (٦: ٣). فهذا ما حدث في واقع الأمر في

سفر الأعمال، لكن هل يلزم علينا أن نحذو حذوهم؟ ليس بالضرورة طبعًا خاصة وأن لوقا البشير لا يوصينا بذلك ولا يوجد لنا حتىأي مبرر للظن بأن مثل هذا الأمر قد دار فعلاً في ذهن لوقا البشير أثناء كتابته للسفر. من جهة أخرى، فإن مثل هذا الإجراء فيه من الحكمة ما يجعلك كدارس تتساءل لماذا يقوم أحد ما بمعارضته.

والمراد قوله هنا هو أنه مهما استخلص أحد أي شيء آخر من قصة كهذه، فإن مثل هذه الخلاصات تبقى عرضية أمام قصد لوقا البشير وخدمته. هذا لا يعني أن الأمور العرضية خطأ، أو أنها تخلو من القيمة اللاهوتية، بل هذا يعني أن كلمة الله لنا في تلك القصة هي في الأساس مرتبطة بما قصدت تلك القصة أن تُعلِّمه.

وبناء على هذا النقاش تبرز أمامنا المبادىء التالية المتعلقة بعلم تفسير القصة التاريخية:

١ إن كلمة الله في سفر الأعمال والتي يمكن الأخذ بها كمقياس أو معيار للمسيحيين هي بالدرجة الأولى متعلقة بالتعليم الذي قُصد إيصاله من خلال أي قصة.

٢ إن ما هو عرضي بالنسبة للقصد الأساسي للقصة قد يعكس فعليًا الفهم الموحى به للكاتب عن الأمور، لكنه لا يمكن أن يكتسب القيمة التعليمية التي قصد للقصة أن تُعلِّمها. هذا الأمر بالطبع لا يبطل ما هو عرضي ولا يعني عدم احتوائه على رسالة موجهة لنا. وما يهمنا هو عدم جعل الأمور العرضية أمورًا أساسية، رغم كونها تؤدى دائمًا دورًا مساندًا للتعاليم الأساسية في مواضع أخرى.

٣ وإن كان على السابقة التاريخية أن تكتسب قيمة معيارية، فيجب عليها أن

ترتبط أولاً بالقصد. ومعنى هذا أنه إذا ظهر أن قصد القصة هو إقامة «سابقة تاريخية»، يجب إذًا أن ننظر لهذه السابقة كمعيار أو مقياس. مثال: إذا استطعنا إثبات أن هدف لوقا البشير من أعمال ٦: ١-٧ بناء على الدراسة السابقة الاستنتاجية، كان تسجيل سابقة للكنيسة لاختيار وانتقاء قادتها، فعلى عملية الاختيار والانتقاء تلك أن تُتبع لدى مسيحيي اليوم. أما إن لم يكن تأسيس هذه السابقة هو القصد من القصة، فينبغي أن تراعى قيمة هذه السابقة عند مسيحيي اليوم بموجب هذه المبادىء الخاصة والمقترحة.

بعض المبادىء الخاصة

بينما لا تزال تلك المبادىء والمقترحات العامة نُصب أعيننا، من المفيد أن نقدم المقترحات التالية والخاصة بتفسير السوابق الكتابية:

١ من غير الصحيح أبدًا أن نستخدم مثالاً مؤسسًا على السابقة الكتابية لإضفاء صبغة السلطة الكتابية على ممارسات أو أعمال يومنا الحاضر. فعلى سبيل المثال، لقد تكرر استخدام جزة الصوف التي استعملها جدعون في الماضي كقياس لمعرفة مشيئة الله. فإن كان الله قد تعاطف مع افتقار جدعون للثقة به فإنه قد يفعل ذلك أيضًا مع آخرين، لكن المهم في الأمر أنه ليس هناك أي سلطان كتابي أو حتى تشجيع لمثل هذه الممارسات.

٢ مع أن القصد الأساسي للكاتب قد لا يكون إظهار النص كسابقة، لكن للقصص الكتابية قيمة إيضاحية، وأحيانًا «نموذجية». وفي الحقيقة، هكذا

كان الأمر عندما قام الناس في زمن كتابة العهد الجديد من وقت لآخر باستخدام سابقات تاريخية من العهد القديم. فبولس الرسول، على سبيل المثال، استخدم بعض الأمثلة من العهد القديم كتحذير لأولئك الذين انخدعوا بأمن زائف بناء على الاختيار الإلهي لهم (١كو ١٠: ١-١٣)، وقد استخدم الرب يسوع أيضًا مثال داود كسابقة تاريخية ليبرر أفعال تلاميذه في يوم السبت (مر ٢: ٢٣-٢٨) وما يوازيها.

«السابقة التاريخية لا تؤسس معيارًا أو قياسًا لعمل معين».

لكن لا يملك أحد منا سلطانًا من الله للقيام بما قام به كُتَّاب العهد الجديد بناء على العهد القديم. وهنا وبالتحديد وفي الحالات التي تبرر فيها السابقة فعلاً راهنًا يجب التنبيه إلى أن «السابقة لا تؤسس معيارًا أو قياسًا لعمل معين». فليس المطلوب من الناس المواظبة على أكل خبز التقدمة أو التقاط القمح في أيام السبت لإثبات أن السبت قد صُنع للإنسان. لكن السابقة الأولى توضح مبدأ متعلقًا بالسبت.

يجدر بنا هنا أيضًا أن نقوم بالتحذير التالي: إن كان للسابقة الكتابية أن تبرر تصرفًا حاليًا، فعلى مبدأ هذا الفعل أن يكون مُعلَّمًا في مقطع آخر من الكتاب المقدس، وهو أي التعليم الغاية الرئيسية من المقطع. مثال: أن يقوم أحدهم باعتماد سابقة الرب يسوع في تطهير الهيكل من أجل تبرير ما يُدعى بالغضب المقدس -وهو عادة ما يكون «وصفًا مهذبًا» للغضب الأناني- فهذا إساءة استخدام لذلك المبدأ.

٣ أما فيما يتعلق بالسلوك المسيحي، فإن السوابق الكتابية قد تعد أحيانًا نماذج قابلة للتكرار حتى وإن لم تكتسب الصبغة المعيارية. ويصح هذا خاصة إذا كانت الممارسة نفسها ملزمة لكن طريقتها غير ملزمة، أو غير إجبارية.

ينبغي عند تقرير ما إن كان بالإمكان تكرار ممارسة ما أو نموذج معين أن نتبع الاعتبارات التالية:

(أ) لعل أقوى الحجج التي يمكن إقامتها هي في حالة وجود نموذج واحد فقط، متكرر في العهد الجديد نفسه (مع الحرص على عدم افتراض أو استنتاج ما هو أكثر من اللازم عندما يختار الكتاب المقدس الصمت).

(ب) عندما يكون هناك التباس بين النماذج، أو عند حدوث نموذج مرة واحدة فقط، فإن تكراره بعد المسيحية وفي العصور اللاحقة لا ينبغي أن يتم ما لم يكن منسجمًا مع ما يُعلِّمه الكتاب المقدس في مواضع أخرى.

(ج) إن ما يكون مرتبطًا بالبيئة أو المجتمع، فهو إما أمر لا يمكن تكراره أبدًا، أو أمر ينبغي أن تتم ترجمته إلى ما يقابله في البيئة الحضارية المختلفة.

وأخيرًا نقول:

نحن لا نزعم بأننا بهذا قد قمنا بحل كل المعضلات، لكننا نعتقد بأن هذه المقترحات ستكون عملية، ونأمل أن تدعوك إلى التفسير الاستنتاجي لبلوغ مقدار أكبر من التفسير الحياتي أثناء قراءتك لكلمة الله.

٧

الأناجيل
رواية واحدة، أبعاد كثيرة

الفصل السابع

الأناجيل
رواية واحدة، أبعاد كثيرة

- طبيعة الأناجيل.
- القرينة التاريخية.
- القرينة الأدبية.
- بعض الملاحظات التفسيرية.

وكما هو الحال مع «الرسائل» وسفر الأعمال، قد تبدو الأناجيل للوهلة الأولى سهلة التفسير بمقدار كاف. وحيث أنه يمكننا تقسيم مادة الأناجيل تقريبًا إلى قسمين، أقوال وقصص، أي إلى تعاليم الرب يسوع وإلى قصص عنه، إذًا يترتب على الدارس أن يكون قادرًا من الناحية النظرية على تتبع المبادىء المتعلقة بتفسير الرسائل من جهة، والمبادىء المتعلقة بدراسة القصص التاريخية من جهة أخرى.

طبعًا هذا النمط من الدراسة صحيح إلى حد ما، لكنه ليس على تلك السهولة البادية؛ لأن الأناجيل الأربعة تُشكِّل نموذجًا أدبيًا فريدًا من نوعه يكاد لا يوجد له من النماذج المشابهة إلا القليل. وهذه الفرادة التي يتمتع بها هذا النموذج علينا فحصها بإيجاز، لأنها هي التي تبرز للعيان معظم مشاكلنا ومعظم المعضلات التي تصادفنا أثناء عمل التفسير الاستنتاجي. إضافة إلى الصعوبات التي تواجهنا في التفسير الحياتي، والذي يرتبط بعضها بالأقوال الصعبة المتعددة في الأناجيل. إلا أن الصعوبة الحقيقية في التفسير الحياتي تكمن في مدى قدرتنا على استيعاب مفهوم ملكوت الله، وهو تعبير في غاية الأهمية يصف مجمل خدمة الرب يسوع، وفي الوقت نفسه قد تم تقديمه بلغة يهودية تناسب القرن الأول وتناسب مفاهيمه. والمشكلة هنا هي في إمكانية ترجمة تلك الأفكار لتتناسب مع المحيط أو البيئة المعاصرة.

طبيعة الأناجيل

إن معظم الصعوبات التي عادة ما يواجهها الدارس أثناء تفسيره للأناجيل تنبع من حقيقتين واضحتين:

١ لم يقم الرب يسوع بكتابة أي إنجيل بنفسه، فالأناجيل كتبت من قِبَل آخرين.

٢ هناك أربعة أناجيل.

إن حقيقة أن الأناجيل لم تُكتب بيد الرب يسوع المسيح هي حقيقة ذات أهمية كبيرة. فلو أنه هو مَنْ قام بكتابة الإنجيل، لكانت كتابته هذه ستبدو أقل شبهًا بالأناجيل وأكثر مماثلة لكتب العهد القديم النبوية، كسفر عاموس مثلاً، الذي يحتوي على مجموعة من التعاليم والأقوال الإلهية إضافة إلى قصص شخصية مختصرة (مثل عا ٧: ١٠-١٧). نعم هذه الأناجيل تحتوي وبلا شك على

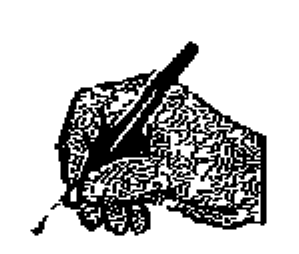
مجموعات من الأقوال، إلا أنها أقوال منسوجة كجزء متكامل في القصة التاريخية لحياة يسوع وخدمته. وهي ليست بكتب كتبها السيد المسيح لكنها كتبٌ مكتوبة عنه، وهي تحتوي في الوقت ذاته على قدر كبير من تعاليمه.

وهنا علينا أن لا نبالغ في تصوير هذا الأمر وكأنه بالأمر الصعب، إلا أنه لابد لنا من الإقرار بوجود صعوبة فيه والسعي للتعامل معها. وطبيعة هذه الصعوبة قد تظهر على أحسن وجه فيما لو قورنت بما قد كُتب عن بولس الرسول في رسائله أو في سفر الأعمال. فحتى إن لم يتوفر لدينا شيء عن حياة بولس الرسول في سفر الأعمال، على سبيل المثال، إلا أننا استطعنا جمع بعض عناصر من حياته من خلال رسائله، ولكن سجلاً من هذا النوع كان سيكون ناقصًا، لو لم تكن قد توافرت لدينا رسائل بولس الرسول، ولكان فهمنا لفكره اللاهوتي المبني فقط على عظاته في سفر الأعمال فهمًا ناقصًا وغير متوازن إلى حد كبير؛ لذلك، ولأجل الحصول على النقاط الهامة في حياة بولس الرسول، نحن احتجنا إلى قراءة سفر الأعمال وإلى إضافة تلك المعلومات التي يعطيها لنا عنه في رسائله. فمن أجل الحصول على فكر وتعليم بولس الرسول لا يمكن أن نذهب أولاً إلى سفر الأعمال، بل إلى الرسائل مع الاحتفاظ بسفر الأعمال كمصدر إضافي.

أما الأناجيل فهي ليست كسفر الأعمال، لأن بها قصة حياة الرب يسوع ومقاطع من أقواله (تعاليمه) باعتبارها جزءًا لا يتجزأ من تلك الحياة. لكن أقوال الرب يسوع لم تُكتب بيده، كما فعل بولس الرسول في رسائله. لقد كانت لغة الرب يسوع الأساسية هي الآرامية إلا أن تعاليمه لم تأتينا إلا مترجمة إلى اللغة اليونانية. زيادة على ذلك فإن القول ذاته –قول الرب يسوع– كثيرًا ما تكرر في اثنين أو ثلاثة من الأناجيل، وحتى عندما كان هذا القول يأتي في سياق الترتيب الزمني ذاته والبيئة التاريخية نفسها، فإنه قلما كان يرد بنص الكلمات ذاتها في كل إنجيل.

نعم قد يكون هذا الواقع مصدر قلق للبعض، لكن لا يوجد ما يبرر هذا القلق. صحيح أن بعض أنواع الدراسات كانت قد شوهت حقيقة مصداقية الإنجيل وحاولت القول بأنه لا يوجد في الأناجيل ما يمكن أن يوثق به. وصحيح بأنه لا مبرر لاستخلاص مثل هذا الاستنتاج. فقد قام علماء متخصصون في دراسة الكتاب المقدس بإثبات جدارة ما جاء في الأناجيل من الناحية التاريخية.

إن قصدنا هنا من كل هذا بسيط. لقد قام الله بإعطائنا معرفة عما يمكن أن نسميه خدمة الرب يسوع الأرضية من خلال هذه الطريقة، وفي الحقيقة لا يوجد طريقة أفضل يمكن أن تتناسب مع عقلية البعض الآلية التي كانت ستفضل قصة مروية على شريط كاسيت. وعلى أية حال، فإن حقيقة أن الرب يسوع لم يكتب الأناجيل بنفسه بل كُتبت الأناجيل بالحري عنه هي جزء من عبقرية تلك الأناجيل في اعتقادنا وليست بنقطة ضعف فيها.



إن حقيقة وجود أربعة أناجيل، في اعتقادنا هي جزء من عبقرية فرادة تلك الأناجيل.

وفضلاً عن ذلك، هناك أربعة أناجيل! كيف حدث هذا؟ ولماذا؟ على كل حال، ليست لدينا أربعة أسفار لأعمال الرسل. وعلاوة على ذلك، فالمواد المدونة في الأناجيل الثلاثة الأولى لهي من التماثل لدرجة أنها سميت بالأناجيل المتشابهة أو الإزائية. طبعًا من حق الدارس أن يتساءل عن سبب الاحتفاظ بإنجيل مرقس، طالما أن مقدار المادة التي ينفرد هذا الإنجيل بتدوينها بالكاد تكفي لملء صفحتين اثنتين لا أكثر. لكننا نكرر القول، إن حقيقة وجود أربعة أناجيل، باعتقادنا هي جزء من عبقرية فرادة تلك الأناجيل.

إذن، ما هي طبيعة الأناجيل، ولماذا تعد طبيعتها الفريدة جزءًا من عبقريتها؟ قد تكون أفضل إجابة عن هذا السؤال هو البدء بالإجابة أولاً على السؤال القائل

لماذا أربعة هنا؟ لا يمكننا إعطاء جواب شاف والسؤال مؤكد، ولكننا سنقدم سببًا واحدًا على الأقل وهو سبب بسيط ولكنه عملي. كانت كل جماعة من الجماعات المسيحية المختلفة (اليهود- اليونان) بحاجة إلى كتاب عن المسيح. ولأسباب عديدة ومتنوعة، لم يكن الإنجيل المخصص إلى جماعة من تلك الجماعات المسيحية يُشبع بالضرورة حاجة الجماعات الأخرى. وما نؤمن به كل الإيمان أن كل ما كتب قد تمت كتابته بقيادة الروح القدس.

بالنسبة إلى الكنيسة المعاصرة، لا يمكن أن يحل أحد الأناجيل محل آخر، لأنها تقف جنبًا إلى جنب من حيث السلطة والقيمة. كيف ذلك؟ لأن الاهتمام في كل إنجيل من هذه الأناجيل ينصب على الرب يسوع على مستويين:

المستوى الأول: كان هناك الاهتمام التاريخي المجرد والهادف لإظهار هوية الرب يسوع وما قاله وما عمله، وأن يسوع المسيح هذا هو ذاك الذي صُلب وقام من الأموات وهو نفسه الذي نعبده الآن كالرب المقام والممجد.

المستوى الثاني: كان هناك ذلك الاهتمام المتجدد لإعادة رواية تلك القصة، قصة يسوع، من أجل إشباع حاجات الأجيال التي تلت والتي لم تكن تتكلم الآرامية بل اليونانية، والتي لم تكن تحيا في ظل بيئة ريفية، زراعية، يهودية في أساسها، لكن كانت تعيش في روما مثلاً، أو أفسس، أو أنطاكية، حيث كان الإنجيل يواجه بيئة وثنية ومتمدنة.

بالرغم من أن هذه الأناجيل هي التي تخبرنا فعليًا بكل ما نعرفه عن الرب يسوع، إلا أنها ليست بمثابة سير حياة بالرغم من كونها تروي جزئيًا سيرة حياة. هي ليست كالكتب التي تُكتب عن حياة الرجال العظام المعاصرين – مع أنها فعليًا تسجل حياة أعظم رجل. نعم هي وكما سماها أحد آباء الكنيسة في القرن الثاني،

وهو «يوستين الشهيد»: «مذكرات الرسل». لا يمكن أن نجد سير حياة أربعة تستطيع أن تعزز بعضها البعض جنبًا إلى جنب بذات القيمة، إلا أن الأناجيل فعلت هذا لأنها في نفس الزمن الواحد دونت الحقائق عن السيد المسيح واسترجعت تعاليمه، وكل إنجيل منها كان يشهد عنه. نعم هذه هي طبيعتها، وهذا هو نبوغها، وهذان الأمران كلاهما هامان من حيث النواحي الاستنتاجية والحياتية.

التفسير الاستنتاجي للأناجيل إذًا، يتطلب منا أن نفكر على مستويين، أحدهما يستند إلى خلفية الرب يسوع التاريخية، وثانيهما يستند إلى الخلفية التاريخية لكُتاب الأناجيل.

القرينة التاريخية

إن القرينة التاريخية الأولى تتعلق بالرب يسوع نفسه. ومن أجل بنائها، علينا معرفة ثقافة وديانة القرن الأول، واليهودية الفلسطينية التي عاش وعلم في وسطها، كما يتضمن بناؤها محاولة فهمنا للقرينة المحددة لقول ما أو لمثل ما. لكن القرينة التاريخية الثانية ترتبط بالكتّاب كأفراد (البشيرين) وبأسباب قيامهم بالكتابة.

القرينة التاريخية للرب يسوع - بشكل عام

يتحتم من أجل فهم يسوع المسيح أن تنغمس في يهودية القرن الأول التي كان الرب يسوع جزءًا منها، هذا يعني أن تزيد معرفتك عن مجرد العلم بأن الصدوقيين لم يؤمنوا بالقيامة. تحتاج كدارس هنا إلى أن تعرف سبب عدم إيمانهم وسبب عدم تعامل يسوع المسيح معهم إلا بالقليل والنادر. وللحصول على هذا النوع من المعلومات، لا مفر لك من اللجوء إلى بعض القراءات الخارجية.

إن أحد المعالم الهامة لهذا البعد المختص بالقرينة التاريخية كثيرًا ما تم إغفاله وهو يتصل بالشكل الذي اتخذته تعاليم الرب يسوع. إن كل دارس يعلم بأن الرب يسوع المسيح كثيرًا ما قام باستخدام الأمثال في التعليم. ولكن ما لا يعرفه كل الناس وبنفس المقدار هو أن الرب يسوع المسيح استخدم جميع أنواع وأشكال التعليم. فعلى سبيل المثال، كان الرب يسوع يستخدم صيغ المبالغة ببراعة وتعمُّد. كما يقول الرب يسوع لتلاميذه أن يقلعوا عينًا من عيونهم إن كانت فخًا لهم أو يقطعوا إحدى يديهم إن أعثرتهم. (مت ٥: ٢٩-٣٠ وما يقابله في مر ٩: ٤٣-٤٨)، وبالطبع، كلنا يعلم بأن الرب يسوع لم يكن يعني ذلك حقًا. لكن ما كان يقصده هو أن ينزع الإنسان من حياته كل ما من شأنه أن يوقعه في الخطية. ولكن كيف عرفنا أن يسوع المسيح هنا لم يعن حقًا ما قاله؟ لأننا جميعًا وبكل بساطة ندرك تمامًا بأن صيغة المبالغة إن استخدمت كوسيلة تعليمية لهي في غاية الفاعلية علينا، ففيها يكون التركيز فيها على المعنى الذي يريده المعلِّم وليس على الكلمات التي ينتقيها!

إن كل دارس يعلم أن الرب يسوع المسيح كثيرًا ما قام باستخدام الأمثال في التعليم.

لقد قام الرب يسوع أيضًا باستخدام الأمثال بفاعلية (مت ٦: ٢١؛ مر٣: ٢٤)، وكذلك التشابيه البلاغية والاستعارات المجازية (مت ١٠: ١٦؛ ٥: ١٣) والشعر (مت ٧: ٧-٨؛ لو ٦: ٢٧-٢٨)، والأسلوب التهكمي (مت ١٦: ٢-٣)، والأسئلة (مت ١٧: ٢٥).

القرينة التاريخية للرب يسوع - بشكل خاص

محاولة معرفة القرينة التاريخية للرب يسوع تُعد الأكثر صعوبة، وصعوبتها تكمن في آلية تصورها أو إرجاعها خاصة فيما يتعلق بكثير من تعاليمه، والتي

يكثر ذكر الأناجيل لها بدون قرائن كثيرة. والسبب في ذلك هو أنه قد تم تداول كلمات وأفعال الرب يسوع شفويًا خلال مدة من الزمن تناهز الثلاثين عامًا أو أكثر، ولم يتم تناقل كافة الأناجيل كاملة خلال تلك المدة. فما كان قد تم تناقله في قالب القصص الفردية أو المقتطفات هو محتوى الأناجيل، إذ تم تناقل الكثير من تلك الأقوال إلى جانب قرائنها الأصلية. ولقد تعارف واعتاد علماء الكتاب المقدس على تسمية هذه المقتطفات «بالقصص التعليمية»، وسبب هذه التسمية هو أن هدف القصة عادة يكمن في أهمية التعليم الذي يختمها. ولعل مرقس ١٢ : ١٣-١٧ هو نموذج للقصة التعليمية، فقصة القرينة كلها تتلخص في مسألة دفع الضرائب إلى الرومانيين. وهي تنتهي بقول المسيح الشهير: «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله». وهنا السؤال: هل يمكنك صديقي الدارس تخيل ما كنا سنفعله عند استرجاع القرينة الأصلية لذلك القول لو لم يصلنا ضمن قرينته الأصلية؟

إن الصعوبة الحقيقية، بطبيعة الحال، تنتج عن حقيقة أن الكثير من أقوال المسيح وتعاليمه قد تم نقلها بدون قرائنها. وبولس الرسول نفسه شهد لهذه الحقيقة، فقد اقتبس أقوالاً ليسوع المسيح ثلاث مرات (١كو ٧: ١٠؛ ٩: ١٤؛ أع ٢٠: ٣٥) دون أن يُلمِّح إلى قرائنها التاريخية الأصلية. اثنان من تلك الأقوال في كورنثوس الأولى اُقتبسا من الأناجيل. فمثلاً الأقوال المتعلقة بالطلاق موجودة في قرينتين مختلفتين (إحداهما في متى ٥: ٣١-٣٢ في تعليم الرب يسوع لتلاميذه، وثانيهما هو ذلك النقاش الذي دار في متى ١٩: ١-١٠ ومرقس ١٠: ١-١٢). أما القول الخاص «بالعطاء» فنراه موجودًا في متى ١٠: ١٠ وما يوازيه نجده في لوقا ١٠: ٧ ضمن قرينة إرسال الاثنى عشر (متى) والسبعين (لوقا). غير أن القول المشار إليه في سفر الأعمال لا نراه موجودًا على الإطلاق في الأناجيل، وهو بالتالي ظلَّ بالنسبة لنا بدون قرينة أصلية.

لذا، علينا أن لا نستغرب أبدًا خاصة إن عرفنا أن كثيرًا من تلك الأقوال التي

كانت ترد دون قرينتها كانت متوفرة عند البشيرين، وأن البشيرين أنفسهم، بقيادة الروح القدس، هم الذين أعطوا لتلك الأقوال قرائنها الحالية. ولعل هذا هو أحد الأسباب التي جعلتنا نجد القول نفسه أو التعليم ذاته واردًا في قرائن مختلفة في الأناجيل. وهذا أيضًا أحد الأسباب التي جعلتنا نرى الأقوال ذات الأفكار الرئيسية المتشابهة أو ذات الموضوع نفسه، مصنفة في الأناجيل بحسب المواضيع.

فعلى سبيل المثال، نجد في إنجيل متى خمس مجموعات موضوعية كبيرة- (أي أنها مصنفة بحسب الموضوعات وينتهي كل منها بعبارة كهذه «فلما أكمل يسوع هذه الأقوال...- من هذه الموضوعات: الحياة في الملكوت (أو ما يسمى بالموعظة على الجبل، الإصحاحات ٥-٧)، تعليمات إلى خدام الملكوت (١٠: ٥-٤٢)، أمثلة عن الملكوت العامل في العالم (١٣: ١-٥٢)، تعاليم عن العلاقات والتلمذة في الملكوت (١٨: ١-٣٥)، الأمور الأخروية، أو اكتمال الملكوت (الإصحاحات ٢٣-٢٥).

أيضًا يمكننا إيضاح هذه المجموعات الموجودة في متى بطريقتين وذلك باستخدام المجموعة الواردة في الأصحاح العاشر كمثل:

١ إن القرينة هنا هي تلك الإرسالية التاريخية للاثني عشر وتوجيهات الرب يسوع لهم عند إرسالهم (الأعداد ٥-١٢). أما الأعداد ١٦-٢٠ فهي عبارة عن توجيهات جاءت لتخدم زمنًا لاحقًا لذلك بكثير، ففي العددين ٥، ٦ الرب يوصيهم بالذهاب إلى خراف بيت إسرائيل الضالة فقط، أما في العدد ١٨ فهو يتحدث عن مثولهم أمام «الحكام»، و«الملوك» و «الأمم» بينما إرسالية الاثني عشر لم تشمل أيًا من الذين سلف ذكرهم.

٢ نجد هذه الأقوال الجميلة الترتيب مبعثرة في كافة أقسام إنجيل لوقا، بهذا الترتيب (٩: ٢-٥؛ ١٠: ٣؛ ٢١: ١٢-١٧؛ ١٢: ١١-١٢؛ ٦: ٤٠؛ ١٢: ٢-٩؛

١٢: ٥١-٥٣؛ ١٤: ٢٥-٢٧؛ ١٧: ٣٣؛ ١٠: ١٦) وهذا يفيدنا بأنه كان للوقا المقدرة على تلقي تلك الأقوال ولكن كمجموعات أو كوحدات مستقلة، ثم قام هو بالتالي بتصنيفها في قرائن مختلفة وذلك بإرشاد واضح من الروح القدس.

وهنا نقول إنه أثناء قراءتك للأناجيل، قد تحتاج لأن تطرح سؤالاً ربما لن يأتيك جواب شاف عليه، وهو إلى مَنْ كان المسيح يوجه حديثه عادة عند قيامه بتعليم ما، هل كان يوجه حديثه لتلاميذه المقربين إليه، أم للجموع المحتشدة من حوله، أو ربما لمعارضيه؟ إن معرفة المستمع الرئيسي للرب يسوع، أو اكتشاف القرينة التاريخية ليسوع المسيح، لا يعني بالضرورة أن يؤثر هذا على المعنى الأساسي لهذا التعليم، لكنه من المؤكد سيُسهم في توسيع آفاق نظرتك للأمور، وكثيرًا ما سيساعدك في فهم النقطة الجوهرية الموجودة في كلام الرب يسوع.

القرينة التاريخية للبشير (كاتب الإنجيل)

لسنا هنا بصدد الحديث عن القرينة الأدبية التي استخدمها البشير في موضوع مادته عن الرب يسوع، بل نحن نتحدث عن القرينة التاريخية التي دفعت البشير أصلاً إلى كتابة إنجيله.

فإنجيل مرقس مثلاً، اهتم ولدرجة كبيرة بشرح طبيعة مسيانية يسوع (أي كونه المسيا). مع أن مرقس كان يعرف جيدًا بأن المسيا هو بالحق ابن الله (١: ١) الذي يجول في الجليل بقوة وبرأفة (١- ٨: ٢٦)، وهو أيضًا على معرفة تامة بأن يسوع المسيح أبقى مسيانيته طي الكتمان مرات ومرات (انظر مثلاً ١: ٣٤؛ ١: ٤٣؛ ٣: ١٢؛ ٤: ١١؛ ٥: ٤٣؛ ٧: ٢٤؛ ٧: ٣٦؛ ٨: ٢٦؛ ٨: ٣٠). والسبب في ذلك يعود إلى أن يسوع المسيح وحده كان يفهم الطبيعة الفعلية لمصيره المسياني

-مصير العبد المتألم الذي سينتصر بالموت - وعلى الرغم من تكرار المسيح شرح هذا الأمر لتلاميذه ثلاث مرات، إلا أنهم أخفقوا في فهمه (٨: ٢٧-٣٣؛ ٩: ٣٠-٣٢؛ ١٠: ٣٢-٤٥). مثلهم في ذلك مثل الأعمى الذي شفاه الرب يسوع على مرحلتين (٨: ٢٢-٢٦)، لقد كانوا في حاجة إلى لمسة ثانية هي لمسة القيامة لكي يفهموا بوضوح ما كان يجب أن يفهموه.

كان اهتمام البشير مرقس الأساسي هو بطبيعة الخادم المتألم، الطبيعة التي تميزت بها مسيانية يسوع. ويتضح هذا الاهتمام بشكل أكبر بسبب حقيقة أن مرقس البشير لم يُشر إلى أي تعليم من تعاليم يسوع المسيح حول التلمذة إلا بعد إعطائه التفسير الأول لآلام الرب يسوع في ٨: ٣١-٣٣ والإشارة الضمنية هنا كانت في ذات الوضوح الذي كان للإشارة التصريحية.

> إن الصليب والحياة الخادمة اللتين عاشهما الرب يسوع المسيح صارا أيضًا الدليلين على التلمذة الصادقة. وإن كان هذا هو الطريق الذي ساره السيد فما الذي ينتظره إذًا العبد؟

كل هذا يمكننا إدراكه من خلال القراءة المتأنية لإنجيل مرقس. فهذه هي قرينته التاريخية. أما أن نضع هذه القرينة في موضعها بالتمام فسيكون الأمر ميالاً إلى الحدس أكثر منه إلى اليقين. إلا أننا لا نجد سببًا يمنعنا من اتباع التقليد القديم الذي يقول: بأن إنجيل مرقس يعكس «مذكرات» بطرس التي ظهرت في روما بعد فترة قصيرة من استشهاد بطرس الرسول في وقت كان فيه الاضطهاد المرير ضد المسيحيين في روما على أشده. على أية حال، فمثل هذه القراءة ومثل هذه الدراسة للقرينة تعد هامة للإنجيل كما هي للرسائل.

القرينة الأدبية

نركز اهتمامنا في هذا المقام على أمرين:

١. مساعدتك عزيزي الدارس على عمل التفسير الاستنتاجي أي على قراءة القول أو القصة ضمن قرينتها الحالية في الأناجيل.

٢. مساعدتك على فهم طبيعة تركيب الأناجيل بوجه عام، وبالتالي على تفسير أي من تلك الأناجيل، وليس فقط مجرد تفسير حقائق منفصلة عن المسيح.

تفسير الأقوال التي ترد منفردة

في سياق بحثنا في كيفية تفسير الرسائل، ذكرنا ضرورة تعلُّمك أن تفكر بحسب الفقرات. لكن هذا لا يعد مهمًا جدًا لتفسير الأناجيل، مع أنه يصح استخدامه من وقت لآخر، وبخاصة عند التعامل مع المقاطع التعليمية الكبيرة. وكما ذكرنا في البداية، سيكون لتعاملنا مع هذه المقاطع التعليمية بعض الجوانب التي تشبه الطريقة التي تعاملنا بها مع الرسائل. لكن، وبسبب الطبيعة الفريدة للأناجيل، علينا كدارسين لها أن نفعل أمرين: أولاً أن نفكر أفقيًا، وثانيهًا أن نفكر عموديًا.

إضافة إلى ذلك يمكننا أن نقول: إنه عند شرح أو قراءة واحد من الأناجيل، يحتاج الدارس إلى مراعاة الحقيقتين التاليتين والمتعلقتين بالأناجيل: أولاً: هناك أربعة منها، ثانيًا هي وثائق ذات مستويين.

التفكير الأفقي

إن التفكير الأفقي معناه أنه على الدارس عند دراسة قول ما في أحد الأناجيل، أن يراعى ما يوازيه في الأناجيل الأخرى، فقط لمجرد التوضيح. ونقر بعدم

ضرورة الإفراط في هذا الأمر، حيث أنه لم يقصد أي واحد من البشيرين أن يقوم قراؤه بقراءة إنجيله مقارنة مع الأناجيل الأخرى. مع الحفاظ على حقيقة أن الله قد أوحى بأناجيل أربعة في العهد الجديد ومعنى هذا عدم إمكان قراءة تلك الأناجيل قراءة صحيحة بمعزل كامل عن بعضها البعض.

على الدارس عند دراسة قول ما في أحد الأناجيل، أن يراعي ما يوازيه في الأناجيل الأخرى.

ولعل خير ما نبدأ به كلامنا الآن هو التحذير التالي: ليس الغرض من الدراسة المتوازية للأناجيل إكمال قصة في إنجيل ما بتفاصيل من أناجيل أخرى. نعم عادة ما تميل مثل هذه القراءة إلى التوفيق بين جميع التفاصيل حتى تلقي ضوءًا على الجوانب الخاصة التي يتميز بها كل إنجيل والموحى بها أصلاً من الروح القدس. إن مثل هذا التكميل للتفاصيل قد يثير اهتمامنا بما يتعلق بتاريخ يسوع المسيح لكن ليس من المفترض أن يكون هذا الأسلوب هو اهتمامنا الأول.

هناك سببان رئيسيان للتفكير بشكل أفقي:

أولاً: إن دراستنا للأجزاء المتوازية في الأناجيل عادة ما ترفع من تقديرنا لما يتميز به كل واحد منها. وعلى كل حال، فإن هذا التميُّز هو السبب في وجود أربعة أناجيل بين أيدينا.

ثانيًا: دراستنا للأجزاء المتوازية تساعدنا على فهم أنواع القرائن (البيئات والجماعات) المختلفة التي كتب إليها كل بشير إنجيله. سنقوم فيما بعد بإيضاح كل من هذين السببين. ولكن، إليك أولاً صديقي الدارس أمرًا هامًا يتعلق بالافتراضات المسبقة.

إنه من المستحيل عليك قراءة الأناجيل دون أن يكون هناك أي نوع من

الافتراض المسبق حول علاقة كل منها بالآخر - حتى وإن لم يكن قد سبق لك التفكير في مثل هذا الأمر. فالافتراض المسبق والأكثر شيوعًا - مع أنه قد يكون الأضعف احتمالاً - هو أن كل إنجيل قد كُتب بمعزل عن الأناجيل الأخرى.

فعلى سبيل المثال، خذ حقيقة وجود درجة كبيرة من التشابه اللفظي بين قصص البشيرين لوقا ومتى ومرقس، وكذلك خذ ذلك التشابه في تسجيلهم لأقوال الرب يسوع. ليس من الضروري أن يفاجئنا التشابه اللفظي الواضح، خاصة عندما يتعلق بأقوال المسيح الذي تكلم بما «لم يتكلم به إنسان قط». **لكن أن نرى مقياس الشبه نفسه منطبقًا على القصص، فهذا أمر آخر خاصة إذا عرفنا بأن:**

١ تلك القصص قد رويت في اللغة الآرامية أصلاً، في الوقت الذي كُتبت به بكلمات يونانية.

٢ ترتيب الكلمات داخل الجمل في اللغة اليونانية عادة ما يأخذ أكثر من شكل، ومع ذلك فإن التشابه الذي نقابله في الأناجيل يمتد ليغطي الترتيب الدقيق للكلمات.

٣ من غير المحتمل حقًا أن يقوم ثلاثة أشخاص من ثلاث أنحاء مختلفة في الإمبراطورية الرومانية برواية القصة نفسها بالكلمات نفسها - حتى في تلك النقاط الثانوية المتعلقة بالأسلوب الفردي مثل حروف الجر والعطف. وبالرغم من ذلك فهذا ما نراه فعلاً وقد تكرر في الأناجيل الثلاثة الأولى.

من الممكن أن نلقي المزيد من الضوء حول هذا الأمر باستخدام قصة إشباع الخمسة آلاف والتي تعد إحدى القصص القليلة المدونة في الأناجيل الأربعة. ادرس الإحصاءات التالية (مع ملاحظة أن هذه الأرقام تقريبية إذ تختلف من لغة لأخرى ومن ترجمة لأخرى):

(أ) عدد الكلمات المستخدمة في سرد قصة إشباع الجموع في:

إنجيل متى ١٥٧

إنجيل مرقس ١٩٤

إنجيل لوقا ١٥٣

إنجيل يوحنا ١٩٩

(ب) عدد الكلمات المشتركة في جميع الأناجيل الثلاثة الأولى ٥٣ كلمة.

(ج) عدد الكلمات في الأصل اليوناني لإنجيل يوحنا المشتركة مع الأناجيل الثلاثة الأخرى هو ٨.

(د) النسبة المئوية للاتفاق:

متى مع مرقس ٥٩٪

متى مع لوقا ٤٤٪

لوقا مع مرقس ٤٠٪

يوحنا مع متى ٨,٥٪

يوحنا مع مرقس ٨,٥٪

يوحنا مع لوقا ٦,٥٪

وهنا لابد من تقديم الاستنتاجات التالية: أولاً: يقدم يوحنا البشير رواية واضحة الاستقلال عن بقية الأناجيل؛ إذ أنه لا يستخدم إلا الكلمات الضرورية جدًا لسرد القصة فهو استخدم على سبيل المثال كلمة يونانية مختلفة للتعبير عن السمك! أما باقي البشيرين فمن الواضح أنهم قد اعتمدوا على بعضهم البعض بشكل أو بآخر. هذا ما يمكن أن يثبته لنا أولئك الضليعون باللغة

اليونانية إذ أنهم يعلمون مدى صعوبة احتمال قيام شخصين كل على حدة ومستقلين عن بعضهما البعض برواية القصة ذاتها وبأسلوب قصصي يتفق إلى درجة ٦٠٪ في استخدامهما للكلمات، ليس هذا فقط بل وفي عمل ترتيب دقيق لها في مرات كثيرة.

لمزيد من الإيضاح خذ مثلاً هذه الجملة «ليفهم القارئ» الواردة في مرقس ١٣: ١٤ وما يوازيها في متى ٢٤: ١٥. من الصعب طبعًا قبول فكرة أن هذه الكلمات كانت جزءًا من التقليد الشفهي، لأنها تقول «القارئ» وليس السامع، ومن غير المحتمل أيضًا أن تكون قولاً ليسوع المسيح يشير فيه إلى سفر دانيال مثلاً. إذًا، لقد كتبت هذه الكلمات بواسطة أحد البشيرين، وذلك من أجل أن يوضح أمرًا ما لقرائه. وبالطبع من غير الممكن أن تكون هاتان الكلمتان «ليفهم القارئ» قد كُتبتا أصلاً في النص في الموضع عينه بواسطة كاتبين كتب كل منهما بالاستقلال عن الآخر.

ولعل أفضل تفسير لكل هذا هو الرأي القائل بأن مرقس البشير قام أولاً بكتابة إنجيله، وربما كان قد اعتمد جزئيًا على وعظ وتعاليم بطرس الرسول. أما متى ولوقا البشيران فكانت لديهما فرصة الاطلاع على إنجيل مرقس أولاً، ومن ثم قام كل منهما مستقلاً عن الآخر، باستخدام هذا الإنجيل كمصدر أساسي لإنجيله. إلا أنهما فيما بعد اعتمدا على عدة مصادر تتحدث عن الرب يسوع، من بينها مصادر اشتركت بينهما. إلا أنها قلما ظهرت بالترتيب نفسه في الإنجيلين، مما يدل على عدم إمكانية أن يكون أحد الكاتبين قد استعان بإنجيل الكاتب الآخر.

أخيرًا، كتب يوحنا إنجيله مستقلاً عن الثلاثة الآخرين، وبالتالي تضمن إنجيله القليل من الأمور المشتركة مع الأناجيل الأخرى. هذه هي الطريقة التي نؤمن بأن الروح القدس قد أوحى بالكتابة بواسطتها للبشيرين.

النموذج التالي قد يوضح لك كيف ستساعدك هذه الاستنتاجات في تفسير الأناجيل. لاحظ مثلاً كيفية سرد ما قاله الرب يسوع عن «رجسة الخراب» عند قراءتك للأجزاء المتوازية التالية:

متى ٢٤: ١٥-١٦	مرقس ١٣: ١٤	لوقا ٢١: ٢٠-٢١
«فمتى نظرتم «رجسة الخراب» التي قال عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدس -ليفهم القارئ- فحينئذ ليهرب الذين في اليهودية إلى الجبال».	«فمتى نظرتم «رجسة الخراب» التي قال عنها دانيال النبي قائمة حيث لا ينبغي -ليفهم القارئ- فحينئذ ليهرب الذين في اليهودية إلى الجبال».	«ومتى رأيتم أورشليم مُحاطة بجيوش، فحينئذ اعلموا أنه قد اقترب خرابها. حينئذ ليهرب الذين في اليهودية إلى الجبال، والذين في وسطها فليفروا خارجًا، والذين في الكور فلا يدخلوها».

لكن وقبل كل شيء لاحظ بأن هذا القول قد جاء ضمن حديث كان على جبل الزيتون، وبنفس التسلسل في الأناجيل الثلاثة. لكن عندما سجل مرقس البشير تلك الكلمات، كان يهدف إلى دعوة قرائه للتمعن العميق فيما قصده الرب يسوع من قوله «رجسة الخراب قائمة حيث لا ينبغي». أما البشير متى فبوحي من الروح القدس، ساعد قراءه بقدر أكبر إذ جعل هذا القول أكثر وضوحًا. فهو يذكرهم بأن «رجسة الخراب» تلك هي التي قد سبق للنبي دانيال الحديث عنها، وأن ما قصده الرب يسوع بالقول «حيث لا ينبغي» كان «المكان المقدس» أي الهيكل الذي في أورشليم. أما لوقا البشير وبوحي مساو من الروح القدس فقد فسر هذا القول ببساطة أكبر حتى يتمكن قراؤه الأمميون من فهمه. وقد نجح لوقا فعلاً في جعلهم يفهمون ما قصده الرب يسوع فالذي قصده من كل ما تحدث به كان ما يلي: «عندما تحاط أورشليم بالجيوش، اعرفوا إذًا بأن خرابها قريب».

وهكذا، يمكنك صديقي كدارس للكتاب المقدس أن ترى كيف يمكن للتفكير الأفقي من جهة، ولمعرفة أن متى ولوقا البشيرين قد استفادا من مرقس من جهة أخرى، تساعدك في تفسيرك لأي واحد من الأناجيل أثناء قراءتك له. وكذلك، فإن إدراكنا لوجود أجزاء متوازية بالأناجيل يساعدنا على رؤية إمكانية استخدام المعلومات نفسها ضمن قرائن جديدة عبر أجيال الكنيسة المتعاقبة.

وفي ذلك نضرب المثال التالي: خذ رثاء الرب يسوع لأورشليم، تلك الحادثة التي اشترك البشيران متى ولوقا في سردها بينما لم يفعل مرقس البشير ذلك. في تلك الحادثة تظهر أقوال الرب يسوع في كلا هذين الإنجيلين متطابقة كلمة كلمة تقريبًا. في لوقا ١٣: ٣٤-٣٥ جاءت هذه الحادثة منتمية إلى مجموعة طويلة من أقوال وتعاليم الرب يسوع وهو في طريقه إلى أورشليم (٩: ٥١-١٩: ١٠). لقد وردت مباشرة بعد التحذير الذي أطلقه عن هيرودس والذي ختم به حديثه بقوله «لا يمكن أن يهلك نبي خارجًا عن أورشليم» (لو ١٣: ٣٣). والفكرة المطروحة هنا هي أن رفض المُرسَل من قبل الله الآب يؤدي إلى دينونة إسرائيل.

أما في متى ٢٣: ٣٧-٣٩ فقد جاء رثاء يسوع المسيح لأورشليم كخاتمة للويلات على الفريسيين، والتي تعكس آخرها قضية قتل الأنبياء في أورشليم. وهنا أيضًا كان القصد من هذا القول كقصد البشير الذي سبقه، إذًا القول واحد في كلا الإنجيلين على الرغم من ذكره في إطار خلفيات مختلفة.

هذا الأمر انطبق أيضًا على أقوال أخرى كثيرة. فالصلاة الربانية مثلاً مدونة في كلا الإنجيلين (مت ٦: ٧-١٣؛ لو ١١: ٢-٤) ضمن قرائن تعلقت بتعليم الصلاة مع أن الدافع الرئيسي لكل من المقطعين كان مختلفًا عن الآخر وبشكل ملحوظ. لاحظ مثلاً الصلاة في إنجيل متى لقد جاءت كنموذج للصلاة: «فصلوا أنتم هكذا»، بينما نرى بأن لوقا قد سمح ببعض التكرار. ففي إنجيل لوقا: نجد

الآية وقد وردت هكذا «متى صليتم، فقولوا...». كذلك في التطويبات (مت ٥: ٣-١١؛ لو ٦: ٢٠-٢٣) التي نجدها في إنجيل متى، وقد ذكرت هكذا المساكين هم المساكين بالروح، بينما في إنجيل لوقا فالآية ترد على الشكل التالي: «طوباكم أيها المساكين» بالتباين مع «أيها الأغنياء» (٦: ٢٤). وهنا نقول: نعم يميل الناس في أمور إلى التركيز على جانب واحد دون الجانب الآخر. فالبعض يميل إلى قراءة «المساكين بالروح» فقط، أما البعض الآخر فيميل إلى قراءة «أيها المساكين» فقط. ونحن هنا نصر على قانونية القولين معًا. إذ نستند إلى المعنى العميق الذي يشير إلى المساكين الحقيقيين وهم أولئك الذين يرون أنفسهم فقراء أمام الله. إلا أن إله الكتاب المقدس، الذي تجسد في يسوع الناصري، إله يدافع ويحامي عن المظلومين والمهضومي الحقوق. وبالكاد يستحيل على الدارس أن يقرأ إنجيل لوقا دون أن يلاحظ هذا الوجه من الإعلان الإلهي (انظر ١٤: ١٢-١٤؛ ١٢: ٣٣-٣٤ بالمقارنة مع مت ٦: ١٩-٢١).

التفكير العمودي

معنى التفكير العمودي هو أنه عليك عند قراءتك أو دراستك عزيزي القارئ لقصة ما في الأناجيل، مراعاة كلا القرينتين قرينة يسوع المسيح، وقرينة البشير نفسه (أي الخلفية البيئية لكل منهما).

وللمرة الثانية نقول: أول ما سنفعله الآن هو إعطاء كلمة تحذير. وهي أن الغرض الأول من التفكير العمودي ليس دراسة حياة يسوع المسيح التاريخية، مع أنه من الواجب أن يثير هذا الأمر اهتمامنا دائمًا. لكن الأناجيل في وضعها الراهن هي كلمة الله لنا نحن، أما عملية استرجاعنا لحياة يسوع وتصويرها فهي ليست كذلك؛ إذ أنها مجرد دعوة إلى إدراك أنه يوجد الكثير مما قد جاء في الأناجيل يدين أصلاً في قرينته الكتابية إلى البشيرين أنفسهم، والتفسير السليم

لما قد استند إلى قرينة البشيرين يحتاج منا إلى فهمه أولاً ضمن قرينته التاريخية الأصلية وذلك كمقدمة مناسبة لفهمه فيما بعد ضمن قرينته الكتابية.

يمكننا أن نوضح ذلك من خلال استخدام متى ٢٠: ١-١٦، كمثال، حيث نجد هنا ذلك المثل الذي قاله الرب يسوع عن الفعلة في الكرم. واهتمامنا وسؤالنا الذي يجب أن نطرحه هو: ما الذي كان يعنيه ذلك المثل ضمن قرينته الأصلية في إنجيل متى؟ إن قمنا بالتفكير الأفقي أولاً، سنلاحظ أنه ومن كلا جانبي هذا المثل، يوجد مقاطع طويلة تحيط به وتتضمن موضوعات يسير فيها البشير متى على أثر خطوات البشير مرقس وعن قرب (مت ١٩: ١-٣٠؛ ٢٠: ١٧-٣٤ بالتوازي مع مر ١٠: ١-٥٢). في ١٠: ٣١ يقول البشير مرقس «ولكن كثيرون أولون يكونون آخرين، والآخرون أولين» وقد رواها البشير متى بحرفيتها في أصحاح ١٩: ٣٠. لكن متى وفي تلك اللحظة عينها، أورد هذا المثل، وختمه بتكرار ذلك القول في أصحاح ٢٠: ١٦، ولكن بترتيب معكوس. وهكذا، نرى أن القرينة المباشرة في إنجيل متى حول مَثل الفعلة في الكرم هي قول الرب يسوع في متى ١٩: ٣٠.

وأنت صديقي الدارس عندما ستدرس محتوى المثل نفسه (٢٠: ١-١٥)، ستلاحظ بأنه ينتهي بتبرير صاحب الكرم لسخائه. الذي معناه أن الأجرة في ملكوت السماوات بناء على ما أعلنه الرب يسوع، لا تقاس بما هو عدل أو إنصاف، بل بنعمة الله. ففي قرينته الأصلية، ربما كان هذا المثل نوعًا من التبرير لعملية قبول المسيح للخطاة في ضوء اعتراضات الفريسيين عليه. فالفريسيون كانوا يعتبرون أنفسهم كمَنْ ينهض بأعباء جيله (نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر) وبالتالي فهم مستحقون لأجرة أعظم. لكن الله سخي ومُنعم، وهو يقبل الخطاة تمامًا كما يقبل الأبرار.

وهنا نسأل: إذا اعتبرنا بأن هذه الخلفية هي الخلفية الأصلية الأرجح احتمالاً، فما هو دور هذا المثل في إنجيل متى؟ في الحقيقة تبقى نقطة المَثَل الجوهرية

والخاصة بسخاء الله المنعم على غير المستحقين كما هي لا تتغير. إلا أن هذا الأمر هنا لم يعد وجوده ضروريًا لتبرير أعمال الرب يسوع بذاتها. لأن إنجيل متى يفعل هذا عادة بطرق أخرى وفي مواضع أخرى. إن المثل هنا يعمل في إطار موضوع التلمذة، حيث يكون أولئك الذين تركوا كل شيء وتبعوا المسيح هم الآخرون الذين صاروا أولين (ولعل البشير متى يشدد على هذه النقطة مرة تلو الأخرى، لعمل مقارنة مع القادة اليهود).

تفسير كل إنجيل من الأناجيل ككل

لعل واحدًا من أهم أجزاء دراسة القرينة الأدبية هو تعلُّم تمييز أنواع الاهتمامات التي تغلغلت إلى بنية كل إنجيل، فجعلت كل واحد منها فريدًا ومتميزًا.

قام البشيرون، بصفتهم كُتابًا موحى لهم من قِبل الله، بانتقاء القصص والتعاليم التي ناسبت أهدافهم.

لقد أشرنا في كل أقسام هذا الفصل وفيما يتعلق بقراءة ودراسة الأناجيل، أنه ينبغي على الدارس أن يأخذ في عين الاعتبار وبجدية ليس فقط اهتمام البشيرين بالمسيح في حد ذاته أو بما قاله وفعله، بل أيضًا الاهتمام بالأسباب التي دعتهم إلى إعادة سرد كل قصة لقرائهم. نعم لقد درسنا بأن البشيرين كانوا كُتابًا وليس فقط مجرد جامعي قصص أو سير ذاتية. إلا أن كونهم كُتابًا لا يعني بالضرورة أنهم كانوا مبدعين للمادة التي كتبوها بل في الحقيقة العكس هو الصحيح. فهناك عوامل عديدة كانت تمنعهم وتتعارض مع عملية الإبداع الواسع، وهذا باعتقادنا يتضمن إلى حد ما تلك الطبيعة الثابتة للمادة المقدمة وسلطان الروح القدس في الإشراف على عملية نقل الرسالة صحيحة تمامًا. لقد كانوا كُتابًا بمعنى أنهم قاموا بمعونة الروح القدس بتركيب وإعادة كتابة المادة الموحى بها

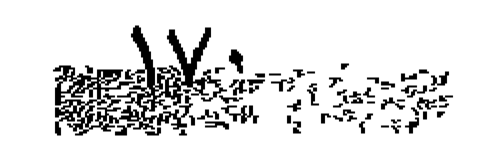
وبشكل خلاق من أجل سد حاجات قرائهم. وما يهمنا هنا هو مساعدتك صديقي الدارس على إدراك البناء الأدبي لكل بشارة أثناء دراستك أو قراءتك لها.

في عملية بناء الأناجيل أُعتمد مبدآن هامان: أولاً الانتقائية، ثانيًا التكيُّف. فمن جهة، قام البشيرون، بصفتهم كُتابًا موحى لهم من قبل الله، بانتقاء القصص والتعاليم التي ناسبت أهدافهم. وصحيح، بالطبع، كان اهتمامهم الأول حفظ ما قد وصل إليهم. ومع ذلك فإن يوحنا البشير، ومع قلة عدد قصص إنجيله وأحاديثه التي اتصفت في الوقت ذاته بالإسهاب الملحوظ، إلا أنه أخبرنا علانية بأنه كان انتقائيًا جدًا (٢٠: ٣٠-٣١؛ ٢١: ٢٥). ولعل الشاهد الأخير (٢١: ٢٥)، يُعبِّر عن موقف الأناجيل الأخرى أيضًا. فلوقا البشير على سبيل المثال، اختار ألا يورد في إنجيله قسمًا كبيرًا من إنجيل مرقس (مر ٦: ٤٥-٨: ٢٦).



إن مبدأ التكييف عادة ما يساعد في الرد على معظم الادعاءات التي تقول بوجود تناقض بين الأناجيل. وهو أيضًا يشرح ويفسر سبب وجودها.

في الوقت نفسه، كان للبشيرين وكنائسهم اهتمامات خاصة جعلتهم يقومون بتكييف ما انتقوه. فيوحنا البشير، مثلاً، صرح لنا علانية أن هدفه كان هدفًا لاهوتيًا واضحًا ألا وهو: «لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله...» (٢٠: ٣١). وربما كان هذا الاهتمام بيسوع - كالمسيا اليهودي - هو السبب الرئيسي الذي جعل أكثر ما كتبه يوحنا البشير يتعلق بخدمة الرب يسوع في اليهودية وأورشليم، في مقابل خدمته في الجليل والتي أوردتها الأناجيل الثلاثة المتشابهة. فبالنسبة لليهود، كان الوطن الحقيقي للمسيا هو أورشليم. وبالتالي، كان يوحنا البشير يُعلِّم بما قاله الرب يسوع عن أنه «لا كرامة لنبي في وطنه». نعم فقد قال الرب يسوع هذا القول أصلاً عندما رفضه أهل الناصرة (مت ١٣: ٥٧؛



مر ٦: ٤؛ لو ٤: ٢٤). لكن في إنجيل يوحنا فقد تمت الإشارة إليه كتوضيح لرفض المسيا في أورشليم (٤: ٤٤) - وهذا يكشف عمقًا لاهوتيًا جديدًا في معنى خدمة الرب يسوع.

إن مبدأ التكييف عادة ما يساعد في الرد على معظم الادعاءات التي تقول بوجود تناقض بين الأناجيل. وهو أيضًا يشرح ويفسر سبب وجودها. فعلى سبيل المثال، من أبرز تلك الادعاءات قصة لعن شجرة التين (مر ١١: ١٢-١٤، ٢٠-٢٥؛ مت ٢١: ١٨-٢٢) لقد روى الرسول مرقس هذه القصة لإبراز أهميتها اللاهوتية الرمزية، فقد لاحظ أن الرب يسوع قد نطق بالدينونة على الديانة اليهودية عندما طهر الهيكل وذلك في ذات الفترة التي لعن فيها شجرة التين فيبست. غير أن لقصة شجرة التين معنى عظيمًا للكنيسة الأولى أيضًا وذلك بسبب الدرس الذي ختمت به تلك القصة عن الإيمان. ففي إنجيل متى، كان الهدف الوحيد من تلك القصة هو إعطاء درس عن الإيمان، لذلك نراه يجمع ما بين لعن الشجرة وهلاكها ليُركِّز على هذه النقطة. تذكر صديقي الدارس أن سرد هذه القصة في جميع الحالات هو عمل الروح القدس الذي أوحى لكلا البشيرين بما كتباه.

ولكي نوضح بشكل أكيد عملية البناء هذه، دعونا نلقي نظرة على الأصحاحات الافتتاحية لإنجيل مرقس (١: ١٤-٣: ٦) تُعد هذه الأصحاحات تحفة فنية، فهي مبنية بناء جيدًا يتمكن القراء من خلالها فهم قصد مرقس الرسول.

إذ نجد فيها ثلاثة خطوط رئيسية لخدمة الرب يسوع المعلنة والتي تُشكل أهمية خاصة عند مرقس الرسول: أولاً: شعبيته وسط الجموع، ثانيًا: تلمذته لعدد قليل، ثالثًا: معارضته من قبل السلطات. ارجع إلى إنجيل مرقس واقرأه ولاحظ مهارة مرقس البشير في إبراز هذه المواقف لنا من خلال انتقائه وترتيبه للقصص. فبعد الإعلان عن خدمة الرب يسوع العلنية (١: ١٤-١٥)، سجلت لنا القصة الأولى فيه دعوة يسوع المسيح للتلاميذ الأوائل. بالإضافة إلى مزيد من

التفاصيل عن هذا الهدف والتي جاءت لاحقًا في المقاطع التالية (٣: ١٣-١٩؛ ٤: ١٠-١٢؛ ٤: ٣٤-٤١ ... إلخ). إن اهتمام البشير مرقس الأكبر في هذين الأصحاحين الأولين كان بالموضوعين الآخرين. فبداية من ١: ٢١ إلى ١: ٤٥، نجد أربع لقطات أوردها مرقس البشير: يوم في كفر ناحوم (١: ٢١-٢٨ و٢٩-٣٤) جولة وعظ قصيرة في اليوم التالي (١: ٣٥-٣٩)، وقصة شفاء الأبرص (١: ٤٠-٤٥).

كان الهدف المشترك في كل هذا هو إعلان سرعة انتشار شهرة الرب يسوع وشعبيته (انظر الأعداد ٢٧-٢٨، ٣٢-٣٣، ٣٧، ٤٥)، هذه السرعة التي وصلت أوجها حتى عجز الرب يسوع معها عن «أن يدخل مدينة ظاهرًا، بل كان خارجًا في مواضع خالية، وكانوا يأتون إليه من كل ناحية». كل هذا كان يبدو وكأنه يقطع الأنفاس إلا أن مرقس البشير تمكن فعلاً من رسم هذه اللوحة بأربع قصص فقط، إضافة إلى استخدامه لتعبيره المتكرر «وللوقت» (١: ٢١، ٢٣، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٤٢)، وقيامه ببدء كل جملة تقريبًا بحرف العطف (الواو).

بعد أن وضع مرقس البشير هذه الصورة أمامنا، قام باختيار خمسة أنواع من القصص، ترسم في مجموعها، لوحة المعارضة وتبدي أسبابها. لاحظ القاسم المشترك العام للقصص الأربع الأولى إنه السؤال: لماذا؟ (الأعداد ٧، ١٦، ١٨، ٢٤). فالمعارضة تنشأ بسبب غفران الرب يسوع للخطايا، وبسبب أكله مع الخطاة، وسبب عدم مراعاته للتقليد المتعلق بالصيام، وكسره السبت. ولعل مرقس قد اعتبر هذه المخالفة الأخيرة هي الإهانة الكبرى عند اليهود مما جعله يضيف قصة ثانية من هذا النوع (٣: ١-٦).

وهنا لا نقصد القول أن جميع المقاطع في كل الأناجيل ستساعد الدارس بسهولة في اكتشاف الاهتمامات التي تحكمت بما كتبه البشيرون. لكننا نقترح بأن مثل تلك النظرة إلى الأناجيل هي النظرة المطلوبة.

بعض الملاحظات التفسيرية

إن المبادىء التفسيرية للأناجيل عادة ما تكون بمثابة مزيج لكل ما سبق وقيل في الفصول السابقة عن «الرسائل» والقصص التاريخية.

١- التعاليم والوصايا (الواردة بصيغة الأمر)

لو افترضنا عزيزي القارئ بأنك قد قمت فعلاً بمهمة عمل التفسير الاستنتاجي بعناية، إذًا عليك الآن إدخال تعاليم ووصايا الرب يسوع التي تم ذكرها في الأناجيل إلى هذا القرن الحالي تمامًا بذات الطريقة التي تعاملنا بها مسبقًا مع رسائل بولس الرسول أو بطرس أو يعقوب.

حتى قضايا النسبية البيئية والتي تحتاج إلى أن تثار بالطريقة ذاتها، كالطلاق مثلاً، والذي يكاد ألا يكون خيارًا مطروحًا أمام زوجين مؤمنين بالرب يسوع المسيح، وهذه القضية التي كررها الرسول بولس في كورنثوس الأولى (٧: ١٠-١١). لكن للأسف ما وجدناه في بعض المجتمعات الغربية المعاصرة أن بعض المسيحيين قد اختبروا فعلاً الطلاق، وهنا ينبغي عليك صديقي الدارس أن تتفحص بإمعان افتراضات البعض السريعة لمعنى كلمات الرب يسوع التي نطق بها في خلفية حضارية كانت مختلفة في زمنها تمامًا عن زمننا الحالي. وبالمثل سيندر طبعًا أن تتاح لنا فرصة لإيجاد جندي روماني يُسخِّرنا ميلاً واحدًا (مت ٥ : ٤١). ولكن في حالة كهذه، تبقى النقطة الجوهرية والتي قصدها الرب يسوع والمتعلقة بقصة الميل الثاني سارية المفعول على أي أمر أو حالة مشابهة.

وهنا يجدر بنا قول كلمة هامة وهي: بسبب ورود الكثير من وصايا المسيح في نطاق تفسير شريعة العهد القديم، ولأنها كانت تعني للكثيرين بأنها مثالية ومستحيلة التطبيق، فقد تم تقديم الكثير من الحيل التفسيرية بغية الالتفاف

حول كون تلك الوصايا هي السلطة المعيارية للكنيسة. وهنا لا يمكننا وللأسف في هذا المقام أن نخصص حيزًا لدراسة ونقد تلك المحاولات المتنوعة.

٢- القصص

كان للقصص في الأناجيل أكثر من دور وهدف وطريقة. فقصص المعجزات، على سبيل المثال، لم تُدون من أجل غايات أدبية ولا من أجل تسجيل سابقة معينة؛ لكنها بالأحرى كانت ذات دور توضيحي حيوي لقوة الملكوت التي تفجرت من خلال خدمة الرب يسوع. فهي فعلاً قدمت شرحًا بطريقة غير مباشرة لماهية الإيمان، أو الخوف، أو الفشل. غير أن الأمور التعليمية لم تكن عمل القصص الرئيسي. ومع ذلك فقصة مثل قصة الشاب الغني (مر ١٠: ١٧-٢٢ وما يوازيها) أو قصة طلب الجلوس عن يمين الرب يسوع (مر ١٠: ٣٥-٤٥ وما يوازيها) قد وُضعتا في قالب تعليمي، حيث جاءتا كإيضاح لما يتم تعليمه. وهنا نرى أن استخدام مثل هذه القصص وبتلك الطريقة نفسها كان أمرًا مناسبًا وسليمًا من ناحية التفسير الحياتي.

قصص المعجزات كانت ذات دور توضيحي حيوي لقوة الملكوت التي تفجرت من خلال خدمة الرب يسوع.

وهكذا، فإن القصد من قصة الشاب الغني لم يكن قيام جميع تلاميذ الرب يسوع ببيع كل ممتلكاتهم كي يتبعوه؛ لأن هناك الكثير من الأمثلة في الأناجيل والتي تدل على استبعاد مثل هذا القصد (لو ٥: ٢٧-٣٠؛ ٨: ٣؛ مر ١٤: ٣-٩).

في الحقيقة جاءت هذه القصة لتوضح مدى صعوبة دخول الأغنياء إلى ملكوت الله، وذلك لأنهم التزموا مسبقًا بمحبة المال في محاولة منهم لتأمين ولضمان مستقبل حياتهم. غير أن المسيح أراد أن يقول إن محبة الله المنعمة تستطيع أن

تُجري المعجزات في الأغنياء أيضًا، ولعل قصة زكا العشار تصلح لأن تكون مثلاً على ذلك (لو١٩: ١-١٠).

صديقنا الدارس نكرر ما قلناه مسبقًا بأنك تستطيع أن تكتشف أهمية التفسير الاستنتاجي السليم، وخاصة عندما نصل في تفسيرنا الاستنتاجي هذا إلى القصد الأساسي الذي هو ما عنته الأناجيل نفسها.

كلمة أخيرة في غاية الأهمية

هذه الكلمة الأخيرة يمكن أن تنطبق أيضًا على القرينة التاريخية ليسوع المسيح، ونحن إذ نوردها هنا فلأهميتها البالغة للمسألة التفسيرية الحياتية. خلاصة هذه الكلمة هي: لا يمكن لأحد أن يتجاسر على الظن بأنه يستطيع تفسير الأناجيل تفسيرًا سليمًا ما لم ينل فهمًا واضحًا لمعنى ولمفهوم ملكوت الله الذي ورد وطرح في خدمة السيد المسيح. وفيما يلي سنورد موجزًا بسيطًا يحمل النقاط الرئيسية لهذا المفهوم وتأثيره على عملية التفسير.

أولاً عليك صديقي أن تدرك بأن الإطار اللاهوتي الأساسي للعهد الجديد بأسره هو إطار إسخاتولوجي. ما معنى إسخاتولوجي؟ معناه دراسة الأمور المتعلقة بوقت نهاية هذا الدهر. لقد كان لمعظم اليهود في زمن الرب يسوع تفكير إسخاتولوجي شامل، بمعنى أنهم كانوا يعتقدون بأنهم كانوا يعيشون في أواخر الأيام وعلى مقربة تامة من وقت دخول الله التاريخ لجلب نهاية هذا الدهر وتأسيس «الدهر الآتي».

إن «إسخاتون» هي كلمة يونانية معناها «النهاية» التي كانوا ينتظرونها. وبالنسبة لهم، فإن الإنسان الذي يحمل في تفكيره فكرًا إسخاتولوجيًا هو ذلك الذي يتطلع إلى وقت النهاية.

الرجاء الإسخاتولوجي لليهود

الإسخاتون (النهاية)

هذا الدهر	الدهر الآتي
(عصر الشيطان)	(عصر حُكم الله)
ملامح «هذا الدهر»	ملامح «الدهر الآتي»
الخطية	حضور الروح
المرض	البر
سكنى الأرواح الشريرة	الصحة
انتصار الأشرار	السلام

لقد ورث المسيحيون الأوائل هذه الطريقة الإسخاتولوجية في النظر إلى الحياة والتفكير فيها. فبالنسبة لهم، كانت أحداث مجيء الرب يسوع وموته وحياته وإعطائه الروح القدس لهم كلها أمور تتعلق بتوقعاتهم عن مجيء النهاية. وهنا يمكننا شرح هذا الأمر على النحو التالي:

كان مجيء النهاية معناه حلول بداية جديدة في نفس الوقت - والتي هي بداية عصر الله الجديد أو عصر المسيا- لقد أشير أيضًا إلى هذا العصر الجديد «بملكوت الله» أي عصر حكم الله. لقد كان من المفترض أن يكون هذا العصر الجديد زمنًا للبر (مثلاً إش ١١: ٤-٥)، وأن يحيا الناس في سلام (مثلاً إش ٢: ٢-٤). كما أنه سيكون زمنًا لكمال انسكاب الروح (يو ٢: ٢٨-٣٠)، وفيه سيتحقق العهد الجديد الذي تحدث عنه إرميا (إر ٣١: ٣١-٣٤؛ ٣٢: ٣٨-٤٠)، ولن يكون فيه موضع للخطية أو المرض (مثلاً زك ١٣:١؛ إش ٥٣: ٥).

وأيضًا الخليقة غير العاقلة ستبتهج وستفرح وسيسودها السلام في هذا العهد الجديد (مثلاً إش ١١: ٦-٩).

وهنا نجد أنه عندما أعلن يوحنا المعمدان اقتراب مجيء النهاية ثم معموديته للمسيح، اضطرمت الحمية الإسخاتولوجية، لأنه قد جاء المسيا الذي كان منتظرًا أن يجلب عصر الروح الجديد (لو ٣: ٧-١٧).

نعم لقد جاء يسوع المسيح وأعلن من خلال خدمته عن اقتراب الملكوت الآتي (مثلاً مر ١: ١٤-١٥؛ لو ١٧: ٢٠-٢١). ولقد أخرج الأرواح الشريرة وصنع المعجزات وقبل الخطاة والمنبوذين قبولاً بلا قيود. وكل هذه كانت بوادر بداية النهاية (مثلاً لو ١١: ٢٠؛ مت ١١: ٢- ٦؛ لو ١٤: ٢١؛ ١٥: ١-٢). فلقد كان الجميع يراقبونه ليروا ما إذا كان هو فعلاً «الآتي» وما إذا كان سيجلب حقًا عصر المسيا بكل روعته وبهائه. وفجأة صُلب الرب يسوع- وانطفأت الأنوار!

لكن، لم تكن هذه هي نهاية القصة! لأنه كان قد ترتب أمر مجيد على موته إذ قام من الأموات في اليوم الثالث وظهر لكثيرين من أتباعه. فأيقن الناس وصدقوا عندئذ أنه «سيرُد المُلك لإسرائيل» (أع ١: ٦). لكنه وبدلاً من ذلك عاد إلى الآب وسكب روح الموعد انسكابًا كاملاً. وهنا وبكل صراحة وبالتحديد بدأت عملية إساءة الفهم من جانب الكنيسة الأولى ومن جانبنا أيضًا. فلقد تحدَّث الرب يسوع فعلاً عن الملكوت الآتي باعتباره قد حل تمامًا بمجيئه. وكان مجيء الروح القدس بالقوة والكمال وما صاحبه من آيات ومعجزات ومجيء العهد الجديد دليلاً على حلول الدهر الجديد.

لكن لم ينتهِ هذا الدهر الحالي على ما يبدو. فكيف إذًا بإمكان الكنيسة الآن أن توفق بين الأمرين؟

منذ وقت باكر جدًا، وبالتحديد بداية من عظة بطرس الواردة في أعمال٣، أدركت الكنيسة أن الرب يسوع لم يأتِ ليجلب نهاية النهاية بل بدايتها. وعرف المؤمنون أنه بموت الرب يسوع وقيامته وبمجيء الروح، قد جاءتهم بالفعل البركات والفوائد المستقبلية. لذلك، فمن وجهة نظر معينة يمكن أن نقول

بأن النهاية قد أتت بالفعل. إلا أنه من وجهة نظر أخرى، يمكننا أن نرى أن النهاية بكمالها لم تأتِ وتمامها حتى الآن. بمعنى أنها قد جاءت بالفعل، لكنها لم تكتمل بعدُ.

لأجل هذا السبب، نظر المؤمنون الأوائل إلى ذواتهم كأناس إسخاتولوجيين حقًّا؛ لأنهم عاشوا في فترة انتقالية بين زمني ابتداء النهاية واكتمالها. وحول مائدة الرب، احتفلوا بوجودهم الإسخاتولوجي بإعلانهم موت الرب، إلى أن يعود (١كو ١١: ٢٦). لقد اختبروا بالفعل غفران الله المجاني والكامل، لكنهم لم يصبحوا كاملين بعد (في ٣: ٧–١٤). وقد أصبح الموت ملكهم بالفعل (١كو ٣: ٢٢)، ولكنهم لم يصبحوا غير قابلين للموت بعد (في ٣: ٢٠–٢٢). كانوا يعيشون بالروح بالفعل، لكنهم لم يسلموا بعد من هجمات الشيطان (مثلاً غل ٥: ١٦–٢٦) إذ كانوا لا يزالوا يعيشون في العالم. وكانوا قد تبرروا بالفعل إذ لا تنتظرهم أية دينونة (رو ٨: ١)، لكن وقوفهم أمام عرش المسيح لنوال استحقاق أعمالهم لم يكن قد حدث بعد (٢كو ٥: ١٠)، لقد كانوا شعب الله المستقبلي وكان مستقبلهم قد تحدد بالفعل. وقد أدركوا فوائده وعاشوا في ضوء قيمه، إلا أنهم توجب عليهم الحياة في العالم الحاضر وفقًا لمزايا مستقبلهم وقيمه. لقد بدا الإطار اللاهوتي الأساسي لفهم العهد الجديد كما يلي:

الرجاء الإسخاتولوجي

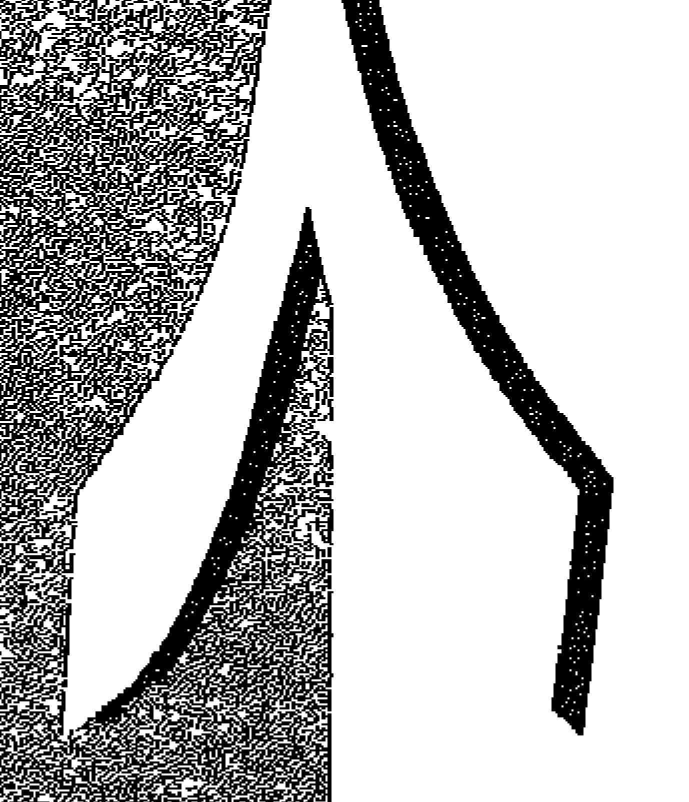
الإسخاتون (النهاية)

ابتداؤها	اكتمالها
هذا الدهر	الدهر الآتي
ينقضي	لا نهاية له
الصليب والقيامة	المجيء الثاني

تم بالفعل	ليس بعد
بر	بر تام
سلام	سلام كامل
صحة	لا مرض ولا موت
روح	في كمال تام

يتمثل المدخل المؤدي إلى تفسير معظم العهد الجديد، وبخاصة خدمة الرب يسوع وتعليمه، في هذا النوع من التوتر. (بين ما تحقق بالفعل وما لم يتحقق بعد) فبالتحديد لأن الملكوت، أي زمن مُلك الله، قد ابتدأ فعلاً بمجيء الرب يسوع نفسه، فنحن إذًا مدعوون لأن نحيا في الملكوت، أي أن نحيا تحت ربوبية الرب يسوع، الذي قبلنا وغفر لنا مجانًا، على أن نلتزم بأخلاقيات الدهر الجديد، وأن نعمل على إظهارها في حياتنا وفي العالم في هذا الدهر الحاضر.

وهكذا، فنحن عندما نصلي قائلين: «ليأت ملكوتك» نصلي أولاً كي يتم الاكتمال. ولكن بما أن الملكوت الذي نتوق أن نحيا فيه قد ابتدأ فعلاً، فهذه الصلاة نفسها مليئة بالمعاني الضمنية التي تخص الوقت الحاضر.



الأمثال: الهدف منها

الفصل الثامن

الأمثال
الهدف منها

- الأمثال في التاريخ.
- طبيعة الأمثال.
- التفسير الاستنتاجي للأمثال.
- التفسير الحياتي للأمثال.

في البداية علينا أن نلفت نظرك صديقنا الدارس إلى أن كل ما جاء في الفصل السابع حول تعليم الرب يسوع في الأناجيل ينطبق أيضًا على الأمثال الواردة فيها. وهنا قد تسأل إذًا لماذا خصصنا للأمثال فصلاً خاصًا بها في هذا الكتاب؟ وهل تستحق هذا؟ ربما تسأل أيضًا كيف يمكن لهذه القصص المباشرة القصيرة والبسيطة التي تكلم بها السيد المسيح أن تُشكِّل أسئلة أو قضايا تهم القارئ أو الدارس المفسر؟

ونحن نقول: من الصعب عليك أن يفوتك الهدف الذي يرمي إليه مَثَل السامري



الصالح أو الابن الضال. فإنه مجرد قراءتك لهذه القصص ستلمس قلبك وتتعزى. ومع ذلك، فضرورة تخصيص فصل مستقل للأمثال تعود إلى سبب مهم وهو أنها بالرغم من بساطتها وإثارتها، قد عانت كثيرًا من خطأ التفسير وسوء استخدامه.

الأمثال في التاريخ

ربما يعود سبب هذا التاريخ الطويل من إساءة تفسير الأمثال إلى ما قاله الرب يسوع ذات مرة، وقد قام مرقس البشير في أصحاح ٤: ١٠-١٢ بتسجيله لنا (نرى ما يوازيه في مت ١٣: ١٠-١٣؛ لو ٨: ٩-١٠). إذ عندما سُئِل المسيح عن أسباب ضربه للأمثال، بدا وكأنه يشير إلى أن تلك الأمثال قد احتوت في ذاتها على أسرار لأولئك الذين من الداخل، بينما قامت على تقسية قلوب مَنْ هم في الخارج. إذ أنه بعد أن ضرب مَثل الزارع، قام بتفسيره بطريقة شبه رمزية، لدرجة اعتبر معها هذا التفسير مؤيدًا لنظرية تقسية القلوب وفاتحًا أبوابًا لا حصر لها في التفسير الرمزي.

وهكذا، فقد ظهرت، على سبيل المثال، عدة تفسيرات رمزية لمَثل السامري الصالح من بينها هذا التفسير:

- إنسان كان نازلاً من أورشليم إلى أريحا = آدم
- أورشليم = مدينة السلام السماوية، التي سقط منها آدم
- أريحا = القمر، الذي يشير إلى طبيعة آدم المائتة
- اللصوص = إبليس وملائكته
- عرّوه = أي أنهم جردوه من صفة عدم الموت

- ضربوه = بإقناعه بارتكاب الخطية
- تركوه بين حي وميت = أنه كان يعيش كإنسان، لكنه مات روحيًا، إذًا فهو نصف حي.
- الكاهن واللاوي = كهنوت وخدمة العهد القديم
- السامري = يُقال إن هذه الكلمة تعني الحارس لذلك فالمسيح نفسه هو المقصود
- ضمد جراحاته = ربط قيود الخطية
- الزيت = تعزية الرجاء الصالح
- الخمر = الحث على العمل بروح متقدة
- الدابة = الجسد الذي اتخذه المسيح
- الفندق = الكنيسة
- الغد = بعد القيامة
- الدينارين = الوعد في هذه الحياة والوعد في الحياة الآتية
- صاحب الفندق = بولس الرسول

مهما بلغت غرابة كل هذا التفسير، فما يمكننا أن نكون متأكدين منه هو أن السيد المسيح لم يقصد أبدًا أن نصل إلى مثل هذه الاستنتاجات. لأن النص أولاً يُصرِّح وبكل وضوح أن المثل كان إجابة على سؤال يتعلق بالعلاقات الإنسانية والسؤال هو: مَنْ هو قريبي؟ وليس عن علاقة الله بالإنسان، ثم إنه لا يوجد أي مبرر يدعو للظن بأن المسيح كان يتنبأ عن الكنيسة وعن بولس الرسول بهذا الشكل الغامض!

كما أنه وفي واقع الأمر، يوجد شك كبير جدًا فيما إذا كان القصد من معظم الأمثال البقاء ضمن دائرة داخلية (أي قاصرة على مَنْ هم من الداخل). ففي مناسبات ثلاث على الأقل يقول لنا لوقا البشير إن الرب يسوع كان قد كلَّم الناس بأمثال (١٥: ٣؛ ١٨: ٩؛ ١٩: ١١)، هذا الأمر الذي يُشير بوضوح إلى وجوب فهمهم لهذه الأمثال. علاوة على ذلك، فإن الناموسي الذي ضرب له الرب يسوع مثل السامري الصالح (لو ١٠: ٢٥-٣٧)، كان قد فهم المثل، تمامًا كما كان الكهنة والفريسيون قبلاً قد فهموا مثل الكرامين الوارد في متى ٢١: ٤٥.

وهنا نقول نعم وإن صادفتنا بعض الصعوبات أحيانًا أثناء دراستنا للأمثال إلا أن السبب في ذلك لا يعود لكونها تحتاج إلى بعض المفاتيح التفسيرية لحلها، لكنها وبكل بساطة لأنها أصلاً مرتبطة ببعض الأمور التي سبق وأن اقترحناها في الفصل السابق عن الأناجيل. إن واحدًا من أهم مفاتيح فهم تلك الأمثال هو اكتشاف هوية المستمعين الأصليين لها كما قلنا وذكرنا سابقًا، وفي الحقيقة كثيرًا ما وصلت تلك الأقوال إلى البشيرين دون أية قرينة.

إذًا إن لم تكن الأمثال أسرارًا رمزية للكنيسة، فما الذي قصده وعناه الرب يسوع في قوله في إنجيل مرقس ٤: ١٠-١٢ عن سر الملكوت وعن علاقته بالأمثال؟ ما يمكننا قوله هنا أنه على الأرجح يكمن حل هذا الغموض في تعدد معاني الكلمة الأرامية (مثال) كما هي في العربية والتي ترجمت إلى اليونانية كانت تستخدم للدلالة على أنواع كثيرة من الاستعارات سواء الألغاز أو الأحاجي أو الأمثال، إذ لم تكن تعني المعنى الأضيق للكلمة والمتمثل في ضرب مَثَل. ولعل العدد الحادي عشر من هذا المثل قصد أن يوضح معنى خدمة الرب يسوع (سر الملكوت) إذ لم تكن هذه الجملة لتفهم من قِبل الذين هم من الخارج. فقد كان المعنى بالنسبة لهم بمثابة لغز أو أحجية. ولهذا السبب بالذات كان استخدامه للأمثال جزءًا من اللغز الذي انطوت عليه خدمته بجملتها

بالنسبة لهم. لقد أبصروا، لكنهم لم يروا، ولقد سمعوا - وربما فهموا - الأمثال، لكنهم أخفقوا في تقدير الدافع الحقيقي لخدمة الرب يسوع.

ونتيجة لما سبق، علينا من أجل نجاح عملية التفسير الاستنتاجي للأمثال أن نبدأ بالافتراضات التي اقترحنا تبنيها في كل النصوص الأخرى السالفة الذكر. نعم فالرب يسوع لم يشأ أن يكون غامضًا، بل كان كل قصده أن يُفهم تمامًا. إن مهمتنا الأولى إذًا هي محاولة سماع ما قد سمعوه هم أولاً. (السامعون الأصليون للمثل). ونحن نحتاج من أجل القيام بهذا الأمر على نحو سليم البدء في معالجة السؤال التالي: ما هو المثل؟

طبيعة الأمثال

اختلاف أنواع الأمثال

عزيزي الدارس: أول ما يجب أن تلاحظه أثناء دراستك للأمثال هو أن الأقوال التي تم تصنيفها تحت بند الأمثال ليست كلها من نفس النوع، فهناك فرق جوهري، على سبيل المثال، بين مثل السامري الصالح (وهو مثل حقيقي)، من جهة، ومثل الخميرة في العجين (وهذا مثل تشبيهي)، من جهة أخرى كذلك أيضًا يختلف هذان المثلان السابقان عن قول المسيح «أنتم ملح الأرض» (وهذا تعبير مجازي)، أو «هل يجتنون من الشوك عنبًا، أو من الحسك تينًا»؟ (وهي عبارة ساخرة). لكن على الرغم من ذلك، فستقابل عزيزي الدارس كل هذه الأنواع الأدبية من حين إلى آخر أثناء دراستك للأمثال.

إن مَثل السامري الصالح نموذج للمثل الحقيقي. فهو قصة واضحة وبسيطة لها بداية ولها نهاية وفيها نوع من الحبكة. هناك أيضًا أمثلة أخرى وكثيرة على

هذا النوع من الأمثال كمثل الخروف الضال أو الابن الضال، ومثل العشاء العظيم، والفعلة في الكرم، أيضًا مثل الغني ولعازر، والعذارى العشر.

أما مثل الخميرة التي في العجين، فيميل إلى الأسلوب التشبيهي. فما قيل عن الخميرة، أو عن الزارع، أو عن حبة الخردل، ينطبق فعليًا على الخميرة وعلى الزراعة وعلى حبوب الخردل. والأمثال التي من هذا النوع هي أقرب إلى أن تكون إيضاحات مأخوذة من الحياة اليومية والتي استخدمها السيد المسيح لإيضاح غايته.

إن أقوالاً مثل أنتم ملح الأرض، عادة ما تختلف عن هذين المثلين. نعم ربما تدعى في بعض الأحيان بالأقوال الرمزية، إلا أنها في الحقيقة ليست سوى أقوال مجازية أو تشبيهات. أيضًا قد تبدو هذه الأقوال وكأنها تعمل بطريقة مماثلة للأمثال التشبيهية، إلا أن القصد منها أو السبب في ضربها، عادة ما يكون مختلفًا وبشكل ملحوظ.

من الجدير بالملاحظة هنا أنه وفي بعض الحالات، خاصة في حالة مَثَل كمَثَل الكرامين (مر ١٢: ١-١١؛ مت ٢١: ٣٣-٤٤؛ لو ٢٠: ٩-١٨)، علينا الانتباه إلى أن هذا المثل قد يشبه وإلى حد كبير القصة الرمزية، حيث يكون القصد من سرد تفاصيل كثيرة للمثل هو إظهار أمر آخر لإثارتنا. (شاهدنا سالفًا كما في مثل السامري الصالح)، غير أن الأمثال بحد ذاتها ليست قصصًا رمزية حتى وإن كانت في بعض الأحيان قد تبدو لنا ذات معالم رمزية. وسبب ذلك يتعلق بالوظائف أو الأدوار المختلفة التي تقوم بها عادة تلك الأمثال.

ولأن الأمثال ليست كلها من نوع واحد، لذا لا يستطيع الدارس منا بالضرورة أن يضع قواعد يمكن أن تغطيها جميعها، وما سنقوله الآن هنا قد ينطبق فعلاً على «الأمثال» لكن بالمعنى الضيق للكلمة وفي نفس الوقت سيشمل الكثير مما سنقوله أنواعًا أخرى من الأدب أيضًا.

كيف تؤدي الأمثال وظيفتها؟

إن أفضل دليل يمكن أن يبين لنا ماهية الأمثال عادة ما نجده في عملها أو فيَ وظيفتها. وبالتباين مع معظم الأقوال التي ترد في صيغة الأمثال، كمثل التين من الشوك، فإن الأمثال التي ترد في صيغة قصص لا تهدف لأن توضح بكلمات تصويرية تعاليم الرب يسوع النثرية، ولم تُعطَ من أجل أن تكون وسيلة لإظهار الحق - مع أنها في نهاية الأمر قد فعلت هذا وبكل وضوح، لقد جاءت الأمثال القصصية كدعوة لتوليد نوع من الاستجابة عند السامع. فهو من خلالها يخاطب سامعيه ليستحوذ على اهتمامهم أو ليوقظهم لحقيقة الضعف الموجود في أفعالهم، أو ليحث فيهم استجابة ما تجاه المسيح وخدمته.

لقد جاءت الأمثال القصصية كدعوة لتوليد نوع من الاستجابة عند السامع.

في الحقيقة إن الطبيعة التي يتمتع بها المثل هي التي سببت لنا صعوبة كبيرة في تفسير الأمثال، فهي طبيعة داعية تنتظر الاستجابة من الآخرين. وهنا نرى أنه في كثير من الأحيان يصبح تفسيرنا للمثل هدمًا لما كان عليه المثل في الأصل. إنه يشبه تمامًا القيام بتفسير أو شرح نكتة. إذ إن كل القصد من النكتة عادة، هو أن يستجيب أو أن يتفاعل السامع معها استجابة فورية، وهذا ما يجعلها مضحكة. والنكتة مضحكة للسامع، لأنه وبكل بساطة «يلتقط» معناها كما هي. إلا أن سامعها عادة لا يمكنه التقاطها إلا إذا فهم دلالاتها على الفور. فإن كان من الواجب عليك أن تشرح النكتة وتوضح دلالتها فستفقد هدفها ولن تعود قادرة على الاستحواذ على السامع، وبالتالي ستفشل في إحداث نوعية الضحك نفسها. نعم يمكن فهم النكتة فهمًا كاملاً، إن قام أحد بتفسيرها، وقد تبقى مضحكة (لأن سامعها على الأقل فاهم لما كان منتظرًا منه أن يضحك عليه)، لكنها ستعجز كما أسلفنا، في أن تحدث التأثير ذاته. وهكذا، فهي لن تعود لتعمل بالطريقة نفسها.

وهذا هو الحال مع الأمثال التي رواها الرب يسوع، والتي يمكننا الافتراض فيها بأن معظم السامعين قد تعرفوا فورًا على دلالاتها التي جعلتهم يدركون الهدف الجوهري لها والتي جعلت الأمثال تستحوذ على انتباههم. أما بالنسبة لنا، فالأمر مختلف. فالأمثال لم تُلق على مسامعنا، لكنها وصلتنا مكتوبة. نعم قد نستطيع أو قد لا نتمكن من أن نفطن مباشرة للدلالات، إلا أنه لا يمكن لتلك الأمثال أن تعمل فينا بنفس الأسلوب الذي عملته في السامعين الأصليين. لكن تفسيرنا وشرحنا لها يمكّننا من فهم ما قد أدركوه «هم» أو ما كان يمكننا أن ندركه لو كنا هناك معهم. وهذا هو بالضبط ما يتوجب علينا عمله في عملية التفسير الاستنتاجي. أما مهمة التفسير الحياتي فستأتي لاحقًا؛ إذ من خلالها سنعرف كيفية فهم واستيعاب فاعلية تلك الأمثال في أيامنا الحاضرة، وفي ظروفنا المعاصرة.

التفسير الاستنتاجي للأمثال

إيجاد الدلالات

دعونا الآن نعود إلى التشبيه الذي أوردناه عن النكتة. إن الأمرين اللذين يمكن أن يستحوذا على سامع النكتة وأن يثيرا فيه استجابة الضحك هما نفس الأمران اللذان استحوذا على سامعي أمثال الرب يسوع. هذان الأمران هما: أولاً: معرفة السامعين أصلاً لدلالات القصة. ثانيًا: التحول غير المتوقع في القصة. إن مفاتيح فهم القصة عادة ما تكون دلالاتها، وهي تلك الأجزاء المختلفة للقصة والتي يدركها السامع ما إن يسمعها. فإن فات سامع النكة فهم هذه الدلالات فيها انتفى عنده الإحساس بالتحول المفاجيء؛ ذلك لأن الدلالات عادة هي التي تخلق التوقعات العادية. فإن أغفل الشخص سامع المثل هذه الدلالات فيه فستفوته القوة والقصد أيضًا مما قد قاله الرب يسوع.

إن أفضل إيضاح يمكننا تقديمه عن «الدلالات» هو مَثل ضربه الرب يسوع ودونه لنا لوقا البشير في قرينته الأصلية كاملاً (لو ٧: ٤٠-٤٢). والقرينة الأصلية لهذا المثل تقول: إن الرب يسوع كان قد دُعي إلى عشاء عند واحد من الفريسيين اسمه سمعان. وهنا علينا ملاحظة أن هذه الدعوة لا تتميز بكونها جاءت إكرامًا لأحد مُعلمي اليهود المشهورين. ومع ذلك فلعل إخفاق سمعان الفريسي في إظهار حسن الضيافة المعتاد والذي تميزت به تلك الحقبة من الزمن وفي البيئة الشرق أوسطية كان يعتبر نوعًا من الإهانة المتعمدة. وفي هذه القصة سنرى أن إحدى زواني البلدة سارعت بشق طريقها بين الضيوف إلى حيث كان الرب يسوع جالسًا، ثم قامت بغسل قدميه بدموعها ومسحتهما بشعرها، وهذا ما جعلها تبدو حمقاء في عيون المدعوين، وعزز ذلك الفعل شكوك الفريسيين. فحسب رأي الفريسيين كيف يمكن أن يكون الرب يسوع نبيًا وهو لم يقُم بإدانة فعلها المهين أمام الحاضرين؟

أما الرب يسوع العالم بأفكارهم، فقد قام بقص قصة بسيطة على مضيفيه. «كان لدائن مديونان، على الواحد خمسمئة دينار وعلى الآخر خمسون. وإذ لم يكن لهما ما يوفيان، سامحهما كليهما». طبعًا كان هدف المسيح الجوهري من هذا المثل: هو أن يجيب الرجل عن سؤال فقُل أيهما يكون أكثر حبًا له؟

ولم تكن هذه القصة بحاجة إلى تفسير، إلا أن الرب يسوع استمر في إيصال الهدف الذي أراده إلى أذهان سامعيه. لقد كان مَثله هذا يتضمن ثلاث دلالات رئيسية واضحة: المداين، والمديونين. فالله يشبه المداين، أما المديونان فهما سمعان والمرأة الزانية. والمثل هو بمثابة كلمة إدانة تتطلب استجابة من سمعان. كان من المستحيل أن يغفل سمعان الهدف، وربما احمرت وجنتاه خجلاً لدى انتهاء يسوع من سرد القصة. وهذا التأثير بالذات هو قوة المثل.

وهنا علينا الانتباه إلى أن المرأة أيضًا قد سمعت المثل ولابد أنها رأت نفسها

في أحد عناصر القصة. إلا أن ما سمعته المرأة لم يكن إدانة لها بل قبولاً من المسيح وبالتالي من الله.

ملاحظة هامة جدًا: هذه القصة ليست رمزًا، بل مثلاً. فالقصة الرمزية الحقيقية هي تلك التي يُعطي كل عنصر فيها معنى غريبًا تمامًا عن القصة نفسها. فالرمز قد يعطي الدنانير الخمسمائة معنى معينًا، بينما يعطي الخمسين معنى آخر. كما أن الرمز قد يعطي معنى لأي تفصيل آخر قد تتضمنه القصة. علاوة على ذلك، هناك أمر آخر يتسم بأهمية خاصة، وهو أن الهدف من هذا المثل لا يكون في العادة موجودًا في دلالاته، كما هو الحال مع القصة الرمزية الفعلية. بل إن الدلالات فيه لا تتعدى كونها أجزاء القصة التي تشد انتباه السامعين وتنطبق عليهم بطريقة أو بأخرى أثناء إصغائهم ومتابعتهم لها. أما الهدف أو الغاية من القصة، فيمكننا إيجاده في رد الفعل المطلوب. والهدف من هذا المثل هو كلمة إدانة لسمعان وأصدقائه، أو كلمة قبول ومغفرة للمرأة.

معرفة مستمعي الأمثال

سبق وأشرنا في الإيضاح السابق لأهمية معرفة مَنْ هم سامعو هذا المثل وكيفية تلقيهم للقصة لأن معرفتنا هذه تلعب دورًا في معنى المثل. وبطبيعة الحال، لقد تم ذكر المستمعين في سياق الكثير من الأمثال. وفي حالات كهذه، تكون مهمتك في التفسير ما هي إلا عبارة عن مزج لأمور ثلاثة:

١ أن تجلس وتستمع للمثل مرة تلو الأخرى.

٢ أن تتعرف على الدلالات التي قصدها الرب يسوع، وأمكن إدراكها من قِبل المستمعين الأصليين.

٣ أن تحاول تحديد كيفية رؤية المستمعين لشخصياتهم من خلال شخصيات القصة وبالتالي لكيفية تلقيهم الهدف الجوهري.

والآن دعنا نحاول تطبيق هذا الأمر على مثلين مشهورين: مثل السامري الصالح (لو ١٠: ٢٥-٣٧)، ومثل الابن الضال (لو ١٥: ١١-٣٢). لقد ضرب الرب يسوع مثل السامري الصالح لرجل خبير في الناموس. ومن أجل تبرير نفسه، قال البشير لوقا، بأن هذا الرجل سأل المسيح قائلاً: «ومَنْ هو قريبي؟» ستجد لدى قراءتك للمثل مرة بعد مرة أن الرب يسوع يجيب على السؤال بالشكل الذي طرح به، لكن بأسلوب مُعبِّر جدًا ساهم في كشف طبيعة ذلك الناموسي المعتد بنفسه وببره الذاتي. فهو كان يعلم تمامًا ما يقوله الناموس في محبة الواحد لقريبه كنفسه، ولكنه كان ينوي تفسير معنى كلمة قريب بطريقة تظهر منها تقواه وطاعته للناموس.

وهذه القصة لها فقط دلالتان وهي: الرجل الجريح، والسامري الصالح، مع أن التفاصيل الأخرى في المثل ساعدت على إيضاح أثر القصة. **وهنا بالتحديد يجب أن نراعي أمرين:**

(أ) الرجلان اللذان جازا مقابل الرجل الجريح كانا من الطائفة الكهنوتية، ذلك النظام الديني الذي يقف وعلى نفس مستوى معلمي اليهود والفريسيين الذين يعدون خبراء في الناموس.

(ب) في نظر الفريسيين كان التصدق على الفقراء ذا أهمية كبيرة، حيث أنه الطريقة الوحيدة التي كانوا يُعبِّرون بها عن محبتهم لأقربائهم كأنفسهم.

لاحظ كيف وقع الفريسي في شراك هذا المثل. كانت حادثة وقوع رجل بين أيدي لصوص على الطريق بين أورشليم وأريحا أمرًا كثير الحدوث. وفي هذا المثل نجد فئتين كهنوتيتين تمران بذلك الطريق وتجتازان مقابل الرجل الجريح. لقد روى الرب يسوع القصة من وجهة نظر الرجل الضحية، ولعل الناموسي قد شعر بسموه. ومن الممكن أن يكون قد دار في خاطره ما يلي: «وهل يمكن أن

نتوقع أمرًا آخر من الكهنة؟ على كل حال لابد أن يكون الشخص النازل التالي فريسيًا. وسيظهر محبته للقريب بمساعدة هذا الرجل المسكين». ولكن، على عكس هذا التوقع، فلم يكن الشخص التالي إلا سامريًا! وهنا عليك أن تتخيل أيها القارئ العزيز مدى ازدراء الفريسيين للسامريين. وإن أردت أن تسمع وأن تدرك ما سمعه الناموسي، لاحظ جوابه الذي جاء ردًا على سؤال الرب يسوع في نهاية القصة، فهو لم يسمح لنفسه حتى أن يتلفظ بكلمة سامري.

هل أدركت ماذا صنع الرب يسوع بهذا الرجل؟ إن الوصية العظمى الثانية هي أن تحب قريبك كنفسك، وقد كان لذلك الناموسي طُرق حسنة كثيرة مكنته من أن يحب قريبه لكن ضمن حدود معينة. أما ما فعله الرب يسوع فقد كشف الكبرياء والحقد في قلب هذا الفريسي، وبالتالي تقصيره الحقيقي والواضح في طاعة تلك الوصية. إذ لم يعد ممكنًا لكلمة «قريب» أن تُحَدَّد بمعان محصورة. وقد ظهرت قلة محبة الفريسي في كراهيته للسامريين (وأيضًا في احتقاره للكهنة) وليس في عدم مد يد المساعدة للرجل الجريح.

وهذا أيضًا هو الأمر الحاصل مع مَثل الابن الضال. أما القرينة فقد كانت تذمر الفريسيين من جلوس الرب يسوع والأكل مع الفئة المرفوضة من الناس. إن الأمثال الثلاثة التي حكت عن الأشياء المفقودة في لوقا ١٥، جاءت بمثابة تبرير الرب يسوع لأعماله. ففي مثل الابن الضال، كانت هناك دلالات ثلاث واضحة: الأب، والابنان. وهنا أيضًا، نجد بأن ما يحكم كيفية سماع الشخص لهذا المثل هو موقعه في المثل. ولكن في كلتا الحالتين يبقى الهدف هو: أن الله لا يغفر للضالين مجانًا فقط، بل يقبلهم أيضًا بفرح عظيم. فالذين يعتبرون أنفسهم أبرارًا يظهرون بعكس ذلك عندما لا يشتركون في فرحة الأب بالابن الضال.

بطبيعة الحال، لقد استطاع شركاء المسيح على مائدة الطعام هنا وفي هذا

المثل أن يروا أنفسهم من خلال الابن الضال، تمامًا كما ينبغي أن نفعل نحن أيضًا جميعًا. إلا أن قوة المثل التي نريدها لا نجدها إلا في موقف الابن الآخر، الذي كان دائمًا مع الأب، ومع ذلك فقد عزل نفسه خارجًا. فقد أخفق في مشاركة الأب محبة قلبه للابن الضال.

وهنا وكما في كل هذه الحالات، أو غيرها، ستنشأ صعوبات في الفهم وصعوبات في الاستنتاج، وسنواجهها في أغلب الأحوال. وصعوبة الفهم هذه عادة ما تسببها الفجوة البيئية التي تفصل بيننا وبين مستمعي الأمثال الأصليين، مما يجعلنا نغفل بعض أدق النقاط التي تتركب منها القصة كلها. وهنا قد تحتاج في هذه المرحلة - صديقنا الدارس - إلى مساعدة خارجية، لكن عليك ألا تهمل هذه الأمور، لأن معرفة العادات الاجتماعية والتقاليد التي كانت سائدة آنذاك وأضفت الواقعية على القصص الأصلية أمر مهم جدًا.

الأمثال التي ليست لها قرينة

لكن ما الذي يمكن أن نفعله مع تلك الأمثال الموجودة في الأناجيل دون ذكر لقرينتها التاريخية الأصلية؟ لقد سبق وأوضحنا هذا الأمر في الفصل السابق، من خلال مَثل الفعلة في الكرم (مت ٢٠: ١-١٦)، لذلك سنقوم الآن بمراجعة موجزة فقط. نكرر ونقول بأن القضية هي قضية تحديد المستمعين الأصليين وتحديد دلالات المثل. ولعل المفتاح الذي يقود للحل يكمن في تكرار قراءة المثل إلى أن تبرز دلالاته الرئيسية بوضوح. ويساعد هذا الأمر عادة على إعطاء الدارس دليلاً مباشرًا لمسألة المستمعين الأصليين.

وعليه، ففي مَثل الفعلة في الكرم، نجد ثلاث دلالات رئيسية: صاحب الكرم، والفعلة الذين عملوا طوال اليوم، والفعلة الذين عملوا لمدة ساعة فقط. إن تحديد هذا الأمر سهل، ذلك لأن المذكورين هم الوحيدون الذين دارت حبكة القصة حولهم.

وهنا يسهل أيضًا تحديد السامعين الأصليين. فمَنْ ذا الذي كان سيرى نفسه في شباك قصة كهذه؟ من الواضح تمامًا أنهم أولئك السامعون الذين يتمثلون في فعلة الكرم الذين عملوا طوال اليوم، خاصة وأن خاتمة المثل تركز عليهم وحدهم.

هكذا كان الأمر أيضًا في مثل الابن الضال. فالله منعم، أما البار فعليه ألا يحسد المستفيدين من كرم الله. والذي حدث في القرينة الراهنة التي أوردها البشير متى هو أن القصد ذاته قد تم توجيهه إلى مستمعين جدد. ففي قرينة التلمذة، عدَّ هذا المثل تأكيدًا على كرم الله، بالرغم من اعتراضات الآخرين أو حقدهم.

وهنا يمكننا رؤية نفس هذا الأمر وقد حدث في مَثل الخروف الضال (مت ١٨: ١٢-١٤). ففي إنجيل لوقا، عمل هذا المثل إلى جانب مثل الدرهم المفقود ومثل الابن الضال كرسالة موجهة إلى الفريسيين. كان واضحًا أن الخروف الضال هو الخاطئ الذي يؤدي إيجاده إلى فرح في السماء. مرة أخرى، وكرسالة للفريسيين، كان يبرر الرب يسوع بهذا المثل قبوله للمنبوذين؛ أما للمنبوذين أنفسهم، فقد كان يؤكد لهم بأنهم غاية الراعي المحب من بحثه.

نجد هذا المثل أيضًا في إنجيل متى لكن كجزء من مجموعة أقوال تدور حول العلاقات في إطار الملكوت. ونجد القصد نفسه في هذه القرينة الجديدة: اهتمام الله بالضالين. ولكن الضالين هنا كانوا تلك الخراف التي ضلت عن القطيع. في إنجيل متى، كان الرب يسوع يتحدث من خلال المثل عما ينبغي فعله لأولئك الأصاغر ذوي الإيمان الضعيف والميالين إلى الضلال. وفي الأعداد من ٦-٩ في إنجيل متى نرى يسوع وهو يخاطب جماعته ويحذرهم من خطورة التسبب في ضلال أحد أولئك الأصاغر. أما في الأعداد ١٠-١٤، فهو يحكي لهم مَثل الخروف الضال بضرورة الانطلاق للبحث عن ذلك الضال وإعادته إلى الحظيرة ومعاملته بمحبة. وهنا نرى أن المثل لم يتغير والهدف بقي نفس الهدف لكن المستمعين كانوا من نوع جديد تمامًا.

أمثال الملكوت

قمنا حتى الآن بأخذ إيضاحاتنا من الأمثال التي تُظهر الخلاف ما بين الرب يسوع والفريسيين. إلا أنه يوجد مجموعة أكبر من الأمثال - وهي أمثال الملكوت- يجدر بنا التحدث عنها. صحيح أن كل الأمثال التي سبق ومررنا بها هي عن الملكوت أيضًا إذ إنها تُعبِّر عن بزوغ فجر زمن الخلاص بمجيء الرب يسوع. إلا أن الأمثال التي نحن بصددها الآن هي وبالتحديد تلك التي تبدأ بعبارة «يشبه ملكوت الله...».

أولاً: علينا أن ننتبه إلى أن عبارة يشبه ملكوت الله التمهيدية لا ينبغي أن تفسر بالارتباط مع العنصر الأول الوارد في المثل. أي أن ملكوت الله لا يشبه حبة خردل أو تاجرًا أو كنزًا مدفونًا في حقل. فالمعنى المقصود من هذه العبارة التمهيدية هو: «هكذا يكون الحال أو الأمر في ملكوت الله...». وعلى هذا الأساس فإن المَثل كله بجملته يقول لنا شيئًا عن طبيعة الملكوت، وليس فقط بعضًا منه أو أحد دلالاته أو عناصره أو تفاصيله.

ثانيًا: نجد إغراء في التعامل مع هذه الأمثال بطريقة مختلفة عن تعاملنا مع الأمثال التي سبق وبحثنا فيها، وكأنها في الحقيقة وسائل تعليم بدلاً من أن تكون قصصًا تتطلب استجابة أو رد فعل. ولكن هذا لا يعني أن نسيء استخدام الأمثال. فمن المسلم به تمامًا أن الموضوعات الموحى بها من الله في كل من إنجيل مرقس ٤ وإنجيل متى ١٣ وفي ترتيبها الحالي قد أُعطيت بقصد تعليمنا عن الملكوت، إلا أن هذه الأمثال كانت في الأصل جزءًا من المناداة الفعلية للرب يسوع بالملكوت الذي بزغ فجره بمجيئه شخصيًا. إن هذه الأمثال نفسها هي وسائل نقل للرسالة التي تتطلب الاستجابة لدعوة الرب يسوع للتلمذة.

خذ، على سبيل المثال، مَثل الزارع الذي فسره الرب يسوع (مر ٤ : ٣-٢٠؛ مت ١٣ : ٣-٢٣؛ لو ٨: ٥-١٥)، والذي اعتبره إنجيل مرقس المفتاح لفهم بقية الأمثال.

لقد فسر الرب يسوع دلالات المثل: فأنواع التربة الأربعة تشبه أربعة أنواع من الاستجابة للمناداة بملكوت الله. أما الهدف الجوهري الذي رمى إليه المثل فهو الإلحاح العاجل للوقت (مر ٤ : ٣-٢٠). لذلك، نلاحظ أن معظم هذه الأمثال قد وُجهت إلى الجموع بصفتهم يمكن أن يصيروا تلاميذ.

وبما أن هذه الأمثال هي في حقيقتها أمثال الملكوت، نراها الآن وهي تنادي بالملكوت باعتباره «جاء بالفعل - ولم يأت بعد أيضًا». لقد كان تشديدها يتركز على «ما جاء بالفعل». فقد أتى ملكوت الله وساعة الله قد حانت، لذلك تتسم اللحظة الحالية بالإلحاح الشديد. **ويتميز هذا الإلحاح في كرازة المسيح بأمرين:**

١ إن الدينونة وشيكة والكارثة على الأبواب.

٢ لكن هناك خبرًا سارًا فالخلاص متوفر للجميع. **وهنا دعونا نتأمل في مثلين آخرين سيوضحان هذين الجانبين:**

(أ) في لوقا ١٢: ١٦-٢٠ تم وضع مَثل الغني الغبي ضمن قرينة من المواقف تتعلق بالممتلكات، وكان ذلك في ضوء حضور الملكوت. إنه مَثل يسهل فهمه، وبه رجل ثري ظن أنه بسبب اجتهاده قد أمّن على حياته بأنه يستطيع الآن أن يستريح مطمئنًا. ولكن كما قال الرب يسوع في مواضع أخرى: «فإن مَنْ أراد أن يُخلِّص نفسه (أي يضمنها) يُهلكها» (مر ٨: ٣٥ وما يوازيها). وهكذا، وبحسب منطق الكتاب المقدس، فإن هذا الرجل أحمق، لأنه حاول أن يعيش حياته دون أن يضع الله في الحسبان، وهناك كارثة مفاجئة توشك أن تحل به.

لم يكن الهدف من هذا المثل هو الحديث عن المجيء المفاجيء للموت، لكن الحديث عن الطبيعة المُلحة والعاجلة للوقت. فالملكوت على الأبواب، ومن الحماقة أن يعيش الشخص حياته من أجل ممتلكاته لكي يؤمِّن نفسه، خاصة عندما تكون النهاية على الأبواب. لاحظ كيف عززت القرينة هذا الأمر، ففيها رجل يريد من أخيه أن يقاسمه الميراث، إلا أن الرب يسوع رفض التدخل في التحكيم في قضيتهما وأخبرهم بهذا المثل الذي كان الهدف منه الإيضاح بأن الرغبة في اقتناء الممتلكات لا تتناسب وإلحاح الساعة.



لم يكن الهدف من هذا المثل هو الحديث عن المجيء المفاجئ للموت، لكن الحديث عن الطبيعة المُلحة والعاجلة للوقت، فالملكوت على الأبواب.

(ب) إن الساعة المُلحة التي تتطلب عملاً وتوبة هي أيضًا ساعة الخلاص. وعليه، فإن حضور ملكوت الله هو في نفس الوقت خبر سار. ففي المثلين التوأمين بمتى ١٣: ٤٤-٤٦ (الكنز في الحقل واللؤلؤة الغالية الثمن) نجد التشديد مُنصبًا على فرحة الاكتشاف. فالملكوت قد أدرك الأول، بينما سعى الآخر نحو الملكوت. وبفرح قام كل منهما ببيع كل ما لديه من أجل الكنز واللؤلؤة. والملكوت ليس هو الكنز ولا هو اللؤلؤة، لكن الملكوت هو هبة الله. أما اكتشاف الملكوت ففرح لا ينطق به. وستلاحظ أيضًا كيف أن الدافع ذاته ظهر في الأمثال الثلاثة للأشياء المفقودة (لوقا ١٥).

إذن، هذه هي الطريقة التي نحتاج بها أن نتعلم قراءة الأمثال ودراستها. وهنا لا يفترض منا أبدًا أن نحول الأمثال إلى رموز، بل علينا الاستماع لها وكأنها نداءات تتطلب استجابة للرب يسوع وخدمته.

التفسير الحياتي للأمثال

إن مهمة التفسير الحياتي التي تطرحها الأمثال فريدة من نوعها. ولهذه المهمة علاقة بحقيقة مفادها أنه عندما قيلت الأمثال في الأصل كادت أن لا تحتاج إلى تفسير. فقد كان لها بداهتها الفورية في آذان السامعين بحيث كان جزء من تأثيرها في الكثيرين سببه قدرتهم على إدراك ما تهدف إليه. ومع ذلك، فقد جاءتنا هذه الأمثال مكتوبة، وبالتالي احتاجت إلى تفسير، نتيجة لافتقارنا لفهم دلالات الأمثال بالشكل الفوري الذي امتاز به السامعون الأصليون. ما الذي علينا فعله إذًا؟

نقترح أمرين:

- كالعادة، نحن نهتم أساسًا بالأمثال في قرائنها الكتابية الحالية، لأنها قد وُجدت لنا في هذه القرائن ومن خلال التفسير الاستنتاجي الذي وضعناه لها سابقًا، يمكننا اكتشاف معناها وغايتها بدرجة عالية من الدقة. وما نحتاج إليه إذًا هو ما عمله متى (١٨: ١٠-١٤؛ ٢٠: ١-١٦) هو ترجمة نفس الهدف الجوهري أو الغاية إلى ما يناظرها في قرينتنا المعاصرة.

وهنا نقول إنه من الجائز أن تحاول مع الأمثال القصصية بالذات رواية القصة بإعطائها دلالات معاصرة بحيث يستطيع السامعون المعاصرون الإحساس بالغضب أو بالبهجة التي اختبرها السامعون الأصليون. إن الصياغة التالية هي إعادة لمثل السامري الصالح لكننا نتخيل فيها هذا المثل وقد حدث في مجتمع معاصر وحديث في الغرب.

في صباح يوم من أيام الأحد، وقفت عائلة فقيرة وبائسة مستميتة على جانب أحد الطرق الرئيسية. فالكآبة كانت بادية على وجوههم والبؤس يوشح ملامحهم. في هذا المشهد الحزين ترى الأم وهي جالسة على حقيبة ثياب



بالية وقد تشعث شعرها واتسخت ثيابها، تنظر نظرة حزينة وهي تحمل بين ذراعيها طفلاً تفوح منه رائحة كريهة وهو يبكي بلا توقف. أما الأب ذو الذقن المسترسلة فكان يرتدي ملابس العمال ونظرات العبوس تنطلق من عينيه وهو يراقب ولديه الآخرين. كانت هناك سيارة صغيرة وقديمة جدًا بجانب العائلة، وقد تعطل محركها والناظر إلى السيارة يرثي لما عمله الزمن، إذ كانت حالتها كمَنْ أسلم الروح. لم تمض فترة طويلة حتى أتت من بعيد سيارة فاخرة كان الراعي هو مَنْ يقودها في طريقه إلى الكنيسة. وطبعًا ما إن رأى ربُّ الأسرة المسكينة السيارة تقترب منه حتى قفز من مكانه ملوحًا بيديه كمَنْ لدغته أفعى – لكن الراعي اجتاز العائلة مفتعلاً عدم رؤيتها، لأنه على ما يبدو، لم يكن راغبًا في أن يطيل انتظار أفراد رعيته المحبوبة.

وبينما كانت سيارة الراعي تعانق الأفق البعيد، لاحت في الأفق القريب سيارة أخرى فتصدى لها الأب بسخط وغضب، لكن صاحب السيارة، إذ كان رئيسًا لإحدى الجمعيات الخيرية في تلك المنطقة، لم يشأ أن يتأخر عن موعد الكنيسة وهذا أيضًا تظاهر بعدم رؤيته للعائلة المنكوبة، مثبتًا عينيه على الطريق، حتى اجتازهم مسرعًا.

أما السيارة الثالثة، فكان يقودها شخص معروف في المدينة بإلحاده وهو لم يدخل إلى كنيسة في حياته قط، لكنه لدى مروره بهذه العائلة التعيسة، أوقف سيارته على جانب الطريق ودعاهم للركوب معه. وبعد استفساره عن حاجتهم، أخذهم إلى إحدى الشقق السكنية المعروضة للإيجار وقام بدفع ما يوازي إيجار أسبوع وتغطية مصاريف الأسرة المشتملة على طعامهم وشرابهم أملاً في أن يجد الأب المسكين عملاً يرتزق به. ليس هذا فقط، بل قام أيضًا بإعطاء الأب ما يكفي للانتقال للبحث عن عمل، وأعطى الأم بعض المال لتأمين بعض احتياجات أطفالها.

هذا هو ما جرب فعله أحد المؤلفين مرة. أما الذين سمعوه فتجاوبوا برد فعل غاضب ومستنكر إذ كانوا يفهمون «المثل» للمرة الأولى. ألعلك لاحظت مدى انطباق هذه القصة على قرينة المثل الأصلية؟ لقد كان المستمعون في هذه القصة يفكرون بالراعي وبرئيس الجمعية الخيرية، قائلين: (بالطبع هذا متوقع منهم) وكانوا يتوقعون أن يكون الشخص الذي يليهما من كنيستهم. وعلى كل حال، فنحن تعودنا في جيلنا أن نتحدث عن السامري الصالح وكأن السامريين كانوا أكثر الناس احترامًا. ولكن بالنسبة للناس الصالحين الذين اعتادوا ارتياد الكنائس، فلا يوجد أمر أكثر إساءة لمشاعرهم من أن تمتدح أمامهم أعمال شخص مُلحد. وكان هذا هو بالضبط حال الناموسي في قرينة المثل الأصلية.

قد يكون هذا الأمر قاسيًا على البعض، لكننا نُصر بأنك إن حاولت عمل شيء من هذا القبيل فعليك القيام بالتفسير الاستنتاجي أولاً وبكل حذر؛ لأن تجربتنا علَّمتنا أننا وللأسف نبالغ في مدح أنفسنا، مما يجعلنا عازفين عن سماع أية إعادة أو صياغة جديدة لأمثال الرب يسوع، إذ قد تتناول قصورنا في أن نغفر لبعضنا (مت ١٨: ٢٣-٣٥)، أو غضبنا على النعمة عندما نريد أن يكون الله عادلاً (مت ٢٠: ١-١٦)، أو كبرياءنا بسبب معرفتنا لمراكزنا في المسيح مقارنة مع الأشرار (لو ١٨: ٩-١٤). أذكر مرة كيف أننا لم ندر هل نضحك أم نبكي بعد سماعنا لمدرس في مدرسة الأحد كان قد أمضى ساعة في شرح رائع لهذا المثل (لو ١٨) تناول فيه تجاوزات الفريسيين. وبعد أن انتهى من شرحه، اختتم الدرس بصلاة ملؤها الصدق قائلاً فيها: أشكرك يارب أننا لسنا مثل ذلك الفريسي. وكان علينا بعد ذلك أن نذكر بعضنا بعضًا بعدم الإسراف في الضحك لئلا نبدو وكأننا نقول: نشكرك يارب لأننا لسنا مثل مدرس مدارس الأحد ذاك.

- إن اقتراحنا الآخر للتفسير الحياتي متعلق بحقيقة أن كل أمثال المسيح هي من جهة خاصة وسائل للمناداة بالملكوت؛ لذلك نرى أنه لزامًا عليك الخوض في معنى الملكوت في خدمة السيد المسيح، وذلك بالرجوع إلى الدراسات الجيدة عن هذا الموضوع.

إن الرسالة العاجلة عن الملكوت باعتباره حاضرًا وموشكًا على الاكتمال لا تزال مطلوبة في يومنا الحاضر. فأولئك الذين يحاولون تأمين حياتهم باقتناء الممتلكات يحتاجون وبشكل مُلح إلى سماع كلمة الله عن الدينونة الوشيكة، وبالتالي يحتاج الضالون إلى سماع الأنباء السارة.

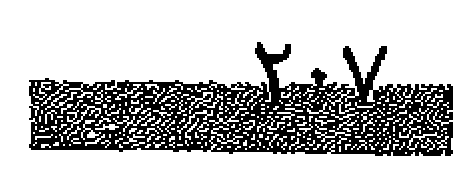
الناموس (الشرائع)
شروط العهد لبني إسرائيل

الفصل التاسع

الناموس (الشرائع)
شروط العهد لبني إسرائيل

- المسيحيون وشريعة العهد القديم.
- دور الناموس قديمًا وفي الكتاب المقدس.
- ناموس العهد القديم والقوانين الأخرى القديمة.
- فائدة ناموس العهد القديم لبني إسرائيل.
- موجز بما ينبغي عمله وما لا ينبغي عمله.

يحتوي العهد القديم على أكثر من ستمائة وصية، كان منتظرًا من بني إسرائيل اتباعها كبرهان على ولائهم لله. ومن بين أسفار العهد القديم التسع والثلاثين، هناك أربعة أسفار فقط تحتوي على هذه الشرائع: الخروج واللاويين والعدد، والتثنية. وعلى الرغم من احتواء هذه الأسفار على موضوعات أخرى إلى



جانب قوائم الوصايا، إلا أنه ما يزال يُشار إليها بأسفار الشريعة. فسفر التكوين مثلاً، مع عدم احتوائه على أية وصية قد يُعد جزءًا من النظام التشريعي لبني إسرائيل كما يعتبر تقليديًا أحد كتب الشريعة. وهكذا، يمكننا مباشرة رؤية عدم وجود تطابق دقيق بين ما نسميه «شرائع» وما يسمى في العهد القديم «أسفار الشريعة».

إن ما يزيد الأمر تعقيدًا بالنسبة لمعظم المسيحيين هو الإشارة، من وقت إلى آخر، للأسفار الخمسة الأولى (من التكوين إلى التثنية) وكأنها «سفر واحد». فعلى سبيل المثال، قام يشوع بعد موت موسى بحث الشعب على البقاء مُخلصين للرب إلههم، وقال لهم، «لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك، بل تلهج فيه نهارًا وليلاً لكي تتحفظ للعمل حسب كل ما هو مكتوب فيه» (يشوع ١ : ٨). علاوة على ذلك، فقد أشير في العهد الجديد في بعض الأحيان إلى «الشريعة» بطريقة توضح بأن المقصود بها هو العهد القديم بكامله، على اعتبار أن معظم أسفار العهد القديم هي إيضاح وتطبيق للشريعة الموجودة في الأسفار الخمسة الأولى (انظر مت ٥ : ١٧-١٨؛ لو ١٦ : ١٧؛ تي ٣ : ٩).

ففي معظم الأحيان التي تحدَّث فيها الكتاب المقدس عن «الشريعة» كان قد قصد بها جملة الوصايا التي تبدأ في خروج ٢٠ وتنتهي بنهاية سفر التثنية. وإذا ما ألقيت نظرة خاطفة تتصفح من خلالها هذا الجزء من الكتاب المقدس، فستلاحظ على الفور أن موضوعاته ليست جميعها من فئة الوصايا. إلا أن معظم محتويات خروج ٢٠ إلى تثنية ٣٣ لها صيغة قانونية، ولذلك نسميها «ناموس أو شرائع العهد القديم».

إن أكثر المشـ ـن صعوبة لدى معظم المسيحيين، يجدونها عند دراستهم لهذه الوصايا، إذ يتساءلون دائمًا عن كيفية عمل تفسير حياتي. والسؤال المطروح هو كيف يمكننا تطبيق هذه البنود التشريعية على حياتنا الآن؟ أو هل فعلاً يمكن أن

تنطبق علينا؟ ولأهمية هذا الموضوع، سنبدأ هذا الفصل ببعض الملاحظات حول المسيحيين والناموس (الشرائع)، والتي ستساعدنا في بحثنا الاستنتاجي.

المسيحيون وشريعة العهد القديم

إن كنت مسيحيًا، فهل ينتظر منك أن تطيع شريعة العهد القديم؟ وإن كان عليك طاعتها واتباعها، فكيف سيتسنى لك ذلك، خاصة وأنه لم يعد هناك أي هيكل أو مكان مقدس مركزي تستطيع أن تقدم على مذبحه تقدمات كالذبائح الحيوانية، (لا ١-٥)؟ لكن إن لم يكن مطلوبًا منك أن تتبع شريعة العهد القديم، فلماذا إذًا يقول الرب، «فإني الحق أقول لكم، إلى أن تزول السماء والأرض، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل» (مت ٥: ١٨)؟ إن هذا السؤال يتطلب جوابًا، والجواب يتطلب منا النظر إلى الطريقة التي مازال يمثل بها العهد القديم مسئولية موضوعة للمسيحيين (ونعني بذلك الطرق التي مازلنا ملزمين أن نطيع بها أيًا من أو جميع الوصايا الواردة ما بين خروج ٢٠ وتثنية ٣٣).

وهنا نقترح عليك ستة إرشادات أولية لفهم العلاقة ما بين المؤمن وشريعة العهد القديم. وستتطلب هذه الإرشادات شرحًا، سنقدم بعضه الآن، وسنترك ما تبقى منه إلى جزء لاحق من هذا الفصل. إن المقصود من هذه الإرشادات هو مساعدتك على توجيه نفسك باتجاه تقدير الشريعة تقديرًا سليمًا.

العهد هو عقد ملزم بين فريقين بحيث يقوم كل فريق بالتزاماته المبينة فيه.

١ إن ناموس العهد القديم هو عهد، والعهد عقد ملزم بين فريقين بحيث يقوم كل فريق بالتزاماته المبينة فيه. وفي أزمنة العهد القديم، كانت عهود كثيرة قد

اتسمت بطابع السيادة. وكان يتكرم بهذا النوع من العهود سيد قوي على شخص أضعف، قد يكون خادمًا أو تابعًا له. كانت هذه العهود تضمن مصالح التابع وحمايته. ولكنها، في المقابل، تُلزم التابع بالولاء للسيد وحده، مع تحذير للتابع بأن أي انحراف عن الولاء للسيد سيجلب عقابًا وخيمًا يحدده العهد. لكن كيف كان على التابع أن يُظهر الولاء؟ كان عليه إظهار ولائه للسيد من خلال حفظه للشروط (مبادئ السلوك) المبينة في العهد. فطالما أن التابع قد التزم بالشروط، كان هذا كافيًا للسيد ليعرف ولاء خادمه له. ولكن إذا ما انتهك التابع هذه الشروط، فعادة ما يلتزم السيد عندها وبحسب العهد، أن يتخذ إجراءات وعقوبات ضد الخادم.

وهنا نقول: بأن الله وعلى غرار تلك المعاهدات القديمة، سَن شريعة العهد القديم، وبالتالي فقد قام عهد بين يهوه (الرب) وتابعه (إسرائيل). كان على بني إسرائيل في مقابل الحصول على الحقوق والحماية، حفظ ما يزيد عن ستمائة شرط (وصية) مبينة جميعها في شريعة العهد الواردة في خروج ٢٠ إلى تثنية ٣٣.

٢ يعني أن الله كان يتوقع من شعبه دائمًا الالتزام والولاء له، ونحن أيضًا مطالبون بإظهار ولائنا لله بدلائل مختلفة بعض الاختلاف للبرهنة على طاعتنا وذلك بالمقارنة مع ما كان متوقعًا من إسرائيليي العهد القديم. (مت ٥: ٢١-٤٨). أما الولاء فهو بحد ذاته مازال مطلبًا وما تم تغييره فقط وبطرق وأساليب معينة هو كيفية إظهار التابع لهذا الولاء.

٣ من الواضح أنه لم يتم تجديد بعض شروط العهد القديم في العهد الجديد. كما أن عمل تغطية كاملة لفئات شرائع العهد القديم قد يتطلب كتابًا يخصص لذلك. لكن يظل أمر تصنيف شرائع «الأسفار الخمسة الأولى» في فئتين رئيسيتين ممكنًا.

(أ) شرائع بني إسرائيل المدنية.

(ب) شرائع بني إسرائيل الطقسية.

الشرائع المدنية: هي تلك التي تحدد عقوبات للجرائم المختلفة (الكبيرة منها والصغيرة)، والتي يمكن بناء عليها إلقاء القبض على أحد أفراد بني إسرائيل ومحاكمته. كانت هذه الشرائع تنطبق على مواطني بني إسرائيل القدامى فقط، لكن ليس فينا اليوم مَنْ هو على قيد الحياة من أحد أولئك المواطنين.

الشرائع الطقسية: فهي تؤلف أكبر مجموعة منفردة من شرائع العهد القديم، كما نجدها في معظم سفر اللاويين وفي أجزاء كثيرة من أسفار الخروج والعدد والتثنية. هذه الشرائع أوضحت لبني إسرائيل كيفية القيام بممارسة العبادة، مفصلة كل شيء، سواء أسلوب العبادة أو مسئوليات الكهنة، أو حتى أنواع الحيوانات التي ينبغي تقديمها كذبائح، وكيفية القيام بذلك. لقد كان تقديم الذبائح (الذبح الطقسي لها وطبخها وأكلها) أمرًا جوهريًا لطريقة العهد القديم في عبادة الله. «وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة» (عب ٩: ٢٢). لكن! عندما قدَّم الرب يسوع نفسه ذبيحة واحدة وإلى الأبد، انتهى على الفور زمن سريان أسلوب العهد القديم هذا. فهو لم يعد ذا شأن في العبادة المسيحية، مع أن العبادة في العهد الجديد كانت لا تزال باقية.

هناك تطبيقات حديثة كثيرة يمكن أن نجدها لهذا النوع من التغيير في الشروط بين عهد وآخر. فعلى سبيل المثال، في عقود العمل قد يحدد عقد جديد تغييرات كانت قد طرأت في ظروف العمل، أو في نظام الموظفين، كما في جدول الأجور... إلخ. ومع ذلك فقد يُبقى العهد الجديد على معالم محددة للعقد القديم مثل الأقدمية، وفترات الراحة والاحتياطات ضد الفصل

التعسفي... إلخ. طبعًا إنه من الاستحالة بمكان المقارنة بين عقد عمل عادي ومعاهدة الله لبني إسرائيل، لكن ولأن العقد هو نوع من المعاهدة فهذا سيساعد وبطريقة مألوفة على إعطاء توضيح لحقيقة أنه يمكن لعهد جديد أن يكون مختلفًا عن عهد قديم، على ألا يكون هذا الاختلاف بالضرورة اختلافًا كليًا. وهذا ما حدث بالضبط مع العهدين الكتابيين.

وهنا قد تسأل السؤال التالي: ألم يقل الرب يسوع إننا مازلنا تحت الناموس، وإن نقطة واحدة منه لا تزول؟

وجوابنا لك هو: كلا لم يقل الرب يسوع هذا. لكن ما قاله الرب يسوع هو أنه ليس بإمكاننا تغيير الناموس (انظر لو ١٦: ١٦-١٧). إذ كان في ذلك الوقت يبشر بملكوت الله ويشجع كل واحد على أن يغتصب نفسه إليه. أو بمعنى آخر شدد الرب يسوع على ضرورة دخول الناس إلى ملكوت الله بسرعة، وإلا فسيظلون ملزمين بحفظ الناموس القديم الذي كان أمر تعديله مستحيلاً. فهو قد أعطي ناموسًا جديدًا، ولم ينقض القديم، بل لقد أتمه أو أكمله. وبإمكان الناموس الجديد هذا أو العهد الجديد أن يمنح الداخلين فيه برًا يفوق بر الكتبة والفريسيين الذين حفظوا العهد القديم بصرامة. لقد تمم الرب يسوع كل العهد القديم وأعطى عهدًا جديدًا، وهو عهد المحبة.

٤ لقد تم أيضًا تجديد جزء من العهد القديم في العهد الجديد: وأي جزء نعني؟ الجواب هو أن الناموس الأدبي للعهد القديم قد تم تجديده بالفعل في العهد الجديد بحيث أصبح من اللازم على المسيحيين تطبيقه. فمن الواضح أن الله قصد أن تكون جوانب العهد القديم هذه سارية المفعول على كل شعبه من خلال العهد الجديد الذي كان مزمعًا أن يقيمه معهم.

وفي الواقع فإن الشرائع المنتمية إلى النوعية التي تم تجديدها عادة ما تستمد

استمرارية تطبيقها من حقيقة أنها تعمل لتعزيز الوصيتين الأساسيتين للعهد الجديد، واللتين يعتمد عليهما كل من الناموس والأنبياء (مت٢٢: ٤٠): «تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك» (تث ٦: ٥) و«تحب قريبك كنفسك» (لا ١٩: ١٨).

إن الناموس الأدبي للعهد القديم قد تم تجديده بالفعل في العهد الجديد بحيث أصبح من اللازم على المسيحيين تطبيقه.

وهنا نجد أن الرب يسوع قد أوجزلنا إذًا مقتطفات من بعض وصايا العهد القديم، معطيًا إياها تطبيقًا جديدًا (اقرأ مت ٥: ٢١-٤٨)، ومعيدًا تحديد معانيها لتشمل ما هو أكثر وأكبر من نطاقها الأصلي. وعلى هذا الأساس فإن ما تم تجديده هو جوانب من شرائع العهد القديم وليس الناموس نفسه.

إن ما يمكن اعتباره جزءًا من العهد الجديد أو ناموس المسيح (غل ٦: ٢) هو ما تم تجديده وبكل صراحة من شريعة العهد القديم، وما يمكن أن تشمله هذه الفئة التي تم تجديدها هو الشريعة الأدبية مثل الوصايا العشر، لأنه عادة ما كان يتكرر اقتباسها بطرق مختلفة في العهد الجديد باعتبارها لا تزال ملزمة للمسيحيين (انظر مت ٥: ٢١-٣٧؛ يو ٧: ٢٣)، وكذلك الوصيتان العظميان من تثنية ٦: ٥ ولاويين ١٩: ١٨.

دور الناموس قديمًا وفي الكتاب المقدس

لقد قام الناموس بدوره في تاريخ الخلاص ليؤدبنا إلى المسيح كما قال بولس الرسول في غلاطية ٣: ٢٤، وذلك بإظهار مدى سمو مقاييس الله للبر، ومدى استحالة أن يوفي أحد هذه المقاييس دون معونة إلهية.

وهذه أيضًا هي الطريقة عينها التي عمل بها الناموس في بني إسرائيل قديمًا. إن الناموس بحد ذاته لم يُخلّص بني إسرائيل - لأن هذا لم يكن ليتوافق مع الفكرة العامة للأسفار الخمسة الأولى (الناموس) وكتب الأنبياء. فالله هو مَنْ خلّص إسرائيل. وهو وحده الذي دبر وسيلة إنقاذهم من العبودية في مصر، ودخولهم أرض كنعان وتنعمهم بالرخاء كمواطنين في أرض الموعد. أما الناموس فلم يفعل لهم شيئًا من هذا. لقد وضح الناموس فقط وببساطة شروط تعهد إسرائيل بالولاء لله.

الناموس القاطع

تأمل في المقطع التالي:

«وَعِنْدَمَا تَحْصُدُونَ حَصِيدَ أَرْضِكُمْ لاَ تُكَمِلْ زَوَايَا حَقْلِكَ فِي الْحَصَادِ. وَلُقَاطَ حَصِيدِكَ لاَ تَلْتَقِطْ. وَكَرْمَكَ لاَ تُعَلِّلْهُ، وَنِثَارَ كَرْمِكَ لاَ تَلْتَقِطْ. لِلْمِسْكِينِ وَالْغَرِيبِ تَتْرُكُهُ. أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ. «لاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَكْذِبُوا، وَلاَ تَغْدُرُوا أَحَدُكُمْ بِصَاحِبِهِ. وَلاَ تَحْلِفُوا بِاسْمِي لِلْكَذِبِ، فَتُدَنسَ اسْمَ إِلهِكَ. أَنَا الرَّبُّ. «لاَ تَغْصِبْ قَرِيبَكَ وَلاَ تَسْلُبْ، وَلاَ تَبِتْ أُجْرَةُ أَجِيرٍ عِنْدَكَ إِلَى الْغَدِ. لاَ تَشْتِمِ الأَصَمَّ، وَقُدَّامَ الأَعْمَى لاَ تَجْعَلْ مَعْثَرَةً، بَلِ اخْشَ إِلهَكَ. أَنَا الرَّبُّ.»

(لا ١٩: ٩-١٤)

نحن عادة ما نسمي مثل هذه الوصايا التي تبدأ بأمر أو بنهي، بالشرائع القاطعة. فهي أوامر مباشرة، قابلة للتطبيق بشكل عام، تبين لبني إسرائيل أنواع

الأمور الواجب عليهم القيام بها لأداء دورهم في العهد مع الله. لكن من الواضح تمامًا أن مثل هذه الشرائع ليست شاملة. فعلى سبيل المثال، انظر إلى قوانين الالتقاط في الحصاد (العددان ٩، ١٠). ولاحظ أن ما يتم ذكره هو نتاج الحقل فقط (كالقمح والشعير... إلخ)، والكروم. وهنا نسأل: هل يعني هذا أنك إن قمت بتربية الماشية أو بجمع ثمار التين والزيتون، فلست ملزمًا بمشاركة المسكين أو الغريب فيها؟ وهل يتحمل آخرون عبء تطبيق نظام الخدمة الاجتماعية المأمور به من الله في العهد القديم بينما تنفصل أنت عن أداء دورك دون أية خسارة؟ بالطبع لا. فالشرائع هنا تعطي معيارًا أو مقياسًا لما يجب أن تقوم به عن طريق مثال، وليس بذكر كل ظرف محتمل.

أيضًا، تأمل في العددين ١٣، ١٤ إن الهدف من هذه الشرائع هو منع حجز أجور العمال الذين يتقاضون أجرهم يوميًا، ومنع إساءة معاملة المعوقين. وهنا قد تسأل ماذا سيحدث لو قمت بحجز أجرة عامل طيلة الليل ثم أعطيتها له قبل الفجر مباشرة؟ ونحن نقول إنه من المحتمل أن يكون الكتبة والفريسيون أيام الرب يسوع قد برروا مثل هذا الفعل بدليل أن الشريعة قالت «إلى الغد». لكن وللأسف إن مثل هذه الناموسية الضيقة والأنانية هي في الحقيقة تحريف للناموس. فقد قُصد من كلمات الناموس أن تكون مرشدًا يستند عليه مَنْ يريد تطبيق الناموس وأن تكون ذات تطبيق عام وليس وصفًا تفصيليًا لكل ما يمكن أن نتخيل حدوثه. خذ مثالاً آخر: إن قمت بإيذاء رجل أخرس أو مشلول أو متخلف عقليًا، فهل ستظل حافظًا للناموس؟ طبعًا لا. فالأصم والأعمى هما مجرد مثلين تم انتقاؤهما تمثيلاً لكل الناس الذين يتطلب ضعفهم الجسدي أن يعاملوا باحترام لا باحتقار.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الشرائع، مع كونها محدودة في عباراتها، إلا أنها في الحقيقة شاملة جدًا في روحها. فمثلاً عند قراءتنا لناموس العهد القديم، عليه أن يقودنا للتواضع إذ أننا ندرك من خلال قراءتنا له مدى عدم استحقاقنا

لأن نكون من خاصة الله، الأمر الذي يجب أن يدفعنا إلى تقديم الحمد والشكر لله لأنه دبر لنا طريقًا آخر نستطيع به أن نصير مقبولين في عينيه.

ناموس المواقف الخاصة

للناموس القاطع نظير شبيه أو من نوع آخر، وهو ناموس المواقف الخاصة (التعامل مع كل حالة على حدة). تأمل الفقرة التالية من تثنية ١٥: ١٢-١٧

«إذا بيعَ لكَ أخوكَ العِبرانيُّ أو أُختُكَ العِبرانيَّةُ وخَدَمَكَ سِتَّ سِنينَ، ففي السَّنَةِ السّابِعَةِ تُطلِقُهُ حُرًّا مِنْ عِندِكَ. وحينَ تُطلِقُهُ حُرًّا مِنْ عِندِكَ لا تُطلِقُهُ فارِغًا. تُزَوِّدُهُ مِنْ غَنَمِكَ ومِنْ بَيدَرِكَ ومِنْ مَعصَرَتِكَ. كما بارَكَكَ الرَّبُّ إلهُكَ تُعطيهِ. واذكُرْ أنَّكَ كُنتَ عَبدًا في أرضِ مِصرَ، ففَداكَ الرَّبُّ إلهُكَ. لذلكَ أنا أوصيكَ بهذا الأمرِ اليومَ. ولكن إذا قالَ لكَ: لا أخرُجُ مِنْ عِندِكَ. لأنَّهُ قد أحَبَّكَ وبَيتَكَ، إذ كانَ لهُ خَيرٌ عِندَكَ، فخُذِ المِخرَزَ واجعَلهُ في أُذُنِهِ وفي البابِ، فيكونَ لكَ عَبدًا مؤَبَّدًا. وهكذا تفعَلُ لأمَتِكَ أيضًا».

إن العناصر الموجودة في شريعة كهذه مشروطة. ويمكن تطبيق هذه الشريعة فقط في حالة إذا:

- كنت أنت يهوديًا، وعندك عبد واحد على الأقل.
- كنت أنت يهوديًا، وعندك عبد يرغب أو لا يرغب في الاستمرار عندك كعبد عن اختيار بعد أن تكون مدة العبودية القسرية قد انقضت.

أما إن لم تكن يهوديًا، ولا عبيد عندك، فهذه الشريعة لا تُطبق عليك. وإن

كنت أنت عبدًا، فالشريعة كونها موجهة إلى سيدك، تنطبق عليك فقط بشكل «غير مباشر» وذلك من حيث حمايتها لحقوقك. إلا أن هذه الشريعة خاصة جدًا وهي لا تعني كل الناس بل هي مشروطة – أي مؤسسة على شرط محتمل يمكن تطبيقه على إنسان ما في وقت ما أو لا يمكن.

تؤلف هذه الشرائع التي تتعامل مع المواقف الخاصة، (أي المرتبطة كل منها بحالة معينة)، جزءًا كبيرًا من جملة الوصايا التي تزيد على الستمائة، والموجودة في شريعة أسفار موسى الخمسة. ولأن مثل هذه الوصايا تتعلق فقط بحياة بني إسرائيل المدنية والدينية والأخلاقية، فهي بطبيعتها محدودة من حيث إمكان التطبيق. على هذا الأساس يثور السؤال عن المبادئ الحياتية التي يمكن أن يتعلمها المسيحي من شرائع المواقف الخاصة.

فمن خلال تثنية ١٥: ١٢-١٧ يمكننا ملاحظة عدة أمور:

أولاً: مع كوننا لا نمتلك عبيدًا، إلا أنه يمكننا رؤية أن تدبير الله للعبودية في العهد القديم، لم يكن تدبيرًا قاسيًا. ومع أنه ليس في يدنا تبرير نوع العبودية الذي كان يُمارَس عبر تاريخ العالم، إلا أننا يمكننا القول إن إعطاء الحرية للعبيد بعد ست سنين فقط من الخدمة قد وضع حدًا كبيرًا لممارسة الاستعباد لكي لا تحدث أية إساءة استخدام لهذه الممارسة فوق حدودها المقبولة.

ثانيًا: يمكننا أن نتعلم أيضًا أن الله يحب العبيد. فنحن نرى محبته هذه من خلال الضمانات الصارمة لهم والتي صارت جزءًا من الشريعة، كما في العددين ١٤، ١٥ أيضًا اللذين طالبا بإبداء الكرم نحو العبيد، حيث إن الله نفسه نظر إلى بني إسرائيل كجماعة من العبيد السابقين.

ثالثًا: نتعلم أيضًا أنه يمكن معاملة العبيد بطريقة حميدة مما قد يجعل حال بعض العبيد في عبوديتهم أفضل من حالهم وهم أحرار. أي أن السيد صاحب

العبيد، بقيامه بدوره في توفير الطعام والملبس والمسكن لعبيده، هو في حالات كثيرة قد ساعد في بقائهم أحياء وعلى ما يرام. لكن فيما لو تُركوا بمفردهم فقد يموتون من الجوع، أو يتعرضون لأخطار كثيرة، والتي عادة ما كانت تهدد حياتهم آنذاك بسبب قسوة الظروف الاقتصادية التي كانت سائدة في أرض فلسطين.

رابعًا: لم يكن سيد العبيد يمتلكهم بالمعنى الحقيقي المطلق. لكنه قد امتلكهم وفق مجموعة شروط واضحة أو ضمنية واردة في عدد من القوانين المتعلقة بالرق. إذ لم يكن السيد ليمتلك النفوذ المطلق على العبد بموجب الناموس. والله بحسب الناموس هو مالك الاثنين، السيد والعبد. فلقد افتدى الله كل العبرانيين، كما يقول العدد ١٥ وصاروا جميعهم ملكًا له، عبيدًا كانوا أم أحرارًا.

هذه الملاحظات الأربع هي ملاحظات هامة وبمثابة درس قيم لنا. وما يهمنا منها هو مقدار ما يمكننا أن نتعلمه من هذه الشريعة عن الله، وعن مطالبته بالعدل، وعن مُثُله المقدمة لمجتمع بني إسرائيل، وعن علاقته مع شعبه، وخاصة ما يتعلق منها بمعنى الفداء. إذًا تزودنا هذه الشريعة بما يلي:

١ تعطينا جزءًا هامًا من خلفية تعليم العهد الجديد عن الفداء.

٢ وتقدم لنا صورة أوضح عن كيفية اختلاف مفهوم العهد القديم للعبودية عما اعتدنا أن نفهمه من معنى مصطلح العبودية.

٣ تساعدنا على إلقاء نظرة على محبة الله التي لم نكن لندركها بطريقة أخرى. وبكلمات أخرى يمكننا القول بأن هذا الفصل من الشريعة ما يزال بالنسبة لنا هو كلمة الله الثمينة.

ناموس العهد القديم
والقوانين الأخرى القديمة

لم يكن بنو إسرائيل أول مَنْ عاش وفقًا للشرائع. فلقد ظلت أنظمة قوانين أخرى سارية مع أنها كانت تعود لأمم عاشت قبل زمن إعطاء الناموس لبني إسرائيل بموسى (١٤٤٠ ق. م تقريبًا أو بعد ذلك، اعتمادًا على تاريخ خروج بني إسرائيل من مصر). ولدى مقارنة تلك الشرائع بشريعة العهد القديم، نجد أن هذه الأخيرة قد حققت تقدمًا على سابقاتها. وإذا ما استطعت إدراك الفروق بين ناموس العهد القديم وتلك الشرائع القديمة، لابد لك من أن يزداد تقديرك لناموس العهد القديم. هذا لا يعني قولنا بأن ناموس العهد القديم يُشكِّل أعلى مستوى ممكن من التعليم الأدبي والأخلاقي؛ لأن هذا المستوى الأكثر سموًا لم يتحقق إلا في تعاليم المسيح نفسه في العهد الجديد. غير أن ناموس العهد القديم يفوق ما قد سبقه من معايير بمقدار ملحوظ.

تأمل، على سبيل المثال، في المجموعتين التاليتين من القوانين: **المجموعة الأولى** هي من شرائع إشنونة، وهي شرائع أكادية تعود إلى حوالي ١٨٠٠ ق.م.

> «إذا قام شخص حر بشتم أَمَة رجل حر آخر، دون أن يكون للأول دعوى ضد الثاني وقام باحتجازها ببيته مما سبب لها الوفاة، فعليه أن يعوض للشخص الآخر صاحب العبدة المتوفاة عنها وذلك بإعطائه عبدتين. أما إذا قام وبدون مبرر قانوني بسب زوجة أو ابن شخص يفوقه في المكانة الاجتماعية فهذه جريمة قصوى عقوبتها موت الشخص المعتدي».

أما **المجموعة الثانية** فهي من الشريعة الشهيرة لحمورابي، الملك البابلي الذي سن شريعة الأرض عام ١٧٢٦ ق. م.

> «إذا قام سيد نبيل بضرب ابنة أحد النبلاء الآخرين مما تسبب في إجهاضها فعليه أن يدفع عشرة شواقل فضة بدلاً من جنينها. أما إن ماتت الأم، فينبغي قتل ابنة المعتدي. وإذا قام من خلال ضربة عنيفة بالتسبب في إجهاض إحدى بنات أحد عامة القوم فعليه أن يدفع خمسة شواقل فضة. لكن إذا تسببت ضربته في قتل المرأة فعليه أن يدفع نصف «منة» من الفضة. وإذا قام بضرب إحدى إماء أحد النبلاء وتسبب في إجهاضها فيدفع شاقلين من الفضة. وإذا ماتت الأَمة جراء الضربة فعليه التعويض بدفع ثلث منة من الفضة».

هناك عدة نقاط تستحق الالتفات إليها في تلك الشرائع، لكننا نود لفت النظر إلى واحدة منها بالتحديد وهي الفروق الاجتماعية. لاحظ كيف فرضت الشرائع الغرامة فقط عقابًا للذين يتسببون في موت عبد أو أحد أبناء عامة الناس في الوقت الذي تنفذ فيه عقوبة الموت على مَنْ يتسبب في موت أحد أفراد النبلاء. لاحظ أيضًا الحصانة ضد العقاب والتي كان يتمتع بها الذكور من النبلاء شريطة أن يكون أذاهم قد وقع على امرأة. أيضًا وفي شريعة حمورابي، لا يتضرر الرجل النبيل من جراء تسببه في موت إحدى بنات النبلاء. لكن عقاب الموت، بدلاً من ذلك ينزل على ابنة النبيل المعتدي. أما في مجموعة الشرائع الأولى (إشنونة) فإن عقوبة التسبب في موت أحد العبيد تعوَّض بمنح المعتدي عبدين للمعتدى على حقوقه، أما القاتل فيبقى طليقًا.

نستنتج من تلك الشرائع أن النساء والعبيد كانوا يعاملون كالممتلكات، والأذى الذي يلحق بهم كان يعوَّض عنه بالطريقة نفسها التي تنص عليها القوانين الأخرى بهذه الأنظمة والتي تختص بعقوبة إيذاء الحيوانات أو الممتلكات المادية.

وهنا يمكننا القول بأن ناموس العهد القديم يمكن أن يُعد بمثابة قفزة ضخمة إلى الأمام بالتباين مع الشرائع الآنفة الذكر. فإن تحريم القتل لا يتحدد أبدًا بناء على الجنس أو الوضع الاجتماعي: «لا تقتل» (خر ٢٠: ١٣). «مَنْ ضرب إنسانًا فمات، يُقتل قتلاً» (خر ٢١: ١٢). كما أن ناموس العهد القديم قد أحرز أيضًا تقدمًا على الشرائع القديمة فيما يختص بالتعويض عن إصابة العبيد بأذى: «وإن أسقط (أحد) سن عبده أو سن أمته يُطلقه حرًا عوضًا عن سنه» (خر ٢١: ٢٧). لقد كان للعبيد في ظل ناموس العهد القديم وضع أفضل مما كان لهم في ظل الشرائع المبكرة. «إذا لجأ إليكم عبد هارب من مولاه، لا تسلموه إلى مولاه، بل يقيم حيث يطيب له في الموضع الذي يختاره في إحدى مدنكم، ولا تظلموه» (تث ٢٣: ١٥-١٦ ترجمة كتاب الحياة)، وبالتباين مع قوانين شريعة حمورابي التي سمحت للرجل النبيل بأن يدفع ابنته إلى الموت عوضًا عن موت تسبب هو فيه، فناموس العهد القديم يعلن الآتي صراحة: «لا يُقتل الآباء (عوضًا) عن الأولاد، ولا يُقتل الأولاد (عوضًا) عن الآباء. كل إنسان بخطيته يُقتل» (تث ٢٤: ١٦).

فائدة ناموس العهد القديم لبني إسرائيل

للأسف لم تكن محاولة أي إنسان لنيل الخلاص والقبول الإلهي بواسطة الناموس فقط محاولة ناجحة بل لقد كان الفشل حليفها، فكسر إحدى شرائع الناموس على الأقل ولو لمرة واحدة خلال فترة حياة الفرد (رو ٢: ١٧-٢٧؛ ٣: ٢٠)، وانتهاك واحد لشريعة من شرائع الناموس كان كافيًا لجعل الشخص «كاسرًا للناموس» (انظر يع ٢: ١٠).

ومع ذلك، فإذا ما تم فهم الأهداف الذاتية للناموس بشكل سليم، يمكننا معه رؤية فائدة الناموس لبني إسرائيل، ورؤيته كمثال رائع عن رحمة الله ونعمته

لشعبه. عليك أن تقوم بقراءة الناموس في ضوء ما شرحناه لك وذلك عند مواجهتك لأنواع الوصايا التي سنقدم فيما يلي مثالاً عنها.

الشرائع المتعلقة بسفك الدم

«وتُقَدمُ الثَّوْرَ إلَى قُدّام خَيمَةِ الاِجتِماعِ، فيَضَعُ هارونُ وبَنوهُ أيديَهُمْ علَى رأسِ الثَّوْرِ. فتَذبَحُ الثَّوْرَ أمامَ الرَّب عِندَ بابِ خَيمَةِ الاِجتِماعِ. وتأخُذُ مِنْ دَم الثَّوْرِ وتجعَلُهُ علَى قُرونِ المَذبَحِ بإصبِعِكَ، وسائرَ الدَّمِ تصُبُّهُ إلَى أسفَلِ المَذبَحِ».

(خر ٢٩: ١٠-١٢).

إن شرائع كهذه قد وضعت لبني إسرائيل معيارًا هامًا، خُلاصته أن الخطية تستوجب العقاب. وقد أعلن الله لشعبه من خلال الناموس أن مَنْ يخطىء إلى الله لا يستحق أن يعيش. ومع ذلك فقد وفر الله أيضًا إجراء ما تتم بموجبه نجاة الخاطئ من الموت، وهو وجود دم بديل للسفك. وهكذا، فقد قبل الله موت كائن حي آخر -حيوان- عوضًا عن موت الخاطىء وسط شعبه. ونظام الناموس الذبائحي هذا قام الله بإدخاله على حياة بني إسرائيل كإجراء مهم لضمان بقاء الشعب. «وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة» (عب ٩: ٢٢). والأهم من كل شيء، فقد قامت هذه الذبائح البديلة بترسيخ سابقة لعمل المسيح الكفاري البديلي. والمبدأ المعلن في عبرانيين ٩: ٢٢ هو مبدأ كتابي شامل.

إن موت المسيح يمثل إتمام مطاليب الناموس وهو الأساس لقبول الله لنا.

وهكذا قام ناموس العهد القديم برسم الخلفية الواضحة لهذا الحدث العظيم في تاريخ البشرية.

المحظورات غير المعتادة

«لا تطبخ جديًا بلبن أمه»
(تث ١٤ : ٢١)

قد يسأل أحدهم: وما الخطأ في ذلك؟ وما السبب في احتواء ناموس العهد القديم على شريعة كهذه: «لا تُنز بهائمك جنسين» أو «حقلك لا تزرع صنفين» أو «لا يكن عليك ثوب مصنف من صنفين» (لا ١٩ : ١٩)؟

الجواب هو بأن هذه النواهي وغيرها قد أعطيت بهدف منع إسرائيل من الاشتراك في الممارسات الخاصة بديانات الخصوبة التي كانت سائدة عند الكنعانيين. فالكنعانيون آمنوا بجدوى التأثير السحري في تطويع الآلهة والطبيعة، وذلك من خلال أفعال رمزية. مثلاً، كانوا يظنون أن طبخ جدي بلبن أمه سيكفل دوام الخصوبة في القطيع بشكل سحري، وأن خلط السلالات والبذار والمواد كان نوعًا من تزويجها لكي تنتج بشكل سحري أيضًا نسلاً متمثلاً في الوفرة الزراعية في المستقبل. أما الله فلا يمكنه أن يبارك ولن يبارك شعبه إن هم قاموا بمثل تلك الخرافات.

إن معرفتك للقصد الإلهي الكامن وراء تلك الشرائع والمتمثل في إبعاد بني إسرائيل عن الديانة الكنعانية حيث لا خلاص، ستساعدك على إدراك أن تلك الوصايا لم تكن اعتباطية، بل خطيرة ومهمة وذات نفع كبير.

الشرائع تجلب البركة على حافظيها

«في آخر ثلاث سنين، تُخرج كل عُشر محصولك في تلك السنة وتضعه في أبوابك، فيأتي اللاوي لأنه ليس له قسم ولا نصيب معك، والغريب واليتيم والأرملة، الذين في

أبوابك، ويأكلون ويشبعون، لكي يباركك الرب إلهك في كل عمل يدك الذي تعمل»

(تث ١٤: ٢٨، ٢٩).

كانت كل الشرائع، بطبيعة الحال، بمثابة وسيلة لنيل بني إسرائيل لبركات الله (لا ٢٦: ٣-١٣). إلا أن بعض هذه الشرائع كانت تنص وبالتحديد على أن حفظها وإطاعتها سيجلب البركة. فمثلاً شريعة العُشر الخاص بالنسبة للسنة الثالثة (تث ١٤: ٢٨-٢٩) تعزو البركة للطاعة. إذ أنه إن لم يعتن الشعب بالمحتاجين في وسطهم من اللاويين، واليتامى، والأرامل، فلن يمنح الله البركة.

إن العُشر هو ملك لله، وقد أوصى الله بكيفية استخدامه. وانتهاك مثل هذه الشريعة يعد سرقة لأموال الله. فهذه الشريعة تخدم مصالح المحتاجين (كان نظام الضمان الاجتماعي راسخًا بشكل جيد في العهد القديم)، كما أنها تخدم أيضًا مصالح الذين أحسنوا إليهم. وهذه الشريعة لم توجد لتقييد الإنسان أو كعقاب له، إنها في الحقيقة بالأولى نموذج للممارسة السليمة وبالتالي فهي نافعة لنا كما كانت أصلاً نافعة لبني إسرائيل في القديم.

موجز بما ينبغي عمله وما لا ينبغي عمله

على سبيل تركيز بعض الأمور التي تناولناها في هذا الفصل، نقدم أدناه لائحة موجزة ببعض الإرشادات التفسيرية الحياتية التي نأمل أن تُعينك، كلما قمت بقراءة الشرائع الواردة بأسفار موسى الخمسة. إنك بإبقاء هذه المبادئ ماثلة أمامك، ستجدها ذات عون في تجنيبك إساءة في فهم وتطبيق الناموس.

انظر إلى ناموس العهد القديم باعتباره كلمة الله ذات الوحي الإلهي الكامل لك.

لا تنظر إلى ناموس العهد القديم إلا في ضوء العهد الجديد.

انظر إلى ناموس العهد القديم كأساس للمعاهدة القديمة، وبالتالي لتاريخ بني إسرائيل.

لا تنظر إلى فرائض العهد القديم على أنها مُلزمة للمسيحيين في العهد الجديد.

لاحظ مدى عدالة الله ومحبته ومعاييره السامية المعلنة في ناموس العهد القديم.

لا تغفل عن إدراك أن رحمة الله تتساوى مع صرامة تلك المعايير.

انظر لناموس العهد القديم كنموذج يقدم أمثلة لمختلف أنواع السلوك المتوقعة.

لا تنظر لناموس العهد القديم باعتباره محتويًا على كل التفصيلات والاحتمالات الممكنة لكل المواقف.

تذكر بأن لُب الناموس (الوصايا العشر والشريعتين الرئيسيتين) قد تكرر في أسفار الأنبياء وأكد عليه العهد الجديد.

لا تتوقع أن قوانين أو شرائع العهد القديم تتكرر كثيرًا في أسفار الأنبياء أو في العهد الجديد.

انظر إلى ناموس العهد القديم باعتباره عطية الله لبني إسرائيل، ليعود عليهم بالبركة طالما أطاعوه.

لا تنظر إلى ناموس العهد القديم وكأنه طائفة من القوانين التعسفية، وكأن القصد منه هو الحد من حرية الشعب أو مضايقته.

الأنبياء
تطبيق العهد في إسرائيل

الفصل العاشر

الأنبياء
تطبيق العهد في إسرائيل

- طبيعة النبوة.
- وظيفة النبوة.
- مهمة التفسير الاستنتاجي.
- بعض الاقتراحات التفسيرية.
- المنظور النبوي للأحداث المتعاقبة.

إن أسفار الكتاب المقدس التي تندرج تحت هذا النوع من أنواع النصوص يزيد عددها عن أسفار أي نصوص أخرى. فهناك أربعة أنبياء كبار (إشعياء، إرميا، حزقيال، دانيال) واثنا عشر نبيًا صغيرًا (آخر اثنى عشر سفرًا بالعهد القديم)، وقد كُتبت جميعها ما بين ٧٦٠-٤٣٠ تقريبًا ق. م، وتحتوي على عدد كبير من الرسائل الإلهية. أما الأنبياء الصغار فقد تم تسميتهم كذلك لأن أسفارهم جاءت قصيرة نسبيًا بالمقارنة مع أسفار الأنبياء الكبار الطويلة. وهنا نقول بأن هاتين التسميتين لا علاقة لهما إطلاقًا بأهمية تلك الأسفار.

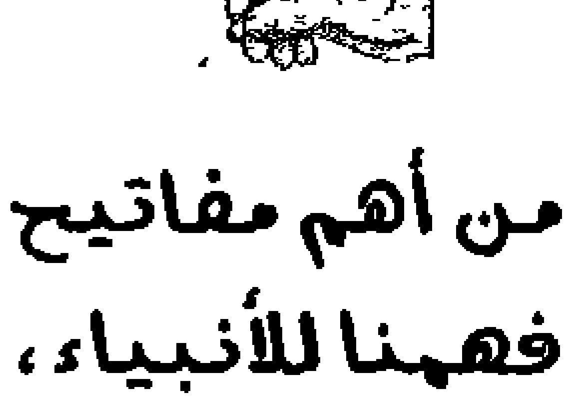


طبيعة النبوة

قبل البدء بدراسة مسألة النبوة وطبيعتها علينا التنبيه أولاً إلى أن الأسفار النبوية تُعد من أكثر أجزاء الكتاب المقدس صعوبة من حيث التفسير أو الفهم. وأسباب ذلك تعود إلى إساءة فهم وظيفة تلك الأسفار وصياغتها. وهنا يجدر بنا الانتباه إلى بعض الملاحظات الأولية قبل الخوض في بحث هاتين النقطتين.

معنى النبوة

إن أول صعوبة تواجه معظم القراء اليوم عند قراءتهم لأسفار النبوة عادة ما تنشأ من عدم الدقة في الفهم المسبق لكلمة «نبوة» إذ أن معنى هذه الكلمة عند أغلب الناس هو ما تورده معظم القواميس أولاً عند تعريف هذه الكلمة وهو (التنبؤ أو التكهن بأمور قبل حدوثها)، لذلك فالكثيرون يميلون للرجوع إلى الأنبياء فقط من أجل الحصول أو الاطلاع على النبوات التي أخبرت عن مجيء السيد المسيح أو عن سمات عصر العهد الجديد فقط – وكأن هَمَّ الأنبياء الرئيسي كان التكهن بأحداث بعيدة في زمنها عن يومهم هم.



من أهم مفاتيح فهمنا للأنبياء، هو أن نرى أن نبواتهم قد تحققت فعلاً.

لكن الحقيقة أن التعامل مع الأسفار النبوية بهذه الطريقة لهو نوع من الانتقائية الكبيرة. وحول هذا الأمر، تأمل الأرقام التالية: إن نبوات العهد القديم عن المسيا تقل عن ٢٪ من مجموع النبوات. أما النبوات التي تصف عصر العهد الجديد بشكل خاص فتقل عن ٥٪ وما يتعلق بأحداث مستقبلية فتقل نسبته عن ١٪.

لقد قام الأنبياء حقًا بإعلان المستقبل، لكنه كان مستقبلاً مباشرًا لإسرائيل، ويهوذا، وللأمم الأخرى المحيطة بهما، ولم يكن المستقبل الخاص بنا نحن. لذلك، فإن واحدًا من أهم مفاتيح فهمنا للأنبياء، هو أن نرى أن نبواتهم قد تحققت

فعلاً، بمعنى آخر علينا العودة والنظر إلى الأزمنة السابقة، التي مع كونها ماضيًا بالنسبة لنا فهي كانت مستقبلاً بالنسبة لهم.

الأنبياء كمتحدثين باسم الله

إن النظر إلى الأنبياء كمجرد متنبئين عن المستقبل يجعلنا نغفل عملهم الأساسي، الذي تمثل في التكلم إلى معاصريهم باسم الله. كما أن ما يسبب الكثير من الصعوبات لنا في فهم النبوات هو طبيعتها الكلامية أو الشفهية؛ إذ نحن نلاحظ فقط تركيز هذه الأسفار على الرسائل الإلهية المكتوبة لنا من خلال الأنبياء في الوقت الذي لا يتم فيه التركيز على سيرتهم الذاتية.



في أسفار الأنبياء نحن نسمع عن الله بواسطة الأنبياء بينما لا نسمع إلا القليل عن سير الأنبياء أنفسهم.

مثلاً، إن من بين مئات الأنبياء في إسرائيل هناك ستة عشر نبيًا فقط اختارهم الله ليتكلموا برسائل إلهية للناس تم فيما بعد جمعها وكتابتها في أسفار. بالإضافة إلى أنبياء آخرين، مثل إيليا وأليشع نعلم أنهم قد قاموا بدور فعّال في نقل كلمة الله إلى شعبه وإلى أمم أخرى غير بني إسرائيل. إلا أن ما نعرفه عن هؤلاء الأنبياء هو أكثر مما نعرفه عن نص كلامهم. فما فعلوه وُصف لنا بتفصيل أكبر جدًا مما قد قالوه، وما قالوه تم وروده بتحديد وبوضوح في قرينة عصرهم على يد كُتّاب قصص العهد القديم التي ظهر فيها هؤلاء الأنبياء. لكن وبالنسبة لأنبياء قليلين فقط مثل «جاد» (١صم ٢٢؛ ٢صم ٢٤) و«ناثان» (٢صم ٧، ١٢؛ ١مل ١)، أو «خلدة» (٢مل ٢٢: ١٤)، نجد جمعًا ما بين النبوة والسيرة الذاتية ونرى نظيرًا لهذا الأمر في حالة يونان النبي وبدرجة أقل في حالة دانيال النبي. لكن وبصورة عامة، فنحن نسمع في قصص العهد القديم عن الأنبياء ونسمع عن الله بواسطتهم، لكن ما نسمعه منهم أقل مما نسمعه عنهم وعن سيرتهم.

أما في أسفار الأنبياء فنحن نسمع عن الله بواسطة الأنبياء بينما لا نسمع إلا القليل عن سير الأنبياء أنفسهم. ولعل هذا الفرق الوحيد يفسر معظم المشكلات التي يواجهها الناس عادة عند محاولتهم فهم ما تقوله الأسفار النبوية في العهد القديم.

علاوة على ذلك فهل لاحظت قبلاً مدى صعوبة قراءة أحد الأسفار النبوية الطويلة في جلسة واحدة؟ ما السبب في رأيك؟ أولاً نحن نعتقد أن هذه الأسفار على الأرجح لم يقصد بها أن تُقرأ بتلك الطريقة. فهي في معظمها تجميع لرسائل إلهية شفهية، وهي كثيرًا ما تخلو مما يحدد لها بدايات أو نهايات. كما أننا كثيرًا ما نقرأها بدون معرفة خلفيتها التاريخية، إضافة إلى أن معظم الرسائل الإلهية الشفهية قد قيلت شعرًا، ونحن سنسهب في الحديث عن هذا الأمر لاحقًا.

مشكلة التاريخ:

إن مسألة البعد التاريخي تُعد مشكلة أخرى تزيد في تعقيد فهمنا للأسفار النبوية. فنحن -كقراء معاصرين- نجد صعوبة في فهم كلمة الله في وقتنا الحاضر، كما تكلم بها الأنبياء، أكثر بكثير مما وجده بنو إسرائيل الذين سمعوا النبوات مباشرة. فالأمور الواضحة عندهم مبهمة عندنا. لماذا؟ من ناحية، لأن للسامعين المباشرين لكلام النبي امتيازًا واضحًا على أولئك الذين يقرأون كلامه منقولاً إليهم (انظر ما قلناه عن الأمثال في الفصل الثامن). ومن ناحية أخرى فإن الصعوبات الحقيقية التي نواجهها ليست بسبب أننا لم نكن السامعين المباشرين لها فقط، ولكن لكوننا بعيدين أيضًا عن الحياة الثقافية والتاريخية والدينية لشعب إسرائيل القديم، الأمر الذي يسبب لنا صعوبة كبيرة جدًا في وضع الكلمات التي نطق بها الأنبياء ضمن قرينتها التاريخية؛ إذ كثيرًا ما يصعب علينا إدراك ما كانوا يشيرون إليه ولماذا.

وظيفة النبوة

لمحاولة فهم كلام الله لنا من خلال هذه الأسفار ذات الوحي الإلهي، يجدر بنا أولاً أن نفهم وبوضوح دور ووظيفة النبي في إسرائيل قديمًا. **و التركيز الشديد على أمور ثلاثة:**

كان الأنبياء كوسطاء تطبيق العهد: لقد قدمنا شرحًا في الفصل السابق عن أن ناموس بني إسرائيل كان قد شُكِّل كعهد بين الله وشعبه. وهو كعهد لم يحتو على مجرد قواعد ينبغي الالتزام بها، بل نص أيضًا على أنواع عقوبات كان الله ينزلها حتمًا على شعبه إن لم يحفظوا الناموس، إضافة إلى الفوائد التي كانوا يجنونها إن هم حفظوه.

وكثيرًا ما سُميت هذه العقوبات «بلعنات» العهد والفوائد «ببركاته». لكن هذه التسمية ليست بذات أهمية، فالذي يهم هو أن الله لم يقم فقط بمجرد إعطاء الناموس، لكنه كان ينفذه. لقد كان موسى النبي وسيط شريعة الله عندما أعلن الله أولاً عن هذه الشريعة. وبالتالي فهو نموذج للأنبياء باعتبارهم وسطاء الله أو المتحدثين باسمه فيما يتعلق بالعهد. فبواسطتهم يُذكِّر الله الأجيال من بعد موسى بأنه إذا ما تم حفظ الشريعة، فالبركة قادمة وإلا فالعقاب سيحل.

وأنواع البركات التي ستحل على بني إسرائيل لحفظهم العهد نجدها في سفر اللاويين ٢٦: ١-١٣، التثنية ٤: ٣٢-٤٠، ٢٨: ١-١٤، مع وجود تحذير يرافق تلك البركات أنه إن لم يُطع بنو إسرائيل شريعة الله فستنتهي هذه البركات. أما أنواع اللعنات التي عادة ما ستنزل ببني إسرائيل إذا قاموا بانتهاك الشريعة فنجدها في لاويين ٢٦: ١٤-٣٩ وتثنية ٤: ١٥-٢٨، تثنية ٢٨: ١٥-٣٢: ٤٢.

لذا عليك أن تتذكر دائمًا بأن الأنبياء لم يخترعوا البركات أو اللعنات التي

أعلنوها. نعم، ربما قاموا بصياغة تلك البركات واللعنات بأساليب روائية، كما أوحى لهم الروح القدس. لكنهم وبكامل الصدق قاموا بنقل ما جاءهم من كلمة الله ولم يقدموا كلامهم هم. فقد قام الله من خلالهم بإعلان قصده في تطبيق عهده للبركة أو للَّعنة بناءً على أمانة بني إسرائيل ودائمًا وفق أُسس شروط البركات واللَّعنات الواردة في لاويين ٢٦ وتثنية ٤ وتثنية ٢٨-٣٢ إن قراءتك لتلك الأصحاحات من أسفار الشريعة ستقودك لفهم أكبر للسبب الذي دعا الأنبياء لأن يقولوا ما قالوه.

باختصار هذا ما ستكتشفه: إذ يحتوي الناموس على أنواع معينة من البركات الجماعية الناتجة عن الالتزام بالعهد: وهي الحياة، والصحة والازدهار والوفرة الزراعية، والكرامة، والأمان. وتندرج معظم البركات المذكورة تحت إحدى تلك الفئات الست العامة. أما وفيما يتعلق باللعنات، فالناموس يصف عقوبات جماعية تنحصر في الأمور التالية: الموت والوبأ والقحط والمجاعة والخطر والدمار والهزيمة والسبي والعوز والخزي. ومعظم اللعنات عادة ما تندرج في إطار تلك القائمة.

تنطبق هذه الأنواع على ما يُعلنه الله من خلال الأنبياء. فعلى سبيل المثال عندما يعلن الله عن وعده بالبركة للشعب (وليس لأحد الأفراد) بواسطة عاموس النبي، فهو يفعل ذلك من خلال تشبيهات تتعلق بالوفرة الزراعية والحياة والصحة والازدهار والإكرام والأمان (عا ٩: ١١-١٥). وعندما يعلن عن جزائه بالهلاك للأمة العاصية في أيام هوشع النبي فهو يفعل ذلك مستندًا إلى اللعنات العشر التي ذُكرت سابقًا (انظر هو ٨: ١٤؛ ٩: ٣). إذ كثيرًا ما تكون هذه اللعنات مجازية مع أنها يمكن أن تكون حرفية أيضًا. لكنها دائمًا جماعية أو مشتركة أي تقع على الأمة ككل. فالبركات أو اللعنات لا تتضمن أي ازدهار أو مجاعة لأي فرد بالذات. وتاريخيًا فإن غالبية ما أعلنه الأنبياء في القرن الثامن والسابع ومطلع القرن السادس قبل الميلاد

كان لعنة وذلك لأن الهزيمة الكبرى والدمار اللذين لحقا بالمملكة الشمالية لم يحدثا إلا عام ٧٢٢ ق. م. وأما ما لحق بالمملكة الجنوبية (يهوذا) فقد حصل عام ٥٨٧ ق. م. وهكذا كان العقاب قريبًا من بني إسرائيل شمالاً وجنوبًا خلال تلك الحقبة. لذلك فقد كان من الطبيعي أن تسبق تلك الأحداث كلمات اللعنة لا البركة، لأن الله كان يريد لهم أن يتوبوا. أما في فترة ما بعد الدمار الذي لحق بالمملكتين الشمالية والجنوبية، أي بعد عام ٥٨٧ ق. م، فكثيرًا ما أوحى الله إلى الأنبياء بالتنبؤ بالبركات بدل اللعنات. والسبب في ذلك هو أن الله بعد ما أتم عقابه لتلك الأمة عاد فواصل خطته الأساسية وهي إظهار الرحمة (انظر تث ٤: ٢٥-٣١) لعمل وصف إجمالي لهذا التسلسل.

قم أثناء قراءتك للأسفار النبوية بتأملها مستخدمًا هذا النمط البسيط:

(أ) التعريف بخطية بني إسرائيل أو بمحبة الله لهم.

(ب) التنبؤ باللعنة أو البركة اعتمادًا على حالة الشعب.

هذا النمط هو ما قام الأنبياء بنقله عادة وفي أغلب الأوقات بحسب ما أوحي لهم من قِبل الله.

٢ رسالة الأنبياء هذه لم تنبع منهم، بل من الله وحده: فهو الذي أقامهم (انظر خر ٣: ١؛ إش ٦؛ إر ١؛ حز ١-٣؛ هو ١: ٢؛ عا ٧: ١٤-١٥؛ يون ١: ١... إلخ). وإذا ما تجرأ نبي بانتحال هذه الوظيفة لنفسه، فهذا سبب كاف لجعله نبيًا كاذبًا (انظر إر ١٤: ١٤؛ ٢٣: ٢١). فالأنبياء كانوا يستجيبون لدعوة الله. والكلمة العبرية نبي كما في العربية مشتقة من فعل في اللغة السامية معناه دعا، وستلاحظ أثناء قراءتك لأسفار الأنبياء أنهم يستهلون رسائلهم أو يختمونها أو يذكرون في سياقها التذكير التالي: «هكذا يقول الرب» أو «يقول الرب». وفي غالبية الوقت كانت الرسائل النبوية تُنقل مباشرة كما تسلمها

الأنبياء من الرب وبضمير المتكلم كأن الله يتحدث عن نفسه باستخدام أنا أو ياء المتكلم.

ولأخذ مثال أوضح اقرأ الأصحاحين ٢٧، ٢٨ من إرميا. تأمل في صعوبة مهمة إرميا المتعلقة بإيصال الرسالة إلى شعب يهوذا، تلك الرسالة التي كانت تقتضي الخضوع لجيوش العدو البابلي، وذلك فيما إذا أراد الشعب إرضاء الرب. لقد اعتبر معظم سامعي إرميا رسالته هذه بمثابة خيانة لشعبه. مع أن إرميا وعند نقله الرسالة أعلن لسامعيه وبكل وضوح بأنهم لم يكونوا يستمعون إلى وجهة نظره هو في الأمر، بل إلى رسالة الله. بدأ إرميا بتذكيرهم قائلاً: «هكذا قال الرب لي» (٢٧: ٢) ثم اقتبس أمر الله له قائلاً: «أرسلها» (٢٧: ٣) «وأوصهم...» (٢٧: ٤) وعاد فأكمل قائلاً: «هكذا يقول الرب»، فكلمة إرميا إذاً كانت كلمة الله وقد تم تسليمها لهم بسلطان الله (٢٨: ١٥، ١٦) وليس بسلطان إرميا.

في غالبية الوقت كانت الرسائل النبوية تُنقل مباشرة كما تسلمها الأنبياء من الرب وبضمير المتكلم كأن الله يتحدث عن نفسه باستخدام أنا أو ياء المتكلم.

وهنا جدير بالذكر أن نقول بأن الأنبياء وباعتبارهم وسطاء لنقل كلمة الله لبني إسرائيل ولأمم أخرى قد تقلدوا نوعًا من المنصب الاجتماعي، إذ كانوا بمثابة السفراء للبلاط السماوي، ناقلين المشيئة الإلهية ذات السيادة العليا إلى الشعب. ولم يكن الأنبياء بحد ذاتهم لا مُصلحين اجتماعيين، ولا مفكرين دينيين. فالإصلاح الاجتماعي والفكر الديني اللذان أراد الله أن ينقلهما إلى الشعب، كان قد تم إعلانهما في ناموس العهد. وبصرف النظر عن الجماعة التي خالفت تلك الشرائع كانت كلمة الله تحمل العقاب لها من خلال النبي. فإذا كان المذنب بانتهاك العهد من الملوك (٢صم ١٢: ١-١٤؛ ٢٤: ١١-١٧؛ هو ١: ٤) أو من رجال الدين (هو ٤: ٤-١١؛ عا ٧: ١٧، ملا ٢: ١-٩) أو من

أي طائفة أخرى، كان النبي ينقل رسالة الله باللعنة على الأمة أو على الشعب نقلاً أمينًا. وفي الواقع لقد قام الأنبياء بموجب كلمة الله بتنصيب الملوك وخلعهم (١مل ١٩: ١٦؛ ٢١: ١٧-٢٢) وبإعلان الحرب (٢مل ٣: ١٨-١٩؛ ٢أخ ٢٠: ١٤-١٧؛ هو ٥: ٥-٨) أو بمقاومتها (إر ٢٧: ٨-٢٢).

ما نقرأه في الأسفار النبوية ليس مجرد كلمة الله كما رآها النبي، بل هي كلمة الله كما أراد لها الله أن تُنقل. فالنبي لا يملك الحرية في التصرف أو التكلم مستقلاً عن الله.

رسالة الأنبياء ليست جديدة: فلقد أوحى الله إلى الأنبياء بتقديم المضمون الجوهري للتحذيرات والوعود (البركات واللعنات) التي يتضمنها العهد. لذلك فإننا عندما نقرأ كلمات الأنبياء، فما نقرأه ليس عبارة عن أمر جديد في جوهره، لكنه الرسالة نفسها التي نقلها الله في الأصل ومن البدء بواسطة موسى. إلا أن الهيئة أو الصيغة التي تُنقل بها الرسالة، قد تتغير فعليًا. لقد أقام الله الأنبياء لجذب انتباه الشعب الذي أُرسلوا إليه. وجذب هذا الانتباه قد يتطلب إعادة صياغة، أو تركيب شيء قد سبق للشعب وسمعوه مرات كثيرة حتى يتسم هذا الشيء بنوع من الجدية، لكن هذا لا يعني على الإطلاق أن الله يبادر برسالة جديدة أو يعدل في رسالة قديمة. فهو لم يوح للأنبياء باختلاق أمور جديدة أو بإعلان تعاليم لم يسبق أن تضمنتها أو أعلنتها أسفار الشريعة الخمسة. ولأخذ مثال على هذا الحفظ للرسالة الإلهية الأصلية تأمل في النصف الأول من هوشع ٤: ٢ لقد تفشى في الأرض «لعن وكذب وقتل وسرقة وفسق».

في هذا العدد، الذي هو جزء من وصف مسهب لخطية بني إسرائيل أيام هوشع (٧٥٠-٧٢٢ق. م) نجد تلخيصًا لخمس من الوصايا العشر كل واحدة نجدها في كلمة من هذه الكلمات الأولى «اللعنة» وهي الوصية الثالثة في الوصايا العشر «لا

تنطق باسم الرب إلهك باطلاً» (خر ٢٠: ٧؛ تث ٥: ١١)، والثانية «الكذب» وهي الوصية التاسعة «لا تشهد على قريبك شهادة زور» (خر ٢٠: ١٦؛ تث ٥: ٢٠)، الثالثة هي «القتل» وهي الوصية السادسة «لا تقتل» (خر ٢٠: ١٣؛ تث ٥: ١٧)، الرابعة «السرقة» وهي الوصية الثامنة «لا تسرق» (خر ٢٠: ١٥؛ تث ٥: ١٨)، أما الخامسة والأخيرة فهي «الزنا»، وهي الوصية السابعة من الوصايا العشر «لا تزن» (خر ٢٠: ١٤؛ تث ٥: ١٨).

وما تجدر ملاحظته هنا أيضًا هو ما يفعله النبي المُلهم وما لا يفعله. بمعنى أن هوشع لم يقتبس الوصايا العشر حرفيًا. فهو يذكر خمسًا منها فقط وكل واحدة بكلمة بما يشبه إلى حد كبير ما فعله السيد المسيح في لو ١٨: ٢٠. لكن مجرد ذكر خمس منها، حتى وإن لم تكن حسب ترتيب ورودها في الأصل، يعد طريقة فعالة جدًا في إبلاغ بني إسرائيل بأنهم قد خالفوا الوصايا العشر. لأنه وعند سماعهم للوصايا الخمس، سيتساءلون: وماذا عن بقية الوصايا؟ ماذا عن ترتيبها؟ فالوصايا كما جاءت في الأصل هي... وهكذا، سيبدأ السامعون بالتفكير في الوصايا العشر مذكرين أنفسهم بما قد دعاهم ناموس العهد إليه بشأن البر الأساسي. وهنا نرى أن هوشع لم يقم بتغيير شيء في الناموس بل كما فعل السيد المسيح كرر فقط خمسًا من الوصايا من أجل إحداث التأثير ذاته. ولكنه قام بطبع الناموس في أذهان سامعيه بطريقة أحدثت أثرًا ربما لم يكن ليحدث فيما لو أنه أعاد عليهم ذكر الوصايا كلمة كلمة.

هناك أيضًا سؤال ثان يتعلق بالنبوات الخاصة بالمسيا: هل هذه النبوات جديدة؟ لا، على الإطلاق. بالتأكيد، إن تفاصيل حياة ودور المسيا التي نجدها في قصائد العبد في إشعياء ٤٢، ٤٩، ٥٠، ٥٣ قد تُعَد جديدة. لكن لم تكن هذه هي المرة الأولى التي كشف الله بها للناس عن فكرة المسيا من خلال الأنبياء. بل في الحقيقة كان هذا الكشف قد بدأ أصلاً بالناموس. وإلا فكيف كان يمكن ليسوع

المسيح أن يصف حياته كإتمام لما هو مكتوب في ناموس موسى والأنبياء والمزامير (لو ٢٤ : ٤٤)؟ إن من بين مقاطع ناموس موسى الأخرى التي تتكلم عن خدمة المسيا هناك مقطع بارز وشهير في تثنية ١٨ : ١٨ «أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه فيُكلمهم بكل ما أوصيه به».

وكما أن يوحنا ١ : ٤٥ أيضًا يُذكّرنا أن الناموس قد سبق وتكلم عن المسيح، فلم يكن جديدًا أن يتكلم الأنبياء عنه. ولم يكن يلزم للشكل أو الأسلوب أو الخصوصية التي صاغ بها أولئك الأنبياء ما أوحى الله لهم من نبوات - لم يكن يلزم أن يكون محصورًا بما قد احتوته أسفار الشريعة الخمسة. لأن الحقيقة الجوهرية هي في أنه سيكون هناك عهد جديد سيأتي به نبي جديد (على حد تعبير سفر التثنية)، وهذه الحقيقة كانت في الواقع أمرًا ليس بالجديد.

مهمة التفسير الاستنتاجي

الحاجة إلى المساعدة الخارجية

سبق أن ذكرنا في الفصل الأول بأن هناك اعتقادًا شائعًا مفاده أن كل ما في الكتاب المقدس لابد وأن يكون واضحًا لكل مَنْ يقرأه، بدون دراسة أو مساعدة خارجية من أي نوع. وأساس هذا الاعتقاد هو: إن كان الله قد كتب الكتاب المقدس من أجلنا فالمفترض بنا هو أن نفهمه بالتمام ومن أول قراءة له طالما أن الروح القدس فينا. لكن مثل هذه الفكرة ليست صحيحة، فبعض الأجزاء من الكتاب المقدس واضحة ومباشرة وأجزاء أخرى غيرها ليست كذلك. وبموجب الحقيقة القائلة بأن أفكار الله ليست كأفكارنا نحن البشر (مز ٩٢: ٥؛ إش ٥٥: ٨) فليس مستغربًا إن احتاجت بعض مقاطع الكتاب المقدس وقتًا ودراسة متأنية لكي نفهمها.

وهذا الوقت وهذا الجهد الدراسي هما ما تحتاجه الأسفار النبوية. إذ كثيرًا ما يقرأ الناس هذه الأسفار قراءة عابرة وكأن القراءة السطحية لكتابات الأنبياء ستمنحهم مستوى رفيعًا من الفهم. وطبعًا هذا الأسلوب لا ينفع مع الأسفار النبوية.

نحن نحتاج لأن نكرر هنا، وبصفة خاصة فيما يتعلق بتفسير الأنبياء، أنواع المساعدات المتوفرة لك، مثل القواميس أو موسوعات الكتاب المقدس التي تورد مقالات عن الخلفية التاريخية لكل سفر وعن مواضيعه الرئيسية وأيضًا المعالم الخاصة التي يشتمل عليها والنقاط التفسيرية التي يجب على القارئ مراعاتها. وهنا نوصيك بأن تتعود على القيام بهذا النوع من القراءة قبل أن تبدأ دراستك لأي سفر نبوي. إذ تحتاج لأن تعرف عن خلفية الموضوع قبل أن تتمكن من فهم القصد من الكثير مما قاله النبي. لقد جاءت كلمة الله من خلال الأنبياء إلى الناس في ظروف معينة، ولعل مقدار قيمة تلك النبوات بالنسبة لنا يعتمد جزئيًا على مدى مقدرتنا على استيعاب تلك الظروف بحيث نستطيع بدورنا نحن أن نطبق النبوات على ظروفنا.

المصدر الثاني للمساعدة هو كتب التفسير، التي تتميز بإعطاء مقدمات وافية لكل سفر وهي مكونة بعض الشيء على نمط قواميس الكتاب المقدس، وإن كانت في مرات كثيرة أقل فائدة من حيث تنظيم المعلومات. لكن الأهم من هذا أنها تقدم تفسيرًا لمعنى كل آية على حدة. وقد تزيد أهمية هذه التفسيرات إن كنت تدرس وبعناية مقطعًا صغيرًا من أحد الأسفار النبوية، جزءًا يقل عن أصحاح وذلك في جلسة منفصلة.

أما المصدر الثالث للمساعدة فهو مقدمات الأسفار وهي عادة تعطي للقارئ نظرة عامة على الكتاب المقدس. وما يميز هذه الكتب هو أنها تجمع بين ما تقدمه القواميس وكتب التفسير، لكن بدون الدخول في تفاصيل كثيرة سواء في

الخلفيات المختلفة للنص أو في شرح النص آية آية. فمقدمات الأسفار هدفها تقديم مساعدة إرشادية في وقت قصير.

القرينة التاريخية

هل تذكر دراستنا للقرينة التاريخية ليسوع المسيح في الفصل السابع والتي تناولت كلاً من القرينة التاريخية العامة التي أتى فيها السيد المسيح، والقرينة التاريخية الخاصة لأي من أقواله أو أفعاله؟ هكذا الأمر أيضًا مع دراسة الأسفار النبوية. فالقرينة التاريخية العامة تتناول المجال الأوسع والأشمل (حقبتها الزمنية) بينما القرينة الخاصة تتناول ما يتعلق بكل رسالة إلهية فردية.

ولكي تتمكن من عمل التفسير الاستنتاجي جيدًا عليك فهم نوعي القرينة التاريخية لكل الأسفار النبوية.

- **القرينة العامة:** تجدر الملاحظة هنا إلى أن أسفار العهد القديم النبوية السبعة عشر جاءت ضمن نطاق ضيق من المشهد الشامل لتاريخ بني إسرائيل (حوالي ٧٦٠-٤٣٠). وهنا نسأل ما السبب في عدم وجود أسفار نبوية من أيام إبراهيم؟ ألم يتكلم الله إلى شعبه وعالمهم قبل ٧٦٠ ق. م؟ الجواب هو: نعم، بالطبع تكلم الله ولدينا في الكتاب المقدس أمور كثيرة عن تلك العصور إضافة إلى الأمور التي تتعلق بالأنبياء (١مل ١٧؛ ٢مل ١٣). علاوة على ذلك، تذكَّر أن الله قد تحدَّث إلى إسرائيل خصيصًا بواسطة الناموس، ذلك الناموس الذي كان من شأنه أن يسود على كل ما بقي من تاريخ الأمة إلى الوقت الذي حل فيه العهد الجديد محله (إر ٣١: ٣١-٣٤).

وهنا نجد سؤالاً آخر يدركنا وهو: إذن، لماذا هذا التركيز في تدوين الكلمة النبوية خلال القرون الثلاثة ما بين عاموس (حوالي ٧٦٠ ق. م) وهو أقدم الأنبياء الكُتَّاب، وملاخي (حوالي ٤٣٠ ق. م) وهو آخرهم؟ والجواب هو:

إن تلك الحقبة من تاريخ إسرائيل دعت وبشكل خاص إلى إيجاد وسطاء من أجل تطبيق العهد، وكان هذا عينه هو مهمة الأنبياء. هناك عامل آخر واضح وهو أن الله رغب في أن تدوَّن كل تحذيرات اللعنة ووعود البركة التي أعلنها بواسطة الأنبياء أثناء تلك الحقبة البالغة الأهمية، وذلك من أجل التاريخ اللاحق.

تميزت تلك السنون بأمور ثلاثة:

(أ) تغيرات سياسية وعسكرية، واقتصادية واجتماعية عنيفة لم يسبق لها مثيل.

(ب) مستوى رهيب من الخيانة الدينية والاستخفاف بالعهد الموسوي الأصلي.

(ج) تنقلات سكانية وتغييرات في الحدود الإقليمية. وهنا نرى أن الناس كانوا في حاجة إلى كلمته من جديد في ظل تلك الظروف. لذا أقام الله الأنبياء وأعلن كلمته.

عندما تستخدم القواميس والتفاسير والمقدمات الكتابية، ستلاحظ أن إسرائيل كانت بحلول عام ٧٦٠ ق. م أمة دائمة الانقسام بسبب الحرب الأهلية الطويلة الأمد. فقد كانت الأسباط الشمالية – واسمها إسرائيل وأحيانًا أفرايم– منفصلة عن السبط الجنوبي المسمى يهوذا. فالمملكة الشمالية، التي فاقت بكثير في ارتدادها عن عهد الله مملكة يهوذا، كانت آيلة إلى السقوط بسبب خطيتها قدام الله. وفيها قام كل من عاموس بداية (بحوالي ٧٦٠) وهوشع بداية (بحوالي ٧٥٥) بإعلان السقوط الوشيك. وفعلاً وقعت المملكة الشمالية في براثن الدولة العظمى في الشرق الأوسط آنذاك وهي مملكة أشور في عام ٧٢٢ ق. م، بعدها ازداد إثم يهوذا بالتزامن مع قيام قوة عظمى أخرى، هي مملكة بابل. وشكَّل هذان الأمران المادة التي

كتب عنها أنبياء كثيرون بما فيهم إشعياء وإرميا ويوئيل وميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا. ولقد تم أيضًا تدمير مملكة يهوذا لعدم إطاعتها لله، وكان ذلك عام ٥٨٧ ق. م. ثم قام بعدها كل من حزقيال ودانيال وحجي وزكريا وملاخي بإعلان مشيئة الله الخاصة برد الشعب (بدءًا من عودتهم من السبي عام ٥٣٨ ق. م) وإعادة بناء الأمة، وإعادة ترسيخ العقيدة. وكان كل هذا ينسجم مع ما جاء في تثنية ٤: ٢٥-٣١.

لقد تكلم الأنبياء مباشرة عن هذه الأحداث وبشكل مطول. إن لم تُلِمَّ بهذه الأحداث وغيرها التي وقعت ضمن تلك الحقبة والتي يزيد عددها عن أن يذكر في هذا المقام، فربما لن تتمكن من أن تتابع وبشكل جيد ما قاله الأنبياء، فقد تكلم الله من خلال التاريخ وعن التاريخ. ولكي نتمكن من فهم كلمة الله، علينا أن نعرف شيئًا عن هذا التاريخ.

٢ **القرينة الخاصة:** كل رسالة إلهية نبوية قد سُلمت أصلاً ضمن خلفية تاريخية معينة. فلقد تكلم الله من خلال الأنبياء إلى الناس في وقت وزمان معينين، وفي ظل ظروف معينة. فإذا ما استطعت تحديد ومعرفة التاريخ وهوية المستمعين، والحالة التي كانت سائدة فستُسهم هذه المعرفة جوهريًا في استيعاب الرسالة الإلهية.

اقرأ هوشع ٥: ٨-١٠ فهو عبارة عن رسالة إلهية موجزة وقائمة بذاتها إلى جانب رسائل إلهية أخرى. وإذا عدت إلى كتاب تفسير جيد فستجده قد وصف لك تلك الرسالة الإلهية باعتبارها رسالة من رسائل الحرب. وهذا النوع من الرسائل الإلهية هدفه إعلان دينونة الله وإنزالها من خلال المعارك. إليك مثلاً العناصر المعتادة لمثل هذا الأسلوب: التحذير، وصف الهجوم، والتنبؤ بالهزيمة. وبالإضافة إلى معرفتك للأسلوب فمن المفيد أيضًا أن تعرف وتحدد المعركة المقصودة.

كان التاريخ هو ٧٣٤ ق.م تقريبًا ومن سمعوا الرسالة الإلهية هم شعب المملكة الشمالية (المدعوون أفرايم هنا) الذين تكلم إليهم هوشع. ولقد كانت رسالة الله موجهة بالتحديد إلى مدن معينة على الطريق من أورشليم عاصمة يهوذا إلى مركز عبادة بني إسرائيل الزائف، بيت إيل (بيت آون). والحالة كانت حالة حرب حيث قامت مملكة يهوذا بالرد على الهجوم الذي قامت به عليها كل من مملكة إسرائيل وسورية واجتاحتا خلاله مملكة يهوذا (انظر ٢مل ١٦: ٥). وهنا نرى أنه قد تم صد المعتدين وردهم على أعقابهم بمساعدة قوة أشور العظمى (٢مل ١٦: ٧-٩). وقد قام الله بواسطة هوشع بإذاعة التحذير مَجازيًا في مدن تقع ضمن أرض بنيامين (عدد ٨)، هذه المدن كانت جزءًا من المملكة الشمالية. لقد كان الدمار أكيدًا (عدد ٩) لأن يهوذا كانت ستحل في الأراضي التي ستجتاحها (بإزاحة حجارة الحدود إذا جاز التعبير) لكن يهوذا أيضًا ستنال ما تستحقه؛ لأن غضب الله سيقع عليهما معًا لأجل تلك الحرب ولأجل ممارساتهما الوثنية (٢مل ١٦: ٢-٤). لقد كانت مملكتا إسرائيل ويهوذا في عهد مع الله يحرم عليهما مثل تلك الحرب المهلكة للطرفين. وكان الله مزمعًا أن يعاقبهما على انتهاكهما للعهد معه.

إن الإلمام بهذه الحقائق البسيطة سيؤثر كثيرًا في قدرتك على فهم وتقدير الرسالة الإلهية الواردة في هوشع ٥: ٨-١٠. عُد إلى كتب التفسير أو مقدمات الكتاب المقدس التي بين يديك أثناء قراءتك لأسفار الأنبياء، وكما ينبغي دائمًا حاول أثناء قراءتك لها أن تلاحظ التاريخ وهوية المستمعين والحالة التي أحاطت بالرسالة الإلهية.

عزل النبوات الفردية عن بعضها البعض

وعندما تصل كدارس إلى الدراسة الفعلية أو القراءة الاستنتاجية الدقيقة للأسفار النبوية، فإن أول أمر عليك فعله هو اعتبار الرسالة الإلهية بمثابة وحدات

فكر (تمامًا كما تعلمت أن تفكر بحسب الفقرات أثناء دراستك للرسائل). وهذه ليست بالمهمة السهلة دائمًا، إلا أن إدراك صعوبتها والحاجة إلى القيام بها هما البداية لاكتشافات مثيرة.

ففي معظم الأوقات ستجد أن ما قاله الأنبياء عادة يأتي في أسفارهم في شكل متواصل، بمعنى أن الكلام الذي قالوه في أوقات وأماكن مختلفة على مر سني خدمتهم قد تم جمعه وتدوينه كله بدون أي تقسيمات تشير إلى بدايات أو نهايات تلك الرسائل الإلهية. علاوة على ذلك فحتى عندما تتمكن من افتراض نقطة بداية وحدة ما، وذلك من خلال التغيير الرئيسي للموضوع، يبقى هناك عدم وضوح (من جهة عنونة الأحداث ونقاط الانتقال مثلاً) مما قد يحيرك فتتساءل: هل قيلت هذه النبوة إلى نفس المستمعين في اليوم ذاته أم أنها قيلت بعد عدة سنوات - أو ربما قبل عدة سنوات - أو لجماعة أخرى من المستمعين تحت ظروف مختلفة؟ إن الإجابة على مثل هذا السؤال ستؤثر على عملية فهمك للنص.

أيضًا تتميز بعض أجزاء الكتب النبوية بالاستثناءات. ففي سفر حجي مثلاً وفي الأصحاحات الأولى لسفر زكريا ستجد تاريخًا لكل نبوة. وبمساعدة قاموس الكتاب المقدس أو كتب التفسير أو المقدمات ستتمكن من تتبع تقدُّم هذه النبوات بسهولة وفق قرينتها التاريخية. كما أن بعض النبوات التي قد تجدها في أسفار أخرى وبشكل خاص في سفر إرميا وسفر حزقيال قد تم فعلاً تأريخها وترتيبها وفق خلفية معينة وضعها النبي بوحي من روح الله.

لكن وللأسف لا يكون الأمر كذلك في معظم الأوقات. فعلى سبيل المثال اقرأ عاموس ٥ واسأل نفسك ما إذا كان هذا الأصحاح كله نبوة (رسالة) أو وحدة واحدة. فإن كانت النبوة واحدة، لماذا نرى فيها إذن كل تلك التغييرات في المواضيع: رثاء لدمار إسرائيل (الأعداد ١-٣)، الدعوة لطلب وجه الله حتى لا يموتوا (الأعداد ٥-٦، ١٤)، هجوم على الظلم الاجتماعي (الأعداد ٧-١٣)، التنبؤ

بالألم والشقاء- وصف ليوم الرب (الأعداد ١٨-٢٠)، انتقاد للعبادة المنافقة (٢١-٢٤)، ونظرة موجزة على تاريخ إثم إسرائيل الذي سيصل إلى قمته بالتنبؤ بالسبي (٢٥-٢٧)؟ وإن لم تكن نبوة واحدة، كيف يمكن فهم أجزائها؟ هل كل منها منفصل عن الآخر؟ هل ينبغي ضم بعضها إلى بعضه؟ وإذا كان الأمر كذلك، فبأية طريقة؟ وما الوسيلة؟

في واقع الأمر يحتوي الأصحاح ٥ من عاموس على ما اتُّفق في تقسيمه إلى نبوات ثلاث. فالأعداد ١-٣ تمثل نبوة أو رسالة رثاء، وحدة واحدة تعلن الدينونة، والأعداد ٤-١٧ تشكل نبوة (وحدة) واحدة (مع كونها معقدة) للدعوة إلى البركة والتحذير من العقاب، أما الأعداد ١٨-٢٧ فهي تُشكِّل (مع كونها مركبة ومعقدة) نبوة واحدة تحذيرية من العقاب. إذن التغيير الطفيف في الموضوعات لا يعني بداية نبوة جديدة في كل حالة. ومن جهة أخرى، فإن تقسيمات الأصحاح لا تناظر كل نبوة (وحدة) على حده، وهنا يمكننا فصل أو عزل النبوات (الوحدات) من خلال الانتباه إلى أشكالها المعروفة والمختلفة (انظر أدناه). إن النبوات الثلاث جميعها في عاموس ٥ قد قيلت في أواخر عهد يربعام ملك إسرائيل (٧٩٣-٧٥٣ق. م) وقيلت إلى شعب ظن أن أمر هلاك الأمة مستبعد بسبب الازدهار النسبي الذي كانت تتمتع به، وأن مجرد التفكير في عملية انتهاء وجود تلك الأمة خلال جيل واحد كان أمرًا لا يخطر على البال. سيفيدك أثناء القراءة العودة إلى القواميس والتفاسير والمقدمات للكتاب المقدس؛ لذلك لا تحاول إعاقة نفسك عبثًا بتحليل الأمور دون الرجوع إلى تلك المراجع.

أشكال الأقوال النبوية

بما أن عزل وفصل النبوات (الوحدات) أو الرسائل الفردية هو أحد مفاتيح فهم الأسفار النبوية، فمن المهم أن تعرف شيئًا عن الأشكال المختلفة التي استخدمها

الأنبياء لصياغة نبواتهم. إن معرفة هذه الأشكال أو الأساليب مطلب مسبق كي تتمكن من تحديد النبوات (الوحدات) تحديدًا سليمًا. وكما أن الكتاب المقدس كله مؤلف من أنواع مختلفة من النصوص، هكذا أيضًا قام الأنبياء بتوظيف أشكال أدبية متنوعة في خدمة الرسائل الإلهية التي أوحى الله بها إليهم. يمكن لكتب التفاسير أن تبين وتشرح هذه الأشكال. ولقد قمنا بانتقاء ثلاثة من أكثر الأشكال شيوعًا لنساعد في تنبيهك إلى أهمية إدراك الأساليب الأدبية المستخدمة وتفسيرها على نحو سليم.

١ **المحاكمة:** هنا نقترح عليك أولاً قراءة إشعياء ٣: ١٣-٢٦ فهذه الأعداد تتضمن صيغة أدبية مجازية تدعى «محاكمة العهد»، فهنا كما في الأعداد التي لا حصر لها من مجازات أدب المحاكمات في أسفار الأنبياء (مثل هوشع ٢: ٢-٧؛ ٤: ١-١٩... إلخ)، يمكن أن تتخيل الله كالمدَّعي أو المدعي العام أو القاضي في محاكمة ضد إسرائيل التي تقف في قفص الاتهام. والصيغة الكاملة للمحاكمة عادة ما تحتوي على استدعاءات واتهام ودليل وقرار بالحكم، رغم أن هذه العناصر قد تكون ضمنية أحيانًا وليست صريحة. في إشعياء ٣ تتحد هذه العناصر على الشكل التالي: تجتمع هيئة المحكمة وتقام الدعوى على إسرائيل (١٣، ١٤). تُتلى لائحة الاتهام (١٤ب-١٦). وبما أن الأدلة تثبت جرم إسرائيل بوضوح، يتم إعلان حكم الإدانة (١٧-٢٦). وحيث أن العهد قد انتُهك فستنزل بإسرائيل رجالاً ونساءً بعض العقوبات الواردة في العهد: الوبأ والعوز والحرمان والموت. وهنا نرى أن الأسلوب الرمزي لذلك المجاز كان طريقة مثيرة وفاعلة في إبلاغ بني إسرائيل بأنهم سوف ينالون جزاء عصيانهم، وأن عقابهم سيكون شديدًا. إن هذا الشكل الأدبي الخاص يساعد كثيرًا في إيصال الرسالة.

٢ **الويل:** هناك شكل أدبي شائع آخر هو «نبوة الويلات». «الويل» كلمة كان

يصرخ بها بنو إسرائيل القدامى عند حدوث الكارثة أو الموت، أو في أثناء نوحهم في الجنازات. فبواسطة الأنبياء يقوم الله بالتنبؤ بالهلاك الوشيك مستخدمًا كلمة ويل، وما كان يمكن لأي إسرائيلي أن تفوته دلالة استخدام تلك الكلمة.

إن نبوات الويلات تحتوي ضمنيًا أو تصريحيًا، على عناصر ثلاثة تُشكِّل في مجملها سمة هذا الأسلوب:

(أ) إعلان عن ضيق (ككلمة ويل على سبيل المثال).

(ب) سبب ذلك الضيق.

(ج) نبوة بالهلاك.

اقرأ حبقوق ٢: ٦-٨ لترى إحدى المرات العديدة التي يذكر فيها هذا السفر النبوي رسالة ويل ضد البابليين. لقد كانت مملكة بابل تلك الدولة الوحشية والقوة الاستعمارية العظمى في الهلال الخصيب قديمًا، وكانت تُعد الخطط لمحاربة مملكة يهوذا وسحقها في أواخر القرن السابع قبل الميلاد، عندئذ تكلم حبقوق بكلام الله ضدهم. وبعملية تصوير وتشخيص بابل كلص ومغتصب (السبب) تُعلن النبوة الويل، وتتنبأ بالكارثة (عندما يقوم على بابل كل الذين وقعوا في قبضتها). هذه النبوة أيضًا مجازية (مع أنه ليست كل رسائل الويلات كذلك انظر ميخا ٢: ١-٥؛ صفنيا ٢: ٥-٧).

الوعد: على الرغم مما سبق، فهناك أيضًا أسلوب أدبي نبوي شائع آخر هو رسالة الخلاص أي الوعد. **وستتمكن من تمييز هذا الأسلوب كلما صادفتك العناصر التالية:**

(أ) إشارة إلى المستقبل.

(ب) ذكر لتغيير جوهري.

(ج) وذكر للبركة.

تعد الفقرة من عاموس ٩: ١١-١٥ نموذجًا رائعًا لرسالة الوعد، إذ هي تتضمن العناصر التالية: ذكر للمستقبل كما في ذلك اليوم (عدد ١١)، والتغيير الجوهري الموصوف بإعادة بناء مظلة داود الساقطة (عدد ١١)، وترقية إسرائيل إلى مركز أعلى من ذلك الذي لأدوم (عدد ١٢)، والعودة من السبي (العددان ١٤، ١٥). أما البركة فتأتي بواسطة عناصر العهد المذكورة: الحياة، الصحة، الازدهار، الوفرة الزراعية، الإكرام، والإيمان. إن جميع هذه العناصر مشمولة في عاموس ٩: ١١-١٥ مع أن الصحة متضمنة وليس مُصرحًا بها. إن التشديد الرئيسي كان على الوفرة الزراعية. فالمحصول، على سبيل المثال، سيكون وفيرًا بحيث لن يستطيع الحصادون إنهاء عملهم عندما يحين موعد الزراعة من جديد (عدد ١٣). ولمزيد من الأمثلة على رسائل الوعد اقرأ هوشع ٢: ١٦-٢٠؛ ٢: ٢١-٢٣؛ إشعياء ٤٥: ١-٧؛ إرميا ٣١: ١-٩.

نأمل ومن خلال هذه الأمثلة الموجزة أن تتمكن من تكوين فكرة عن الكيفية التي يمكنك بها إدراك أشكال الأقوال النبوية بما قد يساعدك في استيعاب رسالة الله بدقة أكثر. ويمكنك التعلم أكثر عن هذه الأساليب بالاستعانة بكتب التفسير الجيدة (انظر الملحق آخر الكتاب).

النبوات كأشعار

أما الشعر عند بني إسرائيل قديمًا فقد كان وسيلة تعلُّم واسعة الانتشار. فكثير من الأمور التي كان من المهم حفظها كانت تُصاغ في قالب شعري. لقد وجد الإسرائيليون أن هذه الأمور التي تُكتب شعرًا عادة ما تكون أسهل للحفظ والتذكر في عصر كانت فيه مهارات القراءة والكتابة قليلة، ولم تكن فيه المكتبات أو الملكية الخاصة للكتب معروفة، ولقد تكلم الله كثيرًا من خلال أنبيائه بواسطة الشعر. فقد كان الشعب معتادًا على الشعر، وبالتالي كان يمكنه تذكُّر النبوات التي كانت ترسل رنينها في الآذان.

حتى القصائد النثرية التي يستخدمها الأنبياء أحيانًا كانت تحتوي على أسلوب رسمي خاص يحمل تلك الصفات نفسها، وإن أقل تماسكًا وتناغمًا. ولكون تلك القصائد النثرية ذات طابع أدبي منتظم ومميز أكثر من لغة الكلام المعتادة فهي أيضًا سهلة للحفظ والتذكر. وعلى سبيل التبسيط، دعنا نتكلم عن هذا النوع من الأدب بإدراجه تحت مصطلح الشعر.

وهنا، فمن المفيد لك أن تقرأ مقدمة للشعر العبري قبل قيامك بقراءة الأسفار النبوية، مثلاً قاموس الكتاب المقدس. وإن أردت نموذجًا للفوائد التي يمكن أن تجنيها من معرفة وظيفة الشعر العبري، **فهذه ثلاثة ملامح من الأسلوب المتكرر لشعر العهد القديم:**

(أ) التوازي المترادف. يقوم الشطر الثاني بإعادة أو تعزيز ما جاء في الشطر الأول كما في إشعياء ٤٤: ٢٢

«قد محوت كغيم ذنوبك وكسحابة خطاياك»

(ب) التوازي العكسي (الطباق). وهنا يناقض الشطر الثاني الفكرة الواردة في الشطر الأول كما في هوشع ٧: ١٤

«لا يصرخون إليَّ بقلوبهم حينما يولولون على مضاجعهم»

(ج) أما التوازي التركيبي فيقوم فيه الشطر الثاني بعمل زيادات على ما جاء في الشطر الذي سبقه بحيث يضفي على المعنى معلومات جديدة، كما في عوبديا ٢١:

«ويصعد مخلصون على جبل صهيون
ليدينوا جبل عيسو
ويكون المُلك للرب»

بعض الاقتراحات التفسيرية

إذا كانت مهمة التفسير الاستنتاجي تهدف لوضع الأنبياء في إطار خلفياتهم التاريخية ولسماع ما كان الله يقوله لبني إسرائيل بواسطتهم، فما الذي يمكن أن يُقال عن التفسير الحياتي؟ وما هي كلمة الله لنا من خلال تلك الرسائل الإلهية الشعرية، التي ألقيت على مسامع شعب الله القديم؟ أولاً نحب أن نؤكد لك أن ما جاء في الفصل الرابع من هذا الكتاب حول علم التفسير الحياتي للرسائل ينطبق هنا أيضًا على هذا الشعر النبوي. فما أن نصغي لكلام الله لهم حتى وإن اختلفت ظروفنا كثيرًا حتى نسمع هذا الكلام يتكرر ثانية من خلال أوضاعنا الحالية وبشكل مباشر.

وهنا يجدر القول بأن دينونة الله تنتظر دائمًا الذين باعوا البار بالفضة والبائس لأجل نعلين (عا ٢: ٦) كما تنتظر الذين يستخدمون الدين كذريعة للطمع والربح القبيح والظلم (انظر إش ١: ١٠-١٧) أو الذين مزجوا الوثنية الحديثة (كالبر الذاتي) بإنجيل المسيح (راجع هو ١٣: ٢-٤). فمثل تلك الخطايا تُعد أيضًا خطايا في العهد الجديد. إذ هي تخالف الوصيتين العظميين اللتين يشترك فيهما العهدان القديم والجديد (انظر الفصل التاسع). لكن هناك أمورًا ثلاثة أخرى ينبغي مراعاتها إلى جانب أنواع التطبيقات السابقة الذكر وأولها: تحذير، وثانيها: تنبيه، أما ثالثها: ففائدة.

تحذير: النبي كمتنبئ عن المستقبل

لقد أشرنا في مطلع هذا الفصل إلى أن المهمة الأساسية للأنبياء لم تكن التنبؤ بالمستقبل البعيد. ومع أنهم قاموا حقًا بالتنبؤ بأحداث مستقبلية، إلا أن ذلك المستقبل، وفي أغلب الأحوال هو الآن في طي الماضي أي أنهم قد تنبأوا بالدينونة القادمة أو الخلاص العتيد المتعلق بمستقبل بني إسرائيل القريب

نسبيًا، وليس بمستقبلنا نحن. لذلك علينا الاحتراس لأنه إن كنا نريد أن نرى نبواتهم وقد تحققت فعلاً، علينا العودة إلى الوراء أي إلى الزمن الذي كان بالنسبة لهم مستقبلاً وقد صار الآن بالنسبة لنا ماضيًا. غير أن هذا التفسير الحياتي يحتاج منا إلى توضيح.

وكمثال على أن رسائل الأنبياء قد تركزت بالفعل على المستقبل القريب لا البعيد، نقترح عليك قراءة الأصحاحات ٢٥-٣٩ من سفر حزقيال. لاحظ بأن النبوات (الوحدات) المتنوعة المشمولة في هذا الجزء الكبير من السفر تتناول مصير الأمم الأخرى، مع أن أمة إسرائيل مشمولة أيضًا فيها. وهنا تجدر ملاحظة أن الله يشير إلى مصير تلك الأمم، وأن تحقيق النبوات قد تم في خلال عقود من وقت إعطائها، أي أن معظمها قد تحقق خلال القرن السادس قبل الميلاد. بالطبع هناك استثناءات خاصة لذلك. فلقد وصف حزقيال ٣٧: ١٥-٢٨ عصر العهد الجديد، والبركات التي سيسكبها الله على الكنيسة بواسطة المسيا مع أن معظم النبوات بما فيها نبوات الأصحاحين ٣٨ و٣٩ كانت تتعلق بأزمنة وأحداث العهد القديم (راجع كتب تفاسير حول هذه الإصحاحات).

إن حماسك الشديد لرؤية أحداث العهد الجديد في نبوات العهد القديم قد يؤدي بك إلى نتائج غريبة. فمثلاً ما ورد في إشعياء ٤٩: ٢٣ «بالوجوه إلى الأرض يسجدون لك» قد بدا فعلاً شبيهًا بما قد فعله المجوس الذين زاروا الطفل يسوع (مت ٢: ١-١١)، إلى حد جعل الكثيرين يفترضون أن كلمات إشعياء كانت عن المسيا. لكن مثل هذا التفسير للأسف مخفق لتجاهله القرينة (فقد تم ذكر ملوك وملكات وموضوع هذا المقطع هو عودة إسرائيل بعد السبي البابلي)، ولتجاهله القصد (إن لغة هذه النبوة -الوحدة- تهدف لإظهار عظمة إسرائيل عندما يرُدها الله) وتجاهله للأسلوب (لأن الشعر يرمز إلى احترام الأمم من خلال تصوير حكامه كحاضنين لإسرائيل، يلمسون غبار رجلي الأمة)، وتجاهله للألفاظ (فقد

كان المجوس حكماء أو علماء فلك، وليسوا ملوكًا). إذًا علينا الحذر من جعل النبوات، أو أي جزء من أجزاء الكتاب المقدس تقول ما نريد نحن منها أن تقوله. وعلينا بالأولى أن نُصغي لما يريد الله فعلاً قوله.

وهنا ننوه إلى أن بعض النبوات المتعلقة بالمستقبل القريب قد صيغت في إطار خلفية المستقبل العظيم الذي يتعلق بالأيام الأخيرة، وأحيانًا قد تبدو هذه النبوات ملائمة لذلك المستقبل. بالطبع سنتحدث عن هذا الموضوع ثانية لكن في الفصل ١٣ من هذا الكتاب. أما الآن فدعنا ندرك أن السبب في ذلك يعود إلى تصوير الكتاب المقدس لله وهو يعمل في التاريخ الزمني في ضوء خطته الشاملة لكامل التاريخ الإنساني، وعليه ينبغي أخذ الوقت الزمني في ضوء الوقت الأبدي. وقد يبدو الأمر كمَنْ ينظر إلى قصتين، الأصغر منهما أمام الأكبر، فيعطي في البداية نظرة من الأمام ثم ومن منظور التاريخ اللاحق ينظر إليهما من أحد الجوانب فيرى المسافة الزمنية التي تفصل بينهما.

المنظور النبوي للأحداث المتعاقبة

هناك إذًا في أسفار الأنبياء بعض الأمور التي قد تخص الأحداث الأخيرة للدهر (انظر يؤ ٣: ١-٣؛ صف ٣: ٨-٩؛ زك ١٤: ٩). غير أن العقوبات الزمنية

التي كثيرًا ما ترد عادة مقترنة مع تلك الأحداث الأخيرة لا ينبغي أن نزج بها في المستقبل.

أيضًا يجدر بنا الإشارة إلى نقطة أخرى، وهي أن اللغة المتعلقة بالأخرويات كثيرًا ما تكون مجازية في طبيعتها. وقد تُعبِّر هذه المجازات أحيانًا عن لغة أحداث الأيام الأخيرة بواسطة الشعر، لكنها لا تهدف بالضرورة إلى التنبؤ عن تلك الأحداث فعليًا. يمكنك أن تجد مثالاً على ذلك في حزقيال ٣٧: ١-١٤.

فمثلاً باستخدام كلمة قيامة الموتى يمكننا أن نعرف أن هذا سيحدث في نهاية الدهر. أما أن يستخدم الله حزقيال للتنبوء بعودة الشعب من السبي في بابل في القرن السادس قبل الميلاد (الأعداد ١٢-١٤) فإن حادثة مثل هذه تعد ماضيًا بالنسبة لنا (كما هي موصوفة في عزرا ١-٢) يتم التنبؤ بها مجازًا بلغة أخروية - أي الكلمات التي نقصد من خلالها أواخر الأيام - كما لو أنها كانت حادثة من أحداث وقت النهاية.

تنبيه: مدلولات النبوة ومدلولاتها الثانية

ستجد في مواضع كثيرة في العهد الجديد إشارات إلى مقاطع بالعهد القديم قد لا تبدو بأنها تشير إلى ما يقوله العهد الجديد عنها، أي أن هذه المقاطع قد تبدو ذات معنى واضح ووثيق بمحيطها الأصلي في العهد القديم، ومع ذلك فهي قد تُستخدم مرتبطة بمعنى مختلف من قِبل أحد كُتّاب العهد الجديد.

كمثال على ذلك تأمل في قصتي إعطاء موسى وبني إسرائيل الماء معجزيًا من صخور البرية: مرة في رفيديم (خر ١٧: ١-٧) وأخرى في قادش (عد ٢٠: ١-١٣). تبدو هاتان القصتان في قرينتيهما الأصليتين بسيطتين وفي غاية الوضوح لكن بولس الرسول في ١كورنثوس ١٠: ٤ يشبه اختبار بني إسرائيل باعتباره لقاء مع المسيح، إذ يقول «لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية

تابعتهم، والصخرة كانت المسيح» لكن العهد القديم وفي كلتا القصتين لم يُشر إلى الصخرة إلا لكونها مجرد صخرة عادية. لقد أعطى بولس الرسول الصخرة مدلولًا ثانيًا مُعرفًا إياها بأنها السيد المسيح. إن مثل هذا المدلول الثاني يسمى بالمعنى الأكمل.

فلو فكرنا بعمق لوجدنا أن بولس الرسول قد رسم لنا تشبيهًا، وكأنه يقول: في الواقع إن الصخرة بالنسبة لهم كانت كالمسيح لنا – كما أنها مصدر عون لهم كذلك وبالطريقة نفسها الأمور الروحية هي مصدر عون لنا. وهنا نجد أن لغة المجاز قد طفت على ما يقوله بولس الرسول في الأعداد ٢-٤. لقد أراد لقرائه أن يفهموا أن اختبار الإسرائيليين في البرية هو بمثابة استعارة يمكن أن يشبه بها اختبارهم الخاص بالمسيح، وخاصة حول عشاء الرب.

ومن المرجح أننا نحن كقراء معاصرين لن نتمكن بأنفسنا من ملاحظة ذلك التشبيه الذي وصفه بولس. فلو لم يقم بولس الرسول بكتابة تلك الكلمات، هل كان بمقدورنا أن نفسر معنى السحابة والبحر بالمعمودية (عدد ٢)؟ أو المسيح بالصخرة (عدد ٤)؟ وبكلمات أخرى هل كان باستطاعتنا وحدنا أن نحدد بيقين ذلك المعنى الأكمل أو المدلول الثاني؟ والجواب هو: كلا فلقد أوحى الروح القدس إلى بولس بأن يقوم بهذا الربط التشبيهي بين تجربة بني إسرائيل في البرية والحياة في المسيح دون اتباع القواعد العامة للقرينة والنية والأسلوب والألفاظ (راجع أعلاه عنوان: النبي كمتنبئ عن المستقبل). لقد قاد الروح القدس بولس الرسول لوصف حقيقة نوال الإسرائيليين للماء من الصخر أكثر من مرة وذلك بلغة رمزية غير معتادة حيث قال إن صخرة روحية تابعتهم. كذلك يوجد الكثير من التفاصيل الأخرى المتعلقة باللغة التي يصف بها بولس الرسول أمورًا في ١كورنثوس ١٠: ١-٤ وهي تعتبر غير معتادة إلى حد كبير (مثلاً عندما قال: آباءنا جميعهم (عدد ١١) أو طعامًا وشرابًا روحيين (عدد ٣، ٤). وهنا نقول: ولأننا بطبيعة الحال لسنا كُتابًا أوحي لنا بكتابة الكتاب المقدس فمن غير المسموح لنا بأن نعمل ما قد عمله

بولس الرسول. فالروح القدس نفسه الذي أوحى لأحد كُتّاب العهد القديم أن يكتب مجموعة معينة من الكلمات أو مقطعًا ما، قادر على أن يوحي لكاتب من كُتّاب العهد الجديد أن يتجاوز الاعتبارات المعتادة للقرينة والقصد والأسلوب والألفاظ وأن يُعلن وجود معنى أكمل لمقطع العهد القديم. أما نحن فلسنا ممن أوحي لهم. ما لم يُضف العهد الجديد معنى أشمل على مقطع ما أو مجموعة من الكلمات فلا ينبغي لنا أن نفسر تلك المقاطع من العهد القديم هكذا ووبساطة وبناء على سلطتنا الخاصة.

لأننا بطبيعة الحال لسنا كُتّابًا أوحي لنا بكتابة الكتاب المقدس فمن غير المسموح لنا أن نعمل ما قد عمله بولس الرسول.

إن وسائل دراسة الكتاب المقدس ككتب التفسير والموسوعات والقواميس الكتابية والكتب المقدسة ذات الشواهد الكتابية - كل هذه تميل إلى تحديد المقاطع النبوية في العهد القديم التي لها مدلول ثان في العهد الجديد. وإليك بعض المواضع الشهيرة التي يضفي فيها العهد الجديد مدلولاً ثانيًا: متى ١: ٢٢-٢٣ (إش ٧: ١٤)، متى ٢: ١٥ (هو ١١: ١)، متى ٢: ١٧-١٨ (إر ٣١: ١٥)، يوحنا ١٢: ١٥ (زك ٩: ٩).

سنكتفي الآن بعرض أحد تلك المقاطع النبوية لتوضيح ظاهرة المدلول الثاني: متى ٢: ١٥، نقرأ في هوشع ١١: ١ ما يلي:

«لما كان إسرائيل غلامًا أحببته، ومن مصر دعوت ابني»

إن القرينة في هوشع هي إنقاذ بني إسرائيل من مصر بواسطة الخروج. والقصد هو إظهار كيف أن محبة الله لشعب إسرائيل هي مثل محبة الابن. والأسلوب كان أسلوب ترادفي، كالشعر المتوازي بحيث يكون «ابني» مرتبطًا مع أمة إسرائيل. والألفاظ كانت مجازية فقد صورت إسرائيل بلا شك كابن. أما الأقنوم الثاني في الثالوث أي المسيح فلا إشارة له بالمعنى الواضح المباشر

لهذه الآية. ولو لم تكن الآية ٢: ١٥ في متى البشير موجودة في الكتاب المقدس، لما خطر في بالنا على الإطلاق اعتبار آية هوشع نبوة عن يسوع الناصري. لكن كان لمتى امتياز لا نملكه نحن، فلقد حظي بوحي ذي سلطان من الروح نفسه الذي أوحى لهوشع بكتابة الآية ١١: ١ ولقد قام الروح نفسه بقيادة متى إلى إعادة استخدام كلمات هوشع بقرينة وقصد وأسلوب وألفاظ مختلفة وإلى ربطها مع كلمات أخرى تختص بالمسيا. لقد قام الروح القدس بغرس تلك الكلمات في سفر هوشع استعدادًا لإعادة استخدامها بشأن الأحداث المختصة بحياة يسوع المسيح. والبشير متى لم يقُم باستخدام تلك الكلمات عن يسوع قياسيًا على أساس مبدأ أو عملية التفسير والتفسير الاستنتاجي، لكنه استعار تلك الكلمات من قرينتها الأصلية وأعطاها مدلولاً جديدًا كاملاً وهو صاحب سلطة بعمل ذلك. أما نحن فلا يسعنا إلا قراءة وقبول ما قام به.

فائدة التشديد الثنائي على المعتقد القويم والتطبيق العملي القويم:

الأرثوذكسية تعني: المعتقد القويم. والأرثوبراكسية تعني: التطبيق القويم. فلقد قام الله من خلال الأنبياء بدعوة شعب إسرائيل ويهوذا القديم للموازنة ما بين المعتقد القويم والتطبيق القويم. وهذا الأمر بالطبع ظل المبدأ الذي يطالب به العهد الجديد أيضًا (انظر يع ١: ٢٧؛ ٢: ١٨؛ أف ٢: ٨-١٠). والذي أراده الله من إسرائيل ويهوذا هو بصورة عامة ما كان يريده منا. لقد ظل الأنبياء بمثابة مذكرين دائمين لنا بعزم الله على تطبيق عهده. فلأولئك الذين يطيعون شرطي العهد الجديد (محبة الله ومحبة القريب)، فإن النتيجة الأخيرة هي البركة على الرغم من عدم ضمان كون النتائج في هذه الحياة مشجعة جدًا. أما لمن لا يطيعون فالنتيجة لن تكون سوى لعنة، بصرف النظر عن مدى تنعُّم الإنسان أثناء حياته على الأرض، ومازال تحذير ملاخي ساريًا (ملا ٤: ٦).

المزامير

صلوات بني إسرائيل وصلواتنا

الفصل الحادي عشر

المزامير
صلوات بني إسرائيل وصلواتنا

- بعض الملاحظات الاستنتاجية.
- المزامير لدى بني إسرائيل قديمًا.
- أنواع المزامير.
- نماذج للشرح الاستنتاجي.
- ملاحظة خاصة على مزامير استنزال القضاء الإلهي.
- بعض الملاحظات الحياتية الختامية.
- تحذير.

إن سفر المزامير عبارة عن مجموعة من الصلوات والترانيم العبرية ذات الوحي الإلهي، وهو على الأرجح أكثر أسفار العهد القديم ألفة وتفضيلاً لدى

معظم المؤمنين. ولعل كثرة إلحاق المزامير بترجمات العهد الجديد واستخدامها في العبادة والتأمل قد أضفيا على هذا السفر شهرة خاصة. لكن، بالرغم من كل هذا فكثيرًا ما أُسئ فهم المزامير وبالتالي أُسئ استخدامها أيضًا.

ومشكلة تفسير المزامير برزت بالدرجة الأولى بسبب طبيعتها وماهيتها. ولأن الكتاب المقدس هو كلمة الله، فقد افترض معظم المؤمنين آليًا بأن كل محتويات الكتاب المقدس هي كلمة من الله إلى الناس. وهكذا أخفق كثيرون في إدراك أن الكتاب المقدس يحتوي أيضًا على كلام من الناس موجه إلى الله أو كلام عن الله، وأن هذا الكلام بالتالي هو كلمة الله.

والمزامير هي كلمات من هذه النوعية، أي أنه بسبب كونها في الأساس عبارة عن صلوات وترانيم فهي بطبيعتها موجهة إلى الله، أو تُعبِّر عن حق إلهي بواسطة الترنيم. وهذا ما يضعنا عادة في مواجهة مشكلة استثنائية عند تفسيرنا الحياتي للآيات المقدسة. إذ كيف لنا أن نتعامل مع الكلام الموجه إلى الله وكأنه كلام من الله لنا؟ والجواب هو: لأن المزامير ليست مجرد توصيات أو أوامر أو قصص توضح التعاليم، وليس المقصود منها أن تُعلِّمنا العقيدة أو المسلك الأدبي أولاً. لكنها مفيدة لنا وخاصة عندما نستخدمها للأغراض التي وضعها الله من أجلها والذي أوحى بها لنا بنفسه.

فالمزامير تساعدنا على:

١- التعبير لله عن ذواتنا. ٢- التأمل في طرقه.

إذن فالمزامير عظيمة في فائدتها للمسيحي الراغب في نيل العون من الكتاب المقدس ليشاركه تعبيره عن البهجة والحزن والنجاح والفشل والأمل والأسف.

إلا أنه كثيرًا ما يساء تطبيق معنى المزامير بسبب كثرة إساءة فهمها؛ إذ ليست جميع المزامير من نوعية المزمور الثالث والعشرين مثلاً من حيث كونها سهلة

التتبع منطقيًا أو سهلة التطبيق في القرن العشرين. ففي المزمور ٢٣ مثلاً يُرمز إلى الله كراع وإلى المرنم وبالتالي نحن كخراف؛ لأن رغبة الله هي رعايتنا في الأماكن الصالحة أو بمعنى آخر هدف الله هو سده الدائم لاحتياجاتنا وحمايتنا وتوفيره الخير لنا بكل سخاء هذا أمر واضح ومفهوم لكل مَنْ اعتاد الترنم بهذا المزمور.

لكن توجد مزامير أخرى لا يمكننا فهم معناها من النظرة الأولى. فعلى سبيل المثال كيف يمكن للدارس أن يستخدم مزمورًا يصطبغ بالسلبية تمامًا ويظهر شقاء المرنم في عبادة الكنيسة، أم أن مثل ذلك المزمور هو للاستخدام الشخصي فقط؟ وماذا عن مزمور يتحدث عن تاريخ بني إسرائيل وعن بركات الله عليهم، هل يمكن للمسيحي الاستفادة من هذا النوع من المزامير؟ أم أن مثل هذا المزمور هو وقف على اليهود فقط؟ أو ماذا عن المزامير التي تتنبأ بعمل المسيا؟ أو التي تثني على فوائد الحكمة؟ وماذا بشأن المزامير التي تتحدث عن أمجاد الملوك البشريين لشعب إسرائيل؟ في وقت نجد فيه أن قلة من الناس هي التي ماتزال تحيا في ظل أنظمة ملكية، فهل من الصعب لمزامير من هذا النوع أن تعني الكثير.

وأخيرًا، ما الذي يمكن للدارس أن يفعله بشأن الرغبة في ضرب أطفال البابليين بالصخرة في مزمور ١٣٧: ٨-٩؟

صديقنا الدارس، في الوقت الذي نحتاج فيه فعلاً إلى كتاب مطول لبحث كل أنواع المزامير، وكل الاستخدامات الممكنة لها، سنكتفي في هذا الفصل بإيراد بعض الإرشادات التي يمكنك بموجبها إدراك قيمة هذه المزامير واستخدامها في حياتك الخاصة، وحياة الكنيسة التي تنتمي إليها.

بعض الملاحظات الاستنتاجية التمهيدية

تمامًا كما هو الحال مع كل أنواع النصوص الأخرى للكتاب المقدس – ولأن المزامير تمتاز بأدب من نوع خاص – فهي إذن تتطلب عناية خاصة عند القراءة

والشرح، أي أنه علينا أن نفهم طبيعتها، بأنواعها المتعددة، وكذلك أن نفهم أشكالها ووظائفها.

المزامير كشعر:

ولعل أهم ما ينبغي أن تتذكره عند قراءتك أو تفسيرك لمزمور من المزامير – وهو الأمر الأكثر وضوحًا أيضًا – أن المزامير شعر، شعر موسيقي. وقد سبق لنا أن قمنا ببحث طبيعة الشعر العبري في الفصل السابق إلا أن نقاطاً ثلاثاً أخرى تحتاج منا لأن نربطها بالمزامير.

١ تحتاج صديقنا الدارس إلى إدراك أن الشعر العبري بطبيعته كان موجهًا – إذا جاز التعبير – لمخاطبة العقل بواسطة القلب (فمثلاً، تستطيع بسهولة أن تميز أن معظم اللغة المستخدمة في المزامير هي لغة عاطفية وعن قصد). لذلك عليك أخذ الحذر من المبالغة في التفسير الاستنتاجي للمزامير وتكون هذه المبالغة عادة فيما لو أردت البحث عن معنى خاص لكل كلمة أو جملة، في حين لم يكن في بال الشاعر أي منها. فعلى سبيل المثال أنت تذكر أن طبيعة الشعر العبري تتضمن شكلاً من أشكال التوازي، وأن أحد هذه الأشكال هو الشكل المسمى «التوازي الترادفي» حيث يقوم الشطر الثاني بإعادة أو تعزيز ما جاء في الشطر الأول. وفي هذا النوع من التوازي يقوم الشطران معًا بالتعبير عن قصد الشاعر ولا يقوم الشطر الثاني بمحاولة قول شيء جديد أو مختلف. وكمثال على ذلك تأمل في مطلع المزمور التاسع عشر (١٩: ١، ٢).

السموات تُحدِّث بمجد الله

والفلك يُخبر بعمل يديه

يوم إلى يوم يُذيع كلامًا

وليل إلى ليل يُبدي علمًا

يقوم المرنم في هذين البيتين من التوازي الترادفي بتمجيد الله كخالق. والنقطة الجوهرية يمكن وضعها في قالب نثري بالقول: إن الله ظاهر في خليقته وبخاصة في الأجرام السماوية. إلا أن نثرنا هذا لابد له من أن يبدو فاترًا أمام شعر المزمور الرائع. فلغة الشعر الرفيعة تُعبِّر عن المعنى بشكل أفضل وبطريقة سهلة الحفظ.

لاحظ أن الشطور الأربعة لا تقول أربعة أمور مختلفة مع أن الجزء الثاني يضيف شيئًا جديدًا وهو أن السماوات تعلن صانعها ليلاً ونهارًا. مع أن الشاعر لا يشير في الجزء الأول إلى أن السماوات تفعل شيئًا والفلك يفعل شيئًا آخر، فكلا شطري الجزء الأول يعلنان معًا نفس الحقيقة المجيدة.

هنا على الدارس أن يتذكر أيضًا أن المزامير ليست مجرد نوع من أنواع الشعر بل هي شعر موسيقي أو قصائد. إذ لا يمكنه قراءة الشعر الموسيقي بالطريقة نفسها التي يقرأ بها رسالة أو قصة من الكتاب المقدس أو مقطعًا من الشريعة. فالقصد من الشعر الموسيقي التأثير في العواطف وإثارة المشاعر لا التفكير المنطقي، وخلق استجابة من جانب القارئ تفوق مجرد فهم أو استيعاب حقائق معينة. وهنا نقول إنه في الوقت الذي تحتوي فيه المزامير على التعاليم السلوكية وتعكس أيضًا بعض التعاليم العقائدية، لكنها تكاد لا تعد مصدرًا للشرح العقائدي ولا يمكن أن تقوم بقراءة المزامير وكأنها تقدم تعليمًا عقائديًا متكاملاً. إن كون المزامير تتناول أنواعًا معينة من الموضوعات بطريقتها الموسيقية والشعرية فهذا لا يعطينا الحق بالافتراض تلقائيًا بأن الطريقة المستخدمة في المزامير للتعبير عن قضية ما هي بالضرورة مادة للبحث والجدل الذهني.

فمن منا عندما يرنم بأن إلهنا هو حصن منيع يفترض أن الله في طبيعته هو نوع من التحصينات أو بمثابة سور لا يمكن اختراقه؟ كلنا يعلم بأن الحصن

المنيع هو أسلوب رمزي في تصورنا لله. كذلك عندما يقول المرنم وبالخطية حبلت بي أمي (مز ٥١: ٥) فهو لا يحاول التعليم بأن الحبل خطية، أو أن كل أنواع الحب خطية، أو أن أمه كانت آثمة لأنها حبلت، أو أي شيء من هذا القبيل. في الحقيقة قام المرنم باستخدام أسلوب المبالغة الهادفة كي يصور لنا بقوة وحيوية أنه إنسان خاطئ. وأنت صديقنا الدارس عندما تقرأ المزامير، انتبه لكي لا تستخلص منها نظريات لم تكن مستهدفة على الإطلاق من قِبل الشاعر الموسيقي الذي أُوحي إليه بكتابة تلك القصائد.

٣ من المهم أيضًا أن تتذكر بأن المفردات الشعرية هي مجاز مقصود. لذلك يفترض فينا الحرص على البحث عن القصد من المجاز. ففي المزامير، تقفز الجبال كالكباش (١١٤: ٤) يالها من طريقة عجيبة في الترنم بالمعجزات التي رافقت الخروج «سيوف في شفاه الأعداء» (٥٩: ٧) من ذا الذي لم يحس بالألم الحاد الناجم عن الافتراء أو الكذب؟ وفي مرات عديدة نرى الله مصورًا كالراعي أو الحصن، أو الترس، أو الصخرة، وهنا نؤكد على أنه من المهم جدًا تعلم الإصغاء للمجازات وإدراك ما ترمز إليه.

من المهم أيضًا عدم المغالاة من جهة المجازات أو أخذها بالمعنى الحرفي. فإذا أخذ أحدهم المزمور ٢٣ حرفيًا على سبيل المثال فقد يقع في خطأ فادح وذلك بافتراض أن الله يريدنا أن نكون ونتصرف كالخراف، أو أنه يريدنا أن نحيا حياة ريفية كالرعاة. فعدم القدرة على استيعاب اللغة الرمزية (المجاز والتشبيه) والقيام بتحويل الأفكار الرمزية في المزمور إلى حقائق، يمكن أن يقود الدارس إلى سوء تطبيق المزمور كليًا.

المزامير كأدب:

ولأن المزامير - كشعر موسيقي - هي نوع من أنواع النصوص، فمن المهم

الانتباه إلى بعض الملامح الأدبية للمزامير عند قراءتها أو دراستها. إذ يمكن أن يؤدي الفشل في ملاحظة هذه الملامح إلى أخطاء عديدة في التفسير والتطبيق.

١ تنتمي المزامير إلى أنواع عديدة ومختلفة من الفنون الأدبية. وبسبب الأهمية الكبيرة لهذه الحقيقة أثناء فهمك للمزامير، سنسهب في الحديث عن هذه الأنواع الأساسية لاحقًا في هذا الفصل. أما الآن فما يهمنا أن تعرفه هو أن بني إسرائيل كانوا مُلمين بكافة هذه الأنواع. وكانوا يعرفون الفرق بين مزمور المرثاة (حيث يُعبِّر الأفراد أو الجماعات عن الحزن أمام الرب ويقومون بطلب المعونة) ومزمور الحمد (حيث يُعبِّر الأفراد أو الجماعات عن بهجتهم برحمة الله التي أسبغها عليهم بالفعل). أما في بيئتنا نحن، فلا نقوم عادة باستخدام المزامير كما استخدمها بنو إسرائيل. إذ من الصعب على أحدنا أن يفهم مزمورًا ما، ما لم يكن مُلمًا بنوع المزمور الذي يقرأه.

٢ يتميز كل مزمور أيضًا بصيغته. ونقصد بالصيغة النوع المحدد بالسمات (وبخاصة البنية)، هذا النوع الذي تشترك فيه مجموعة من المزامير. فعندما يفهم الدارس بنية مزمور ما، عندها فقط يستطيع تتبع أحداث ذلك المزمور. فيمكنه على سبيل المثال تمييز الانتقال من موضوع إلى آخر، وإدراك كيفية توجه المرنم للتركيز على بعض الأمور وذلك من أجل إدراك رسالة المزمور. في دراسة كهذه ستتمكن صديقنا من رؤية ذلك بوضوح من خلال الأمثلة الاستنتاجية التي سنوردها لاحقًا.

٣ كل نوع في المزامير يهدف إلى أداء وظيفة معينة في حياة بني إسرائيل. وبسبب احتلال هذه القضية أهمية خاصة، لذلك سوف نعطيها اهتمامًا خاصًا أدناه. أما الآن، فما علينا إلا أن نتذكر بأن لكل مزمور هدفًا مقصودًا منه. فعلى سبيل المثال، ليس من المنطق في شيء أن نقوم بقراءة مزمور ملوكي في حفل زفاف، وذلك لأن وظيفة هذا المزمور الأصلية كانت الاحتفال

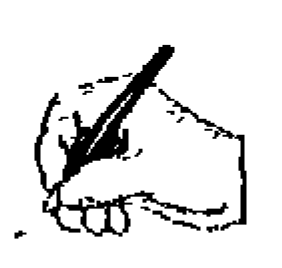
بنظام إسرائيل الملكي الذي يُمسح فيه الملك. ولم يكن مقصودًا منه أبدًا أن يُستخدم في مراسم الزفاف.

٤ على الدارس أن يتعلم أيضًا تمييز الأنماط المختلفة في المزامير. إذ كثيرًا ما كان المرنمون يجدون سرورًا في ترتيبات معينة أو تكرار معين لكلمات وأصوات، وكذلك في استخدام أساليب لغوية متعددة المعاني. علاوة على ذلك، تتميز بعض المزامير بالأسلوب الجمالي، فلو جمعت مثلاً أوائل حروف أبيات القصيدة أو أواخرها فستشكل هذه الحروف الأبجدية كاملة. والمزمور ١١٩ مثال على ذلك، فنمط السرد والتكرار الذي يميزه يقود القارئ وبشكل فاعل إلى قائمة من الفوائد التي يمكن أن يجنيها من شريعة الله، وإلى المسؤوليات المترتبة تجاه تلك الشريعة.

٥ أخيرًا ينبغي قراءة كل مزمور كوحدة أدبية. إذ يجب التعامل مع كل مزمور كوحدة واحدة، بدلاً من تجزئته إلى آيات منفردة أو أفكار مستقلة، كما يحدث عادة أثناء التعامل مع سفر الأمثال، حيث نرى الأمثال كاللآلئ الكثيرة المربوطة بعقد بحيث يتم التمتع بكل لؤلؤة على حدة، في منأى عن اللآلئ الأخرى. ومن المفيد أيضًا عند قراءة المزامير أن نتتبع تدفق المزمور وتوازنه. فلكل مزمور نمطه في التوسع بحيث يتم تطوير أفكاره وتقديمها للخروج منها بخلاصة ما.

ونظرًا لتميز أي مزمور بالوحدة الأدبية، فعلى الدارس أن يحذر بشكل خاص أخذ آيات بمفردها من مزمور ما بالانفصال عن قرينتها، وتفسيرها بناء على فحواها فقط وكأنها لا تحتاج إلى قرينة تُفسر بموجبها. فعلى سبيل المثال، تأمل في مزمور ١٠٥: ٣٤ «أمر فجاء الجراد وغوغاء بلا عدد»، إن قمنا بعزل هذه الآية عن قرينتها فقد يبدو عندها وكأن الجراد والغوغاء بشكل عام هم وكلاء الله المعينون للقيام بمهام في الأرض، أو كأن الجراد والغوغاء هي وسيلة الله

لتنفيذ كلمته. في هذه الحالة كيف يمكننا إذًا أن نوفق بين هذا وما جاء في مزمور ٨٥: ١٢ أيضًا «الرب يعطي الخير، وأرضنا تعطي غلتها» خاصة وأن الجراد والغوغاء سبب خراب الأرض (انظر يؤ ٢: ٢٥)؟ وكيف يمكن لكلمة الله أن تجلب الجراد والغوغاء في الوقت الذي يؤكد الله فيه أنه سيجلب الخير على الأرض وأن الأرض ستعطي غلتها؟ الجواب طبعًا هو وجود إطار للمعنى في القرينة الكاملة للقصائد الموسيقية التي تنتمي إليها كل آية، وذلك الإطار هو الذي يساعد عادة في تحديد معاني الكلمات في آيات كهذه، كما يساعد على فهمها بحسب القصد الحقيقي منها وليس بحسب بعض المقاصد التي يمكن أن نعزوها نحن لتلك الكلمات في غياب فهمنا للقرينة. المزمور ٨٥ يمثل استعراضًا للخيرات التي يُنعم بها الله على أرض إسرائيل كمثال على مدى وفائه بعهوده. أما المزمور ١٠٥ فيصف الطريقة التي استخدم الله بها الجراد والغوغاء في أيام الضربة التي أجبر بها فرعون على إطلاق بني إسرائيل من أرض مصر.



على الدارس أن يحذر بشكل خاص أخذ آيات بمفردها من مزمور ما بالانفصال عن قرينتها.

في الحقيقة إن إخراج أجزاء من المزامير من قرينتها يؤدي إلى خلاصات غير صحيحة. وكلما قام أحدهم بأخذ قطعة أدبية واستخدمها بشكل غير صحيح، ستعجز تلك القطعة الأدبية عن أداء الدور المُسند إليها أصلاً. ولو أدى الأمر إلى إساءة تطبيق جزء واحد فقط من أي مزمور فسيؤدي ذلك إلى إساءة فهم قصد الله عندما أوحى بذلك الجزء.

المزامير لدى بني إسرائيل قديمًا

كانت المزامير أناشيد ذات وظيفة، إذ كتبت لتستخدم في العبادة عند بني

إسرائيل القدامى. وعندما نقول إن للمزامير وظيفة، فمعنى ذلك أنها لم تكن مجرد ترانيم تُرنم كما في أيامنا وتفصل بين أجزاء خدمة العبادة استعدادًا لسماع العظة، لكنها شكلت وظيفة هامة في الربط ما بين الساجد والله.

وهنا نقول إنه ليس من الممكن تحديد تاريخ كتابة معظم المزامير، إلا أن هذا لا يُشكل مشكلة استنتاجية كبيرة بالنسبة لنا. فالمزامير صالحة بشكل ملحوظ لكل الأزمنة. ومع أن استخداماتها في إسرائيل قديمًا تُعد بمثابة دروس لنا، لكنها لا تقيّدنا بأسلوب العبادة والصلاة الذي كان سائدًا آنذاك. وفي الوقت الذي تتحدث فيه المزامير إلى قلوب المسيحيين كأفراد أو كجماعة تجتمع معًا للعبادة، فإن قيمتها التي لا تحدها الحدود البيئية أو الجغرافية تبدو واضحة للعيان.

كانت المزامير في الأزمنة القديمة تستخدم عمومًا في توجيه العبادة عندما كان بنو إسرائيل يقدمون الذبائح في الهيكل في أورشليم. وهنا من الجائز القول إن المرنمين الموهوبين كانوا ينشدون المزامير أثناء قيام الشعب بالعبادة، مع أن هذا الأمر صعب الإثبات. لكن من الواضح أن المزامير ومعرفة المزامير شقت طريقها إلى خارج الهيكل، وبدأ الناس ينشدونها في مواقف كثيرة خاصة عندما كانت كلمات المزامير تُعبِّر عن ظروفهم وأحوالهم. ولقد تم أخيرًا جمع المزامير في خمسة كتب (الكتاب الأول مزمور ١-٤١، الكتاب الثاني مزمور ٤٢-٧٢، الكتاب الثالث مزمور ٧٣-٨٩، الكتاب الرابع مزمور ٩٠-١٠٦، الكتاب الخامس مزمور ١٠٧-١٥٠). ولأن مجموعات معينة من المزامير تتمتع بمميزات خاصة، فمن المحتمل أنها جُمعت أصلاً ضمن فئات إضافية ثم تم ضمها فيما بعد للكتب الخمسة الرئيسية. مع أن هذه الفئات لا تُشكل الآن أية أهمية في الترتيب الحالي لسفر المزامير، وذلك لأننا نرى فيه أشكالاً أدبية كثيرة ومختلفة موزعة في أنحاء السفر كله.

وبحسب عناوين المزامير، التي لم تكن جزءًا من المزامير نفسها، فإن داود

كتب نصف سفر المزامير تقريبًا إذ قد كتب ما مجموعه ٧٣ مزمورًا. أما موسى فقد كتب مزمورًا واحدًا مزمور ٩٠ وكتب سليمان مزمورين ٧٢، ١٢٧ وقام بنو آساف وبنو قورح بكتابة عدة مزامير أخرى... إلخ.

ومما يبدو واضحًا أنه لدى عودة بني إسرائيل من السبي وبنائهم الهيكل تم جمع المزامير في مجموعة رسمية لتكون بمثابة كتاب ترانيم الهيكل وتم وضع المزمور الأول في البداية كمقدمة للباقي والمزمور ١٥٠ في النهاية كخاتمة.

ويمكننا أن نفهم من العهد الجديد بأن الرب يسوع وتلاميذه بشكل خاص، واليهود بشكل عام كانوا يعرفون المزامير جيدًا، فقد كانت جزءًا من عبادتهم. حتى بولس الرسول يمكننا أن نراه وهو يحث المسيحيين الأوائل في أن يشجعوا بعضهم بعضًا بالمزامير «مكلمين بعضكم بعضًا بمزامير وتسابيح وأغاني روحية» (أف ٥: ١٩؛ كو ٣: ١٦).

إن هذه التعابير الثلاثة يمكن أن تشير إلى المزامير مع أنه من المحتمل أيضًا أن يكون بولس الرسول قد قصد أنواعًا أخرى من الترنيم المسيحي القديم.

أنواع المزامير

من الممكن تصنيف المزامير تحت سبعة أنواع مختلفة، ومع أننا قد نجد أحيانًا تداخلاً بين تلك الأنواع، إضافة إلى وجود أنواع أصغر تنقسم إليها، إلا أن هذا التصنيف نافع لإرشاد القارئ للإفادة من المزامير جيدًا.

مزامير الرثاء:

تشكل مزامير الرثاء المجموعة الأكبر من المزامير في هذا السفر، إذ يوجد أكثر من ستين مزمورًا رثائيًا بما فيها مزامير تحكي عن مراثي فردية وأخرى

جماعية. إن المراثي الفردية (مثل ٣، ٢٢، ٣١، ٣٩، ٤٢، ٥٧، ٧١، ١٣٩، ١٢٠، ١٤٢) هي مزامير تساعد قارئها على التعبير للرب عن الصراعات أو الجهاد، أو خيبة الأمل. أما المراثي «الجماعية» (مثل١٢، ٤٤، ٨٠، ٩٤، ١٣٧) فهي تفعل الفعل ذاته لكن لمجموعة من الناس وليس لفرد واحد. فهل أنت مُثبط العزيمة؟ هل تمر كنيستك في مرحلة صعبة؟ هل أنت ضمن مجموعة كبيرة كانت أم صغيرة وتتساءل لماذا لا تسير الأمور كما ينبغي؟ إن كان الأمر كذلك، فإن استخدام المراثي ربما سيكون عاملاً مساعدًا في تمكينك من التعبير للرب عن إحباطك. كثيرًا ما مر الشعب اليهودي القديم بأوقات عسيرة، وها هي المراثي في سفر المزامير تُعبِّر عن الضيق الذي عاناه ذلك الشعب تعبيرًا عميقًا وصادقًا.

مزامير الحمد:

استخدمت هذه المزامير، كما يدلنا عليها الاسم أعلاه، في ظروف مغايرة تمامًا لتلك التي استدعت المراثي. إذ أن هذه المزامير قد عبَّرت للرب عن الفرح لحدوث أمر جيد، أو لسير الأحوال بشكل حسن، أو لربما كُتبت لأن الشعب أحس بدافع تقديم الشكر لله على أمانته، وحمايته، وخيراته. تقوم عادة مزامير الشكر بمساعدة قارئها على التعبير عن أفكار ومشاعر الامتنان. وفي مجموعها، نرى ستة مزامير حمد جماعية (٦٥، ٦٧، ٧٥، ١٠٧، ١٢٤، ١٣٦) وعشر مزامير حمد فردية (١٨، ٣٠، ٣٢، ٣٤، ٤٠، ٦٦، ٩٢، ١١٦، ١١٨، ١٣٨) في هذا السفر.

مزامير التسبيح:

دون الإشارة إلى المحن السابقة أو الإنجازات المفرحة. هذه المزامير جاءت تركز فقط على تسبيح الله على شخصه، وعلى عظمته وجوده لكل الأرض، كما لشعبه. بالطبع يمكننا تسبيح وتمجيد الله كخالق الأكوان (مزمور ٨، ١٩، ١٠٤، ١٤٨). ويمكن تسبيحه أيضًا لكونه المدافع عن بني إسرائيل والمعطي لهم الخيرات

(٦٦، ١٠٠، ١١١، ١١٤، ١٤٩). كما أنه يمكننا تسبيحه كالسيد على التاريخ (٣٣، ١٠٣، ١١٣، ١١٧، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧). فالله إذًا يستحق التمجيد. وهذه المزامير تناسب بشكل خاص تسبيح الله سواء في العبادة الفردية أو الجماعية.

مزامير تاريخ الخلاص:

تركز هذه المزامير القليلة (٧٨، ١٠٥، ١٠٦، ١٣٥، ١٣٦) على استعراض لتاريخ أعمال الله الخلاصية لبني إسرائيل، وبخاصة إنقاذه لهم من العبودية في مصر، وتكوينه لهم كأمة.

مزامير الاحتفالات:

نجد أنواعًا عديدة من المزامير هنا تحت هذا الباب. فالمجموعة الأولى هي «صلوات تجديد العهد» مثل المزمورين ٥٠، ٨١ اللذين يهدفان إلى قيادة الناس إلى تجديد العهد الذي أعطاهم الله إياه قبلاً على جبل سيناء. وتمثل هذه المزامير إرشادات مفيدة لاجتماع غرضه تجديد عهودنا. وكثيرًا ما تم تسمية المزمورين ٨٩، ١٣٢ مزموري داود للعهد إذ يبرزان أهمية اختيار الله لنسل داود. وحيث أن هذا النسل قد جاء منه ربنا يسوع المسيح فهذه المزامير تشكل خلفية لخدمته كالمسيا. هناك أيضًا تسعة مزامير أخرى في سفر المزامير تتناول قضية الملك بشكل خاص، ونطلق على هذه المزامير اسم المزامير الملكية (٢، ١٨، ٢٠، ٢١، ٤٥، ٧٢، ١٠١، ١١٠، ١٤٤). يُشكِّل أحد تلك المزامير (١٨) مزمور حمد ملكي، بينما يشكل آخر (١٤٤) مرثاة ملكية. لقد كانت الملكية عند بني إسرائيل نظامًا هامًا، لأن الله كان يوفر من خلاله الاستقرار والحماية. وعلى الرغم من أن معظم ملوك بني إسرائيل كانوا غير أمناء لله فقد كان الله قادرًا على استخدامهم للأغراض النافعة. فالله يعمل في المجتمع من خلال وسائط، ولعل مدح وظيفة تلك الوسائط هو ما نجده في المزامير الملكية.

إن المزامير التي أسميناها مزامير التتويج (٢٤، ٢٩، ٤٧، ٩٣، ٩٥-٩٩)، كانت مرتبطة عادة بالمزامير الملكية. ولعل هذه المزامير قد استخدمت فعلاً في احتفالات اعتلاء الملوك لعرش إسرائيل قديمًا، وربما كانت هذه الاحتفالات تتكرر سنويًا. ولقد اتفق بعض الدارسين على أن تلك المزامير كانت تمثل تتويج الرب نفسه، وأنها استخدمت كصلوات في بعض المناسبات التي احتفل فيها بهذا الأمر، لكن الدليل على ذلك غير كاف.

وأخيرًا، هناك فئة من المزامير تدعى أناشيد صهيون أو أناشيد مدينة أورشليم (٤٦، ٤٨، ٧٦، ٨٤، ٨٧، ١٢٢). فبحسب النبوات التي أعطاها الله لموسى في البرية (مثلاً تثنية ١٢)، كانت أورشليم المدينة المركزية لإسرائيل، وفيها بنى الهيكل، ومنها مارس داود سلطاته الملكية. لذلك تحتل أورشليم بصفتها المدينة المقدسة مكانة هامة في احتفالات واهتمام تلك الأناشيد. وحيث أن العهد الجديد يستخدم كثيرًا الرمز الخاص بأورشليم الجديدة (السماء) تظل هذه المزامير جزءًا مفيدًا من العبادة المسيحية.

مزامير الحكمة:

يمكن إدراج ثمانية مزامير تحت هذا الباب (٣٦، ٣٧، ٤٩، ٧٣، ١١٢، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٣). ويمكننا القول أيضًا بأن أمثال ٨ هو مزمور في حد ذاته، يمتدح - مثله مثل المزامير الأخرى - فضائل الحكمة والحياة بحكمة. ومن أجل الفائدة، يمكن قراءة تلك المزامير جنبًا إلى جنب مع سفر الأمثال (انظر الفصل ١٢).

مزامير الاتكال:

هذه المزامير العشرة (١١، ١٦، ٢٣، ٢٧، ٦٢، ٦٣، ٩١، ١٢١، ١٢٥، ١٣١)، تركز انتباهنا على حقيقة أنه يمكن الاتكال على الله والثقة به، وأنه حتى وفي

أوقات اليأس، فإنه ينبغي التعبير عن صلاح الله وعنايته بشعبه. فالله يبتهج عندما يرى الذين يؤمنون به وقد وثقوا فيه وائتمنوه على حياتهم وعلى ما يختار هو أن يمنحهم. نعم فهذه المزامير تساعدنا على التعبير عن ثقتنا بالله، سواء كانت أوضاعنا حسنة أم لا.

نماذج للشرح الاستنتاجي

حتى نتمكن من توضيح أن معرفة نمط المزمور وبنيته يساعدنا في فهم رسالته، قمنا باختيار مزمورين للدراسة، أحدهما مرثاة شخصية والآخر مزمور حمد.

المزمور الثالث: مرثاة

عند قيام الدارسين بمقارنة جميع مزامير المراثي، استطاعوا فرز ستة عناصر تظهر بطريقة أو بأخرى في جميع تلك المزامير. وإليك هذه العناصر بحسب ترتيبها الأكثر تكرارًا:

١ **العنوان:** وهنا يقوم كاتب المزمور بتحديد هوية مَنْ كتب المزمور لأجله وهو بطبيعة الحال الرب.

٢ **الشكوى:** يقوم المرنم أو كاتب المزمور في هذا الجزء بتقديم شكواه بكل صدق وفاعلية ذاكرًا طبيعة المشكلة والسبب الذي استدعى تدخل الله.

٣ **الاتكال:** أما هنا فيقوم المرنم مباشرة بالتعبير عن الاتكال على الله (لماذا تشكو إلى الله طالما لا تثق به؟) علاوة على ذلك عليك أن تثق في الله لكي يجيب شكواك بالطريقة التي يراها هو مناسبة وليس بالضرورة أن تكون كما تراها أنت.

٤ **الإنقاذ:** في هذا المقطع يتوسل المرنم إلى الله لكي ينقذه من الحالة التي قدم وصفًا لها في شكواه.

٥ **اليقين:** هنا يُعبِّر المرنم عن يقينه من أن الله سيقوم بالإنقاذ وهذا اليقين عادة ما يوازي عملية التعبير عن الثقة.

٦ **التسبيح:** في النهاية يقوم المرنم بالتسبيح شاكرًا الله ومعطيًا إياه المجد والكرامة من أجل بركات الماضي والحاضر والمستقبل.

اَلمَزْمُورُ الثَّالثُ

مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ حِينَمَا هَرَبَ مِنْ وَجْهِ أَبْشَالُومَ ابْنِهِ

[١] يَا رَبُّ، مَا أَكْثَرَ مُضَايِقِيَّ!

كَثِيرُونَ قَائِمُونَ عَلَيَّ.

[٢] كَثِيرُونَ يَقُولُونَ لِنَفْسِي:

«لَيْسَ لَهُ خَلاَصٌ بِإِلهِهِ».

سِلاَهْ.

[٣] أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ فَتُرْسٌ لِي.

مَجْدِي وَرَافِعُ رَأْسِي.

[٤] بِصَوْتِي إِلَى الرَّبِّ أَصْرُخُ،

فَيُجِيبُنِي مِنْ جَبَلِ قُدْسِهِ.

سِلاَهْ.

[٥] أَنَا اضْطَجَعْتُ وَنِمْتُ.

اسْتَيْقَظْتُ لِأَنَّ الرَّبَّ يَعْضُدُنِي.
[6]لاَ أَخَافُ مِنْ رِبْوَاتِ ا لشُّعُوبِ
الْمُصْطَفِينَ عَلَيَّ مِنْ حَوْلِي.
[7]قُمْ يَا رَبُّ! خَلصْنِي يَا إِلهِي!
لِأَنَّكَ ضَرَبْتَ كُلَّ أَعْدَائِي عَلَى الْفَك.
هَشَّمْتَ أَسْنَانَ الْأَشْرَارِ.
[8]لِلرَّب الْخَلاَصُ.
عَلَى شَعْبِكَ بَرَكَتُكَ.
سِلاَهْ.

يمكنك التعرف إلى العناصر الستة للمرثاة في المزمور أعلاه كما يلي:

١ **العنوان**: وهو يا رب (عدد ١) لاحظ عدم وجوب الإطالة والتفنن في العنوان فالصلوات البسيطة تساوي الصلوات البليغة في فاعليتها؛ إذ لا نحتاج معها إلى أن نتملق الله.

٢ **الشكوى**: نرى الشكوى موصوفة في باقي العدد الأول وكل العدد الثاني حيث يصف داود الأعداء (الذين يمكن أن يكونوا في هذه المزامير رموزًا مشخصة لكل أنواع البؤس أو المشاكل) ثم يصف مدى كآبة حاله. وهنا نقول بأنه يمكننا التعبير عن أية صعوبة بهذا الشكل.

٣ **الاتكال**: تشكل الأعداد ٣-٦ هنا تعبيرًا عن الثقة في الرب فهي تصف مَنْ هو الرب، وكيفية إجابته الصلاة، وكيفية حفظه لسلامة شعبه حتى عندما

يبدو الحال دافعًا إلى اليأس - وبالتالي، فإن جميع هذه تشير إلى أن الله أهل للثقة.

٤ **الإنقاذ:** في الجزء الأول من العدد ٧ يقوم داود بالتعبير عن التماسه (والتماسنا) عون الرب (قم يا رب خلصني يا إلهي). لاحظ كيف أن طلب المعونة بشكل مباشر ظل حبيسًا حتى هذه المرحلة من المزمور وجاء بعد التعبير عن الثقة بالله. وهذا الترتيب أمر اعتيادي إلا أنه ليس مطلبًا أو شرطًا. ويمكننا أن نلاحظ هنا بأن التوازن بين الطلب والتسبيح يميز هذه المراثي ويجدر بنا أن نتعلَّم هذا في صلواتنا.

٥ **اليقين:** يتألف عنصر اليقين هنا مما قد تبقى من العدد السابع «لأنك ضربت كل أعدائي على الفك. هشمت أسنان الأشرار». وقد تتساءل وأي يقين هو هذا الذي يصور الله كملاكم؟ والجواب هنا مرة أخرى هو: أن اللغة المستخدمة في هذا العدد هي لغة مجازية وليست حرفية. ولعل التعبير التالي يعتبر إعادة صياغة لهذا العدد صياغة ملائمة: (أنت قمت يا رب بطرح كل مشاكلي عني) وذلك لأن كلمة الأعداء وكلمة الأشرار عادة ما ترمز إلى المشاكل والمحن التي عصفت بداود وتعصف الآن بنا. فبهذه اللوحة الناطقة تم تصوير هزيمة ما يعترض طرقنا؛ لكن تذكر بأن هذا المقطع من المزمور لا يعد شعب الله بعدم الوقوع في المشاكل، لكنه يؤكد على أن الله وفي توقيته الإلهي سيرعى شؤوننا وسط المشاكل الكبيرة التي تعترضنا وبحسب خطته لنا.

٦ **التسبيح:** أما العدد الثامن فيُعبِّر عن تمجيد الله على أمانته، ويسمى الله هنا بالمخلِّص، وفي معرض طلب بركته يعلن المرنم بأن الله هو مصدر البركة. (إذ أنك لن تسأل عن البركة ممن لا يعطونها).

هناك الكثير لنتعلمه من المرثاة الواردة بالمزمور الثالث، ولعل أهمية الصلاة المتوازنة تحتل رأس القائمة (يجب موازنة الطلبة بالشكر والشكوى بالثقة). إن

الأمانة في ما نقوله تقودنا إلى التعبير عن أنفسنا بصراحة قدام الله بدون محاولة تغطية مشاكلنا (لاحظ مدى الحرية أو القوة التي حددت لداود كيفية التعبير عن شكواه والتماسه).

وعلى الرغم مما سبق فإن غاية المزمور ليست التعليم بل الإرشاد. ويمكننا استخدام هذا المزمور عندما نصل إلى حافة اليأس والإحباط وعندما نحس بالهزيمة من جراء ما يدور حولنا من مشاكل. في الحقيقة إن مزمورًا كهذا يساعدنا على التعبير عن أفكارنا ومشاعرنا وعلى الاتكال على أمانة الله، تمامًا كما ساعد بني إسرائيل قديمًا. فلقد وضع الله في الكتاب المقدس هذا النوع من المزامير ليمكننا من الاتصال به: «ملقين كل همكم عليه لأنه هو يعتني بكم» (١بط ٥ : ٧).

أما مزامير الرثاء الجماعي فهي تسير على هذا النمط السابق ذي الخطوات الست. وبإمكان الكنيسة أو جماعة من المؤمنين استخدام هذه المزامير كصلاة عند مواجهة الصعوبات بطريقة تماثل طريقة استخدام الفرد للمزمور الثالث.

المزمور المئة والثامن والثلاثون: مزمور حمد

تتمتع مزامير الحمد ببنية مختلفة كما هو متوقع لأنها تُعبِّر عن هدف مختلف.

إليك عناصر مزمور الحمد:

١ **المقدمة:** يتم هنا تلخيص شهادة المرنم لمعونة الله التي عملها.

٢ **المحنة:** يتم وصف الحالة التي تدخل الله فيها للإنقاذ.

٣ **الالتماس:** يكرر المرنم الالتماس الذي قدمه لله.

٤ **الإنقاذ:** يتم وصف الإنقاذ الذي قام به الله.

٥ **الشهادة:** يتم تسبيح الله على رحمته.

وكما ترى من العناصر السابقة، فإن مزامير الحمد تركز على الترنم بمراحم الله السابقة. فمزمور الحمد عادة يشكر الله على ما صنعه. لكن يمكننا وبسهولة أن نُغير في ترتيب هذه العناصر بشكل كبير، لأن الترتيب الثابت لهذه العناصر يحد وبشكل غير ملائم من التجديد الذي يقوم به المرنم بوحي إلهي.

المزمور المئة والثامن والثلاثون

لِدَاوُدَ

[١] أَحْمَدُكَ مِنْ كُل قَلْبِي.
قُدَّامَ الآلِهَةِ أُرَنمُ لَكَ.
[٢] أَسْجُدُ في هَيْكَلِ قُدْسِكَ،
وَأَحْمَدُ اسْمَكَ عَلَى رَحْمَتِكَ وَحَقكَ،
لِأَنَّكَ قَدْ عَظَّمْتَ كَلِمَتَكَ عَلَى كُل اسْمِكَ.
[٣] في يَوْمَ دَعَوْتُكَ أَجَبْتَنِي.
شَجَّعْتَنِي قُوَّةً في نَفْسِي.
[٤] يَحْمَدُكَ يَا رَبُّ كُلُّ مُلُوكِ الأَرْضِ،
إِذَا سَمِعُوا كَلِمَاتِ فَمِكَ.
[٥] وَيُرَنمُونَ في طُرُقِ الرَّب،
لِأَنَّ مَجْدَ الرَّب عَظِيمٌ.
[٦] لِأَنَّ الرَّبَّ عَالٍ وَيَرَى الْمُتَوَاضِعَ،
أَمَّا الْمُتَكَبرُ فَيَعْرِفُهُ مِنْ بَعِيدٍ.

[7] إِنْ سَلَكْتُ فِي وَسَطِ الضِّيقِ تُحْيِينِي.
عَلَى غَضَبِ أَعْدَائِي تَمُدُّ يَدَكَ،
وَتُخَلِّصُنِي يَمِينُكَ.
[8] الرَّبُّ يُحَامِي عَنِّي.
يَا رَبُّ، رَحْمَتُكَ إِلَى الأَبَدِ.
عَنْ أَعْمَالِ يَدَيْكَ لاَ تَتَخَلَّ.

١ **المقدمة:** يُعبِّر داود في العددين ١-٢ عن عزمه على حمد الله على محبته وأمانته اللتين أظهرهما، وكذلك على عظمة الله التي في حد ذاتها تستحق الثناء.

٢ **المحنة:** لا توجد أية إشارة في العدد ٣ إلى طبيعة المحنة - التي قد تكون نوعًا من الصعوبة التي صرخ داود إلى الله في وسطها، وعليه فإن هذا المزمور يصلح لكل مؤمن يرغب في شكر الله على أي نوع من المعونة.

٣ **الالتماس:** العدد ٣ يتضمن أيضًا عنصر الالتماس فداود يحمد الله على استجابته له في محنته (غير المذكورة هنا).

٤ **الإنقاذ:** وهنا نرى أن للعددين ٦-٧ صلة وثيقة جدًا بالموضوع. وقيام الله بالالتفات إلى عبده غير المستحق، وكذلك حفظه لحياته وسط الضيق (ربما عدة مرات لأن الفعل هنا تحييني يأتي في زمن المضارع) وإنقاذه لداود من خصومه - كل هذا يمكِّننا ويساعدنا كمؤمنين بالمسيح على أن نُعبِّر عن تقديرنا لله على كل معونته لنا في الماضي.

٥ **الشهادة:** تخبرنا الأعداد ٤، ٥، ٨ بشهادة داود (وشهادتنا) وبالتالي عن

صلاح الله. فرحمة الله تجعله مستحقًا أن يحمده عليها عظماء الأرض ٤-٥ ولهذا السبب يمكن الاستناد إليه والتماس رحمته من أجل أن يحقق وعوده ومقاصده، ورحمة الرب لا تنضب أبدًا (عدد ٨).

يالها من نظرة عظيمة الشأن عن علاقتنا بالله تلك التي يحتويها نشيد كمزمور ١٣٨، فهذا المزمور يفيدنا في إرشاد أفكارنا ومشاعرنا عندما نتمعن في أمانة الله التي أظهرها لنا عبر السنين.

وهنا نقول: إذا كنت راغبًا في متابعة ما تشتمله أنواع أخرى من المزامير غير المذكورة في هذا السياق، فستحتاج للاستعانة بكتاب تفسير جيد للمزامير. غير أنه يمكنك الوصول إلى عدد كبير من النتائج المرجوة من خلال مجرد قراءة عدة مزامير من نوع واحد ومن ثم القيام بتحليل المميزات التي تتصف بها. ولعل أهم أمر ينبغي عليك مراعاته هو معرفة أن كل مزمور يختلف عن الآخر، وأن تمييزًا حكيمًا لأنواع المزامير سيقود إلى استخدامها استخدامًا سليمًا حكيمًا.

ملاحظة خاصة على مزامير استنزال القضاء الإلهي

لعل أحد الأسباب التي جعلت المزامير محببة إلى شعب الله في كل العصور هو لغتها الشاملة. فنحن نجد في المزامير كل المشاعر الإنسانية، حتى المفرطة منها. ومهما بلغت درجة حزنك، فسفر المزامير يساعدك على التعبير عنه برثاء ملموس عند الضرورة (انظر مزمور ٦٩: ٧-٢٠ أو ٨٨: ٣-٩). أو مهما بلغت درجة سعادتك، سيساعدك سفر المزامير كذلك على التعبير عنها (انظر مزمور ٩٨ أو ١٣٣ أو ٢٣: ٥-٦). ومن الصعوبة بمكان منافسة مثل هذه اللغة البليغة.

فالفرح أو الحزن ليسا بخطية. أما المرارة والكراهية والحقد، فقد تؤدي

بالإنسان إلى أفعال أو أفكار خاطئة، مثل أن يتمنى أو حتى أن يحاول إيذاء الآخرين. ومما لا شك فيه أن تعبير الإنسان عن غضبه بالكلام أو التنفيس عن هذا الغضب بالكلمات أفضل من التعبير عنه بأعمال العنف. وهنا تقوم فعلاً بعض أجزاء من مزامير معينة بمساعدتنا بهذه الطريقة وهي بذلك تضيف أيضًا بُعدًا جديدًا إذ توجه غضبنا أو توصله إلى الله بالكلام، بدلاً من أن نصبه على شخص آخر، سواء بالكلام أو بالفعل. إن المزامير التي تتضمن غضبًا على الآخرين مُعبرًا عنه بالكلام إلى الله، يطلق عليها اسم «مزامير استنزال القضاء الإلهي».

فمحاولة إنكار وجود أفكار سلبية عندنا ضد الآخرين أحيانًا هي محاولة غير نافعة وغير صادقة، سواء كانت هذه الأفكار خطية أم لا. ويدعونا الله من خلال مزامير استنزال القضاء إلى أن نغضب ولكن بدون أن نخطئ (مزمور ٤: ٤). وعلينا أن نطيع تعليم العهد الجديد القائل: «لا تغرب الشمس على غيظكم، ولا تعطوا إبليس مكانًا» (أف ٤: ٢٦-٢٧)، وذلك بأن نُعبِّر عن غضبنا إلى الله ومن خلاله بدلاً من أن نسعى إلى مجازاة مَنْ أساءوا إلينا بالإساءة إليهم بدورنا. إن مزامير استنزال القضاء تحد من غضبنا وتساعدنا على التعبير عنه أمام الله باستخدام صيغ المبالغة الصريحة والهادفة والتي تعرفنا إليها من خلال أنواع المزامير الأخرى.

إن الأجزاء المتعلقة باستنزال القضاء في المزامير ترد في معظم الأحوال على شكل مراثي. والمزمور ٣ الذي سبق وتحدثنا عنه بالتفصيل، يحتوي في عدده السابع على جزء متعلق باستنزال القضاء، وهذا الجزء يماثل الأجزاء المناظرة له في باقي المزامير من حيث كونه مختصرًا؛ ولذا فكلماته ليست مزعجة لدرجة كبيرة بالمقارنة مع مزامير أخرى فيها بعض الأجزاء المتعلقة باستنزال القضاء والتي تتميز بالطول والقسوة (انظر بعض أجزاء المزامير ١٢، ٣٥، ٥٨، ٥٩، ٦٩، ٧٠، ٨٣، ١٠٩، ١٣٧، ١٤٠). تأمل على سبيل المثال في مزمور ١٣٧: ٧-٩.

المزمور المئة والسابع والثلاثون

[7]اُذْكُرْ يَا رَبُّ لِبَنِي أَدُومَ

يَوْمَ أُورُشَلِيمَ،

الْقَائِلِينَ: «هُدُّوا، هُدُّوا

حَتَّى إِلَى أَسَاسِهَا».

[8]يَا بِنْتَ بَابِلَ الْمُخْرَبَةَ،

طُوبَى لِمَنْ يُجَازِيكِ جَزَاءَكِ الَّذِي جَازَيْتِنَا!

[9]طُوبَى لِمَنْ يُمْسِكُ أَطْفَالَكِ

وَيَضْرِبُ بِهِمُ الصَّخْرَةَ!

يُعد المزمور ١٣٧ مرثاة تصف معاناة شعب إسرائيل القديم في السبي فقد تم تدمير عاصمتهم أورشليم، وتم للبابليين الاستيلاء على أرضهم بمساعدة وتشجيع من الأدوميين (انظر سفر عوبديا). وفي ضوء كلمة الله القائلة «لي النقمة والجزاء» (تث ٣٢: ٣٥ انظر أيضًا رو ١٢: ١٩)، قام كاتب هذه المرثاة بطلب استنزال قضاء الله بحسب اللعنات الواردة في العهد (انظر الفصل العاشر من هذا الكتاب) وتلك اللعنات تشمل تدبير إبادة الجماعة الشريرة، بما فيها أفراد العائلات (تث ٣٢: ٥؛ ٢٨: ٥٣-٥٧). وبطبيعة الحال، لا يوجد في الكتاب المقدس ما يعلِّم بأن هذا القضاء الزمني أو الوقتي ينبغي أن يؤخذ كإشارة إلى المصير الأبدي لأولئك الأفراد من العائلة.

فما فعله كاتب المزمور ١٣٧ هو مجرد التعبير لله عن مشاعر شعب إسرائيل المتألم مستخدمًا صيغة المبالغة كتلك الموجودة في لعنات العهد نفسها. يبدو أن

قيام الكاتب بمخاطبة البابليين مباشرة مجرد أسلوب عمل ذلك المزمور - إذ أننا نراه أيضًا يذكر مدينة أورشليم مباشرة في العدد ٥:

والسامع الحقيقي لهذه الكلمات الغاضبة هو الله (عدد ٧)، كما أن الله وحده الذي يجب أن يستمع لكلماتنا الغاضبة. إن فهمنا لهذه الكلمات ضمن سياقها اللغوي كجزء من لغة المراثي واستخدامنا إياها لتوجيه وضبط الغضب الذي ربما يؤدي للخطية، سيجعل مزامير استنزال القضاء تساعدنا فعليًا على عدم الوقوع في الخطية. أما أن نضمر للآخرين الغضب أو نبوح به أمامهم فهذا أمر علينا جميعًا تحاشيه (مت ٥: ٢٢).

ومزامير استنزال القضاء هذه ليست مناقضة لتعاليم الرب يسوع بأن نحب أعداءنا. إننا نخطىء عندما نساوي ما بين المحبة ومشاعر الود. لأن تعاليم السيد المسيح تحدد المعنى الحقيقي للمحبة غير المتعلق بطبيعة شعورك تجاه شخص ما، بقدر ما هو متعلق بموقفك العملي حيال هذا الشخص بحيث تظهر محبتك (لو ١٠: ٢٥-٣٧). الوصية الكتابية هي أن تمارس المحبة، وليس أن تحس بها فحسب. كذلك مزامير استنزال القضاء، فهي تعيننا على ألا نتصرف بغضب عندما نشعر بالغضب؛ إذ علينا أن نُعبِّر لله بأمانة عن غضبنا بغض النظر عن مدى ما يصاحبه هذا الأمر من شعور بالمرارة أو البغض ومن ثم نفسح المجال لله في أن يتولى إجراء العدالة مع أولئك الذين يسيئون إلينا. والخصم الذي يتمادى في شره فوق احتمالنا يضع نفسه حقًا في مأزق (رو ١٢: ٢٠). إذًا فالدور السليم لهذه المزامير هو في مساعدتنا حتى لا يغلبنا الشر، وفي تحريرنا من الغضب لنتمكن من أن نغلب الشر بالخير (انظر رو ١٢: ٢١).

كلمة أخيرة: لقد تمت -وبشكل عام- إساءة فهم المعنى الحقيقي لتعبير البغض في سفر المزامير، فعندما يقول المرنم بأنه لا يمتلك إلا مشاعر البغض تجاه أعدائه «بغضًا تامًا أبغضتهم» (مز ١٣٩: ٢٢) فهو لا يُعبِّر عن خطية وإلا فإن

تصريح الله «وأبغضت عيسو» (ملا ١ : ٢؛ رو ٩: ١٣) تجعل الله خاطئًا، حاشا. إن كلمة «بغض» في اللغة العبرية، تحمل في بعض القرائن معنى الاحتقار ولكنها يمكن أن تعني أيضًا عدم القدرة أو الاستعداد للتحمل أو تعني الرفض وهذان المعنيان كلاهما موجودان في قاموس اللغة العبرية كمرادفين لكلمة بغض. لذلك وعلى هذا الأساس لا يجوز لنا الحكم على لغة مزامير استنزال القضاء الإلهي وكأنها مخالفة لتعاليم الكتاب المقدس الأخرى بما فيها متى ٥: ٢٢

بعض الملاحظات الحياتية الختامية

بما أن المسيحيين على مر الأجيال كثيرًا ما لجأوا إلى المزامير في وقت الاحتياج أو الحيرة أو الفرح فإننا نخشى أن تأتي تعليقاتنا التفسيرية على المزامير بشكل غير مناسب، لكن هناك بعض الملاحظات الجديرة بالذكر وذلك من أجل جعل تلك المزامير أكثر متعة عند استخدامها في القراءة أو الترنيم أو الصلاة.

أولاً: علينا أن ننتبه إلى فطرة المسيحي التي أشرنا إليها لتونا، فهي تعطينا الجواب الأساسي عن السؤال الذي بدأنا به هذا الفصل: كيف يمكننا أن نأخذ الكلام الموجه إلى الله على أنه كلام الله لنا؟ والجواب هو: بالطرق ذاتها التي أدت بها هذه المزامير دورها بين بني إسرائيل أصلاً – بمعنى أن المزامير هي بمثابة فرص للتحدث إلى الله بكلمات سبق أن أوحى لآخرين بمخاطبته بها في الماضي.

ثانيًا: فوائد أساسية ثلاث للمزامير: لو أخذنا نمط استخدام المزامير عند بني إسرائيل قديمًا وعند المسيحيين الأوائل لوجدنا طرقًا هامة ثلاث يمكن لنا بواسطتهم اليوم استخدام هذه المزامير.

١ يجب التذكير على أن المزامير هي بمثابة مرشد إلى العبادة. وما نعنيه بقولنا هذا أنه يمكن للعابد أن يستخدم المزامير كتعبير مكتوب عن أفكاره ومشاعره أثناء تسبيحه لله أو طلب وجهه تعالى أو تذكُّر حسناته عليه. فالمزمور هو كلمات أدبية مؤلفة بعناية ومحفوظة من أجل استخدامها في الكلام. وعندما يتعلق المزمور بموضوع أو قضية نود التعبير عنها إلى الرب يمكننا عندها أن نعزز قدرتنا على التعبير بالاستعانة بذلك المزمور. فالمزامير تساعدنا على التعبير عن همومنا على الرغم من قلة كفاءتنا في إيجاد الكلمات المناسبة.

إن المزامير تساعدنا على التعبير عن همومنا على الرغم من قلة كفاءتنا في إيجاد الكلمات المناسبة.

٢ توضح لنا المزامير كيفية القدرة على الاتصال الصادق مع الله. فعلى الرغم من عدم وجود قدر كبير من التوجيهات العقائدية بالمزامير حول هذه النقطة لكنها تعطينا وبطريق المثال توجيهًا فعليًا. ويمكن معه للدارس أن يتعلم من المزامير معنى الصدق والانفتاح في التعبير عن الفرح أو خيبة الأمل أو الغضب أو أية مشاعر أخرى.

٣ تبين لنا المزامير أهمية التفكير العميق والتأمل في الأمور التي صنعها الله معنا؛ إذ تدعونا إلى الصلاة والتفكير المُنصب على كلمة الله (هذا هو التأمل) والشركة العميقة مع غيرنا من المؤمنين. ومن شأن هذه الأمور أن تدربنا على حياة الطهارة والصلاح. فالمزامير تمتاز عن أنواع النصوص الأخرى في قدرتها على جعلنا نسمو إلى حيث يمكننا أن نتصل مع الله وأن ندرك شيئًا عن عظمة ملكوته وعما ستكون حياتنا عليه عندما نعيش معه إلى الأبد. فالله معنا حتى في أحلك ساعات حياتنا وعندما تُمسي الحياة صعبة بحيث لا نعود نحتملها (مز ١٣٠ : ١)، وحيث ننتظر الرب من الأعماق

ونراقب خلاصه عالمين أنه بإمكاننا الثقة به على الرغم من مشاعرنا فالصراخ إلى الله طلبًا للمعونة ليس حكمًا على أمانته بل تأكيدًا عليها.

تحذير

نريد أن نختتم هذا الفصل بتحذير هام جدًا: المزامير لا تضمن لنا حياة رغيدة. والاستنتاج القائل بأن الله في الكثير من المزامير يعد المسيحيين بحياة سعيدة خالية من المشاكل لهو استنتاج خاطئ وتفسير حرفي مبالغ فيه لكلمات ولغة المزامير. فداود الذي ترنم في مزاميره ببركات الله بأقوى التعابير عاش حياة مليئة بالمآسي وخيبة الأمل المستمرة تقريبًا كما نقرأ في سفري صموئيل الأول والثاني.

لكنه، على الرغم من ذلك كان يحمد الله ويشكره بكل حماسة وفي كل مرحلة بحياته حتى في مراثيه، تمامًا كما ينصحنا بولس الرسول بعمله حتى في الأوقات الصعبة (أف ١ : ١٦؛ ٥: ٢٠). فالله يستحق أن يُحمد على عظمته وصلاحه حتى في وسط شقائنا، لأن حياتنا على الأرض لا تضمن الخلو من الضيقات.



١٢ الحكمة: آنذاك والآن

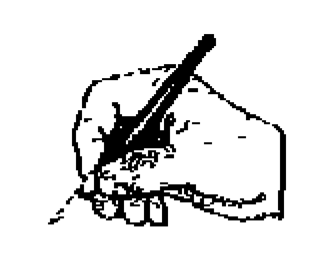
الفصل الثاني عشر

الحكمة
آنذاك والآن

- طبيعة الحكمة.
- الحكمة في سفر الأمثال.
- استخدامات سفر الأمثال السليمة والخاطئة.
- بعض الإرشادات الحياتية.

تُعد الحكمة العبرية من أنواع النصوص التي لم يعتدها معظم المؤمنين المعاصرين. ومع أن جزءًا لا يُستهان به من الكتاب المقدس قد خُصص لتدوين أقوال الحكمة، إلا أننا نرى بعض المؤمنين وفي مرات كثيرة يُسيئون فهم هذه الأقوال أو يسيئون تطبيقها، وبذلك تفوتهم الفائدة التي أرادها الله لهم. ولكن، إذا ما أحسنت كدارس فهم الأمثال والحِكم وأحسنت استخدامها، فستكون

لك مصدر عون على السلوك المسيحي. أما فيما لو أسأت استخدامها، فستؤدي بك إلى الأنانية، والسلوك المادي قصير النظر، وهذا بالضبط عكس ما قصده الله منها.



الحكمة هي: تطبيق الحق في حياة الإنسان في ضوء التجربة.

هناك أسفار في الكتاب المقدس تُعرف بأسفار الحكمة مثل سفر الجامعة وسفر الأمثال وسفر أيوب. علاوة على ذلك وكما أشرنا في الفصل السابق، فهناك عدد من المزامير يندرج تحت باب الحكمة أيضًا.

طبيعة الحكمة

ما هي الحكمة بالضبط؟ إليك هذا التعريف الموجز عنها: الحكمة هي تطبيق الحق في حياة الإنسان في ضوء التجربة. هذا التعريف يحمل من المنطق ما يكفي لعدم إيقاع المؤمنين في الحيرة، لكن المشكلة هي أن أقوال الحكمة الموجودة في العهد القديم قد تبدو في كثير من الأحوال وكأنها تنتهي بنا إلى إساءة الفهم. وهدف هذا الفصل هنا هو مساعدتك على تنقية مفهومك للحكمة وتطبيقك لها.

إساءة استخدام أدب الحكمة

للأسف الشديد لقد تمت وبشكل عام إساءة استخدام أسفار الحكمة عبر ثلاث طرق:

أولاً: اعتاد الكثير من الناس على قراءة تلك الأسفار قراءة جزئية؛ لذلك نراهم وقد أخفقوا في رؤية الرسالة الشاملة التي قصدها الكاتب عندما أوحي إليه بالكتابة. صحيح أن مقتطفات وشذرات كثيرة من الحكمة تبدو عميقة

وعملية وذلك عند أخذها بدون سياقها، لكن من السهل أيضًا إساءة تطبيقها. خذ على سبيل المثال التعليم الوارد في سفر الجامعة بخصوص أنه «للولادة وقت وللموت وقت» (٣: ٢)، لقد كان القصد منه في قرينته تقديم إيضاح ساخر عن عبث الحياة كلها؛ إذ مهما بلغت درجة سعادة حياتك أو بؤسها، فستموت حتمًا عندما يحين الوقت. وللأسف يطيب للكثير من الناس أن يفسروا هذا الجزء بمفهوم قدرية كل الأشياء في حياتنا إلا أن القرينة لا تشير أبدًا إلى مثل هذا القصد.

ثانيًا: كثيرًا ما قد يسيء الناس فهم اصطلاحات الحكمة وأنواعها وأساليبها وقوالبها الأدبية. فنراهم وقد أعطوا الاصطلاحات المستخدمة في الكتاب المقدس في سياق أدب الحكمة تعريفات خاطئة. فعلى سبيل المثال تأمل في أمثال ١٤: ٧ «اذهب من قدام رجل جاهل إذ لا تشعر بشفتي معرفة». فهل يعني هذا عدم وجوب اختلاط المؤمنين بالمتخلفين والأميين؟ كلا على الإطلاق، فكلمة جاهل في سفر الأمثال عنت في الأساس الإنسان غير العارف الرب، إذ هي تشير إلى غير المؤمن الذي يعيش بأنانيته وبحسب نزواته والذي لا يعترف بوجود أي سلطة فوقه إلا نفسه. أما جملة «اذهب من قدام...» فقد ارتبطت ارتباطًا كليًا بالسبب الذي من أجله علينا أن نذهب من قدام هذا الإنسان غير العارف الرب والسبب هو «إذ لا تشعر بشفتي معرفة». وبكلمات أخرى يُعلِّمنا هذ المثل أنه إن كنا نسعى إلى المعرفة فعلينا ألا نطلبها من الجاهل.

ثالثًا: كثيرًا ما يُخفق الناس في اتباع خط سير النقاش في أحاديث الحكمة؛ لذلك نراهم يحاولون الحياة وفق طريقة ما والقصد منها إظهار ما هو خطأ. تأمل في أيوب ١٥ : ٢٠ «الشرير هو يتلوى كل أيامه، وكل عدد السنين المعدودة للعاتي». هل يمكنك أن تفهم من هذا الكلام أن الوحي يُعلِّم بأن الشرير لا يمكن أن يكون سعيدًا حقًا؟ من المؤكد طبعًا أن أيوب لم يكن يقصد ذلك



كان الحكيم آنذاك يتصف بالعملية بدرجة كبيرة إذ لم يكن هدفه مجرد اقتناء معرفة نظرية.

أبدًا بل لقد كان يلغي هذه الفكرة وبإصرار. فالعدد السابق جاء على لسان أحد الذين عينوا أنفسهم معزين لأيوب وهو أليفاز الذي كان يحاول إقناعه بأن شقاءه ناجم عن كونه شريرًا. وفي موقع لاحق من سفر أيوب يثبت الله صحة كلام أيوب ويدين أقوال أليفاز، إلا أنه ما لم تتابع الجدل بجملته فلن تعرف ذلك.

هنا وفي هذا الفصل سنناقش الفرق بين أدب الحكمة وغيره من أنواع النصوص، ومن ثم سنذكر بعض الملاحظات المفيدة حول هذا الموضوع.

مَن الحكيم؟

سبق أن قلنا إن الحكمة هي تطبيق الحق في حياة الإنسان في ضوء التجربة والاختبار، ولكن هناك جانبًا شخصيًا للحكمة إذ ليست الحكمة أمرًا نظريًا، أو أمرًا تجريديًا، لكنها عادة ما تأتي إلى حيز الوجود فقط عندما يقوم الإنسان بالتفكير والعمل بحسب الحق الذي سبق وتعلمه بالتجربة؛ لذلك فنحن نرى العهد القديم وقد أكد على وجود بعض الناس الذين اتصفوا بالحكمة أكثر من غيرهم، وآخرين كانوا قد كرسوا أنفسهم لاقتناء الحكمة بحيث يمكننا تسميتهم حكماء.

كان الحكيم آنذاك يتصف بالعملية بدرجة كبيرة إذ لم يكن هدفه مجرد اقتناء معرفة نظرية. فقد كان يهتم بالقدرة على إعداد الخطط التي ستساعده على تحقيق النتائج المرجوة في الحياة. فالهدف كان الوصول إلى حياة مسئولية وناجحة. كانت الحكمة تستخدم وتطبق أحيانًا في النواحي الفنية مثل البناء (بصلئيل مهندس خيمة الاجتماع الذي سمي حكيمًا في خروج ٣١: ٣) أو الملاحة (حز ٢٧: ٨-٩).

كانت الحكمة أيضًا هدف الذين طلب إليهم اتخاذ قرارات تتعلق بالصالح العام للآخرين. لقد تم وصف القادة السياسيين مثل يشوع (تث ٣٤: ٩)، وداود (٢صم ١٤: ٢٠) وسليمان (١مل ٣: ٩ إلى آخره) كي يكون حكمهم فاعلاً وناجحًا. وما يذكرنا بالجانب الشخصي للحكمة هو الحديث عن القلب الإنساني كنقطة ارتكاز الحكمة (انظر ١مل ٣: ٩، ١٢). إن القلب في العهد القديم يشير إلى القدرات الأدبية والإرادية وكذلك الذهنية.

إذاً لقد ركز أدب الحكمة على الناس ومسلكهم، وعلى مدى نجاحهم في تطبيق الحق، وعما إذا كانوا قادرين على التعلم من تجاربهم. وهنا نقول ليست القضية قضية سعينا لنتعلم كيف نكون حكماء، بقدر ما هي سعينا لأن نزداد حكمة. فكل مَنْ يسعى لتطبيق الحق الإلهي يوميًا والتعلُّم من تجاربه، يمكنه في نهاية الأمر أن يصير حكيمًا أيضًا. هناك خطر كبير قد نجده في الإنسان الذي يسعى إلى كسب الحكمة من أجل تحقيق مصلحته الشخصية، أو يسعى لكسبها بطريقة لا تُكرم الله قبل أي اعتبار آخر. والكتاب المقدس يقول: «ويل للحكماء في أعين أنفسهم» (إش ٥: ٢١). علاوة على ذلك فإن حكمة الله دائمًا تفوق حكمة البشر (إش ٢٩: ١٣-١٤).

معلمو الحكمة:

كرَّس بعض بني إسرائيل في القديم أنفسهم ليس فقط لاقتناء الحكمة، بل أيضًا لتعليم الآخرين كيفية اقتنائها. وقد سُمي هؤلاء المعلمون «حكماء» مع أنهم تبوأوا في نهاية الأمر مناصب في جماعة إسرائيل شبيهة بتلك التي للكاهن أو للنبي (إر ١٨: ١٨).

هذه الطبقة من الحكماء – من الرجال والنساء – ظهرت في بداية حقبة النظام الملكي في إسرائيل على أقل تقدير (حوالي عام ١٠٠٠ ق.م انظر ١صم ١٤: ٢)،

وقد عمل هؤلاء الحكماء كمُعلِّمين ومرشدين لأولئك الذين جاءوا إليهم في طلب حكمتهم. وقد أوحى الله إلى بعض أولئك بكتابة أجزاء من العهد القديم. ونلاحظ أن أولئك الحكماء قد قاموا بعملهم وكانوا بمثابة أولياء أمور أي في محل الوالد بالنسبة لكل إنسان ابتغى نيل الحكمة منهم. لاحظ أن الله قد جعل يوسف (أبًا) لفرعون حتى قبل الخروج (تك ٤٥ : ٨)، وبعد ذلك سميت دبورة النبية (أمًا) في إسرائيل (قض ٥ : ٧). لذلك كثيرًا ما كان يخاطب الحكيم في سفر الأمثال تلميذه بقوله يا ابني. لقد أرسل الآباء أولادهم ليتعلموا من أولئك المُعلِّمين أساليب الحياة الحكيمة وتطبيقاتها، كما اعتاد المعلمون آنذاك على تعليم تلاميذهم كأولادهم.

الحكمة في البيت:

كانت الحكمة عادة ما تُعلَّم في البيت أكثر من أي مكان آخر. ويقوم الأهل اليوم، من دون أن يدركوا ذلك، بتعليم أولادهم كل أنواع الحكمة.

فكلما خاطب أحد الأبوين ابنه أو ابنته بالقول لا تلعب في الشارع، أو اختر أصدقاءك جيدًا، أو احرص على ارتداء ثياب كافية للبرد وما إلى ذلك، فإن الأب أو الأم هنا يقومان في واقع الأمر بتعليم الحكمة للأولاد. لأن كل أب يريد ويهدف لولده أو لابنته بأن يكونا سعيدين، ومعتمدين على أنفسهما ونافعين للآخرين. وكل أب أو أم يصرفان الوقت الثمين في صقل مسلك الأبناء وتوجيههم والتحدث إليهم دائمًا عن الكيفية التي يجب أن يتصرفوا بها.

يمكننا أن نرى هذا النوع من النصائح العملية وفي سفر الأمثال وبشكل خاص. إلا أنه يخضع نصائحه كلها لحكمة الله تمامًا كما كان يتوجب على الآباء المؤمنين أن يفعلوا ذلك. نعم قد تكون النصيحة عملية جدًا وخاصة بالأمور الاجتماعية، لكن لا ينبغي أبدًا لهذه النصيحة أن تخفق في الإقرار بأن أفضل أمر يمكن للإنسان تحقيقه هو عمل مشيئة الله.

الحكمة بين الزملاء:

إن واحدة من الطرق التى يمكن أن يستخدمها الإنسان لصقل معرفته وبالتالى مسلكه هى النقاش والجدل. وأحيانًا يستطيع التوصل الى هذا النوع من الحكمة عن طريق حديث طويل سواء أكان خطابًا موجهًا للآخرين ليقرأه وليُعلقوا عليه (كسفر الجامعة) أم حوارًا بين عدة أشخاص يودون معرفة آراء بعضهم البعض حول الحقيقة والحياة (كسفر أيوب).

وهنا نشير إلى أن نوع الحكمة، الذى يسيطر على سفر الأمثال يسمى عادة بالحكمة المثلية بينما يُطلق على الحكمة الواردة في كل من سفر الجامعة وسفر أيوب الحكمة التأملية التي هي في الواقع عملية وتجريبية أكثر منها مجرد حكمة نظرية.

الحكمة في قالب الشعر:

لقد قام كل من التلاميذ والمعلمين على حد سواء في أزمنة العهد القديم باستخدام أساليب أدبية متنوعة لتساعدهم على تذكر حكمتهم. وقد أوحى الله أيضًا بأجزاء الحكمة في الكتاب المقدس بحسب تلك الأساليب وذلك لجعلها سهلة التعلُّم والحفظ. وكما أشرنا في الفصلين السابقين فإن الشعر يمتاز بدقة الكلمات وتنسيق الإيقاع، والصفات البلاغية اللازمة لجعله أكثر قربًا للذاكرة من النثر، وهكذا صار الشعر أيضًا وسيلة العهد القديم في إبراز الحكمة. لذلك نرى أن أسفار الأمثال والجامعة وأيوب، وبعض مزامير الحكمة وغير ذلك من أجزاء أخرى من الحكمة في العهد القديم - في معظمها مؤلفة شعرًا. ومن بين الأساليب الأدبية المستخدمة على وجه الخصوص، هناك التوازي سواء أكان ترادفيًا (انظر أم ٧: ٤) أو تضاديًا (أم ١٠: ١) أو صوريًا (أم ٢١: ١٦) أو تطريزيًا (أم ٣١: ١٠-٣١) أو جناسًا (جا ٣: ١-٨) أو كان تعاقبًا عدديًا (أم ٣٠: ١٥-٣١). إضافة

إلى مقارنات أخرى لا حصر لها كالتشبيه والمجاز (انظر أي ٣٢: ١٩) كما أننا قد نجد في كتابات الحكمة الأمثال والرموز والأحاجي الصورية وأساليب شعرية أخرى.

محدودية الحكمة:

من المهم أن تتذكر أن حكمة العالم القديم لم تكن كلها صالحة أو مستقيمة، فقد كان يوجد في جميع أرجاء الشرق الأدنى القديم طبقة من المعلمين والكتبة الحكماء الذين حظوا بتأييد من ملوكهم غالبًا في سبيل القيام بجمع وتأليف وترتيب أمثال وأحاديث الحكمة. وقد شابه الكثير منها إلى حد كبير كتابات الحكمة في العهد القديم، إلا أنها افتقرت إلى التركيز على الرب كالمصدر الأول للحكمة (أم ٢: ٥، ٦) وعلى الغرض من هذه الحكمة، ألا وهو إرضاء الرب (أم ٣: ٧). علاوة على ذلك فإن حكمتهم لم تكن تغطي في مادتها جميع جوانب الحياة.

ولأن الحكمة عملية جدًا فهي لا تميل إلى التركيز على الأمور اللاهوتية أو التاريخية الهامة جدًا والموجودة في أماكن أخرى في الكتاب المقدس. والمهارة في الحكمة لا تضمن استخدامها بشكل سليم. فنصيحة يوناداب الحكيمة لأمنون كانت في الواقع ذات دوافع شريرة (٢صم ١٣: ٣) وحكمة سليمان العظيمة (١مل ٣: ١٢؛ ٤: ٢٩-٣٤) ساعدته في كسب الثروة والقوة لكنها لم تساعده في البقاء أمينًا للرب في آخر سنيه (١مل ١١: ٤). فما لم نُخضع حكمتنا لطاعة الله فهي لن تحقق الغايات السليمة التي قصدها العهد القديم.

الحكمة في سفر الأمثال

يعتبر سفر الأمثال المكان الرئيسي السليم لاستقاء الحكمة التدبيرية أي الحكمة المختصة بالقواعد والأنظمة التي يمكن للناس استخدامها لإدارة حياتهم

بنجاح ومسؤولية. وبالتباين مع سفر الجامعة الذي يستخدم الأسلوب التأملي الساخر كنقيض لإبراز الحكمة، وبالتباين مع سفر أيوب الذي يستخدم الحكمة التأملية حول عدم إنصاف الحياة في هذا العالم، ركزت حكمة سفر الأمثال في معظمها على المواقف العملية.

وهنا ومن باب التعميم، يفيدنا أن نلاحظ بأن سفر الأمثال يعلم عادة ما يمكن أن تسميه القيم الأساسية أو المحافظة. فليس هناك والدان يودان رؤية أولادهما تعساء أو فاشلين أو وحيدين أو مرفوضين اجتماعيًا أو مخالفين للقوانين المرعية أو فاسدين أخلاقيًا أو حمقى أو مفلسين. وليس من باب الأنانية أو عدم الواقعية أن يتمنى الأب لابنه أن ينعم بقسط معقول من النجاح والقبول الاجتماعي وسد الاحتياجات، والاستقامة الأخلاقية. وسفر الأمثال مليء بمجموعة من النصائح البليغة لهذه الغاية بالتحديد. طبعًا ليس هناك مَنْ أو ما يضمن لشاب بأن حياته تسير دائمًا على ما يرام. وما يفيدنا به سفر الأمثال فيما لو غضضنا النظر عن العوامل الخارجية، هو احتواؤه على مواقف وأنماط سلوكية أساسية تساعد الإنسان على النمو إلى مرحلة النضج المسؤول.

وقد عمل سفر الأمثال باستمرار على تقديم مفارقة شديدة بين حياة الحكمة وحياة الحماقة وإظهار ما الذي يميز حياة الأحمق؟ فحياة الأحمق تميزت بأمور مثل العنف والجريمة (أم ١: ١٠-١٩؛ ٤: ١٤-١٩) والقيام بالتعهدات الطائشة (٦: ١-٥) والكسل (٦: ٦-١١) واللؤم والغش (٦: ١٢-١٥) والفساد والفجور الممقوت لدى الرب والضار بالحياة المستقيمة (٢: ١٦-١٩؛ ٥: ٣-٢٠؛ ٦: ٢٣-٣٥؛ ٧: ٤-٢٧؛ ٩: ١٣-١٨؛ ٢٣: ٢٦-٢٨).

علاوة على ذلك حث سفر الأمثال على أمور أخرى كالاهتمام بالفقراء (٢٢: ٢٢، ٢٧) واحترام الحكام (٢٣: ١-٣؛ ٢٤: ٢١-٢٢) وأهمية تأديب البنين (٢٣: ١٣، ١٤) واحترام الأبوين (٢٣: ٢٢-٢٥).

أما اللغة الدينية الخصوصية فقلما نجدها مستخدمة في سفر الأمثال، وعلى الرغم من وجودها فيه (انظر ١: ٧؛ ٣: ٥-١٢؛ ١٥: ٣، ٨-٩، ١١؛ ١٦: ١-٩، ٢٢: ٩، ٢٣؛ ٢٤: ١٨، ٢١ ... إلخ) إلا أنها لا تضفي على السفر. ومعنى هذا أنه ليس من المفروض عمل كل شيء في حياتنا بصفة روحية كي تكون مقبولة وصحيحة على مثال أن يقوم الأب بتوجيه نصيحة لابنه بخصوص ارتداء ملابس ثقيلة في الشتاء.

استخدامات سفر الأمثال السليمة والخاطئة

يحسن بنا أن نتذكر بأن الأمثال التي تدعى في العبرانية مشاليم تعني استعارات أو أمثال أو أقوال مستنبطة خصيصًا. فالمثل هو تعبير مختصر ومحدد عن الحق. وكلما كان القول مختصرًا ضعف احتمال كونه كامل الدقة وشامل النطاق. وكلنا يعلم بأن البيانات المفصَّلة والمسهبة والطويلة، والمعقدة الأوصاف ليست فقط عسيرة الفهم بل هي أيضًا عمليًا مستحيلة الحفظ على الناس. لذلك فقد تمت صياغة الأمثال بأسلوب أخّاذ كي يتم حفظها بسهولة.

في الحقيقة إن الكثير من الأمثال في اللغة العبرية تتميز بالإيقاع أو القافية أو غير ذلك من الصفات الأدبية التي جعلتها سهلة الحفظ. تأمل في هذين المثلين «اسأل عن الجار قبل الدار» أو «الرفيق قبل الطريق». إن تشابه الكلمات وانتهاءها بالقافية الواحدة، واستخدام التناسق اللفظي باختلاف المعنى عناصر ساعدت في جعل مثل هذه الأمثال سهلة الحفظ والفهم. فهي لن تُنسى بالسهولة التي يمكن أن ننسى بها الجمل التالية: «قبل أن تضع نفسك في وضع ما ادرس الإمكانيات والاختيارات المترتبة عليه»، أو «هناك أهمية كبيرة لانتقاء الصحبة السليمة لأنها تلعب دورًا كبيرًا في بلوغ الهدف». نعم هذه الجمل تميزت بدقة أكبر، لكن ينقصها الواقع والفاعلية التي للأمثال المشهورة، ناهيك عن كونها صعبة من حيث التذكر.

إن مَثَل «اسأل عن الجار قبل الدار» هو قول بليغ غير دقيق ومن السهل إساءة فهم فحواه، ومن الجائز أن يظن السامع بأنه ينطبق فقط على الباحثين عن دار للإيجار. وهو لا يخبرنا عن ماذا نسأل أو كيف نسأل أو مَنْ نسأل، ولم يقصد به حتى مجرد استخدامه في مسألة الإيجار والاستئجار.

هكذا كان الأمر مع الأمثال العبرية. إذ وجب فهمها باعتدال والأخذ بها بحسب القصد المراد منها. فهي لا تصرح بكل ما يتعلق بالحق لكنها تشير إليه، وهي إذا ما أُخذت حرفيًا غالبًا ما ستكون غير دقيقة في نواحيها الفنية، إلا أنها كإرشادات سهلة الحفظ، لا يضاهيها شيء من حيث توجيه السلوك المعين. تأمل في أمثال ٦: ٢٧-٢٩:

«أيأخُذُ إنسانٌ نارًا في حِضنِهِ ولا تحترِقُ ثيابُهُ؟ أو يَمشي إنسانٌ علَى الجَمرِ ولا تكتَوي رِجلاهُ؟ هكذا مَنْ يَدخُلُ علَى امرأةِ صاحِبِهِ. كُلُّ مَنْ يَمَسُّها لا يكونُ بَريئًا».

قد يعترض أحدهم بأن السطر الأخير ليس واضحًا ويتساءل: ما الذي سيحدث فيما لو أن موظف بنك لمس عن غير قصد يد امرأة رجل آخر أثناء تسليمه النقود لها؟ هل سيعاقب؟ ألا يوجد مَنْ ارتكب الزنى وهرب بلا عقاب؟ كل هذه التساؤلات صحيحة لكنها تحيد عن الهدف. فسفر الأمثال يميل إلى استخدام اللغة الرمزية والتعبير عن الأشياء بالإيحاء بدلاً من التفصيل.

والعبرة التي يتوجب علينا استخلاصها من هذا المثل هي أن مَنْ يرتكب الزنى يكون كمن يلعب بالنار. وأن الله، عاجلاً أم آجلاً، في الحياة الحاضرة أو العتيدة، سيحرص على أن ينال الزاني عاقبة آثامه. أما كلمة «يمس» الواردة في السطر الأخير فيمكننا فهمها وكأنها ترد على سبيل لطف التعبير (انظر ١كو ٧: ١ راجع أيضًا الفصل الثاني من هذا الكتاب)، هذا إن أردنا لرسالة الروح

القدس أن تبقى واضحة. وهكذا لا ينبغي أن نأخذ سفر الأمثال بأسلوب حرفي مبالغ فيه أو بشكل كلي إذا ما أردنا لرسالته أن تفيدنا. فعلى سبيل المثال تأمل في أمثال ٩: ١٣-١٨.

هذا المثل أيضًا بليغ، لأنه يتضمن قصة رمزية كاملة في أعداد قليلة. إن حياة الحمق هنا، هي بعكس حياة الحكمة ويُشار إليها بزانية تحاول إغواء عابري الطريق للدخول إلى بيتها. والجاهل شُبه بذلك المعجب الذي أغرته الملذات المحظورة (عدد ١٧)، أما النتيجة النهائية للحماقة فهي ليست بحياة طويلة أو ناجحة أو سعيدة بل هي الموت.

إن رسالة هذه القصة الرمزية الموجزة هي: ابتعد عن الحماقة، لا يغوِك أحد، اعرض عن الإغراءات التي تبدو جذابة للجُهال ثم ذكرها بعدة طرق في أمثال أخرى. والإنسان الحكيم التقي ذو الأخلاق الحميدة هو الإنسان الذي يسعى ليعيش حياة خالية من الأنانية والحماقة. إن أمثالاً كهذه قريبة من أمثال العهد الجديد، في كونها تعبر عن الحق بطريقة رمزية. إليك مثالاً آخر يساعد على تركيز بحثنا في سفر الأمثال.

«كُلُّ طُرُقِ الإنسانِ نَقيَّةٌ في عَينَيْ نَفسِهِ،
والربُّ وازِنُ الأرواحِ» (أم ١٦: ٢)

لعل هذا النوع من الأمثال هو أكثر الأنواع التي يُساء فهمها. فإن لم تعرف بأن سفر الأمثال يميل عادة لأن يقدم أقوالاً تشير إلى الحق بأساليب رمزية، فسيفترض بأن أمثال ١٦: ٣ هو وعد مباشر وقاطع من الله يمكن دائمًا تطبيقه، ومفاده أنه إن ألقى الإنسان خططه على الله، فلابد لهذه الخطط أن تنجح. وطبعًا هذا التفسير سيُخيب أمل الذين يفكرون بهذا الأسلوب؛ لأنه من الممكن لهؤلاء أن يقدموا لله خططًا أنانية حمقاء وفي حال نجاحها، ولو لفترة قصيرة قد يفترضون بأن الله باركها فعلاً. فمثلاً يمكن أن نسلم لله زواجًا متهورًا أو قرارًا طائشًا يتعلق

بالعمل أو حتى قرارًا مهنيًا غير مدروس - ثم ينتهي بنا المطاف إلى الفشل. وقد يقوم إنسان ما بائتمان الله على خطة معينة سرعان ما تبوء بالفشل فيعتقد أن الله قد تخلي عن وعده وتراجع عن كلمته الموحى بها. وفي حالات كهذه للأسف نجد الناس وقد أخفقوا في إدراك أن سفر الأمثال ليس باتًا أو مطلقًا، ولا هو قابل للتطبيق في كل وقت، ولا هو وعد صارم بل هو بمثابة حق عام إذ هو يعلن بأن الذين يسلمون حياتهم لله ويحيون بحسب مشيئته سينجحون إنما بحسب مفهوم الله للنجاح. أما بحسب مفهوم العالم للنجاح فقد تأتي النتيجة عكسية، ولعل قصة أيوب خير مثل على ذلك.

فعندما نأخذ هذه الأمثال بحسب مقاصدها على أنها بند خاص يتعلق بالتنويه للحق، عندئذ فقط تصبح هذه الأمثال هامة ونافعة للحياة.

بعض الإرشادات الحياتية

نقدم الآن وفي غاية الإيجاز بعض الإرشادات لفهم حكمة الأمثال:

أولاً: لا يجب فهم الأمثال فهمًا حرفيًا

فالأمثال تقدم طريقًا حكيمًا لبلوغ الأهداف العملية المرجوة، ولكنها تفعل ذلك بطرق لا يمكن اعتمادها كسند أكيد للنجاح. وعلى الأرجح فإن الإنسان سينال ما حُدد من بركات أو مكافآت أو فرص مذكورة في سفر الأمثال إذا ما اتبع السبل الحكيمة للتصرف والموجودة في اللغة الرمزية والشعرية للسفر. لكن سفر الأمثال لا يعلِّم أبدًا عن النجاح الآلي.

تذكر بأن من ضمن أهداف الله في وضعه لكل من سفري الجامعة وأيوب في الكتاب المقدس هو تذكيرنا بأنه هناك القليل جدًا من الآلية فيما يتعلق بأحداث

حياتنا سواء الجيدة منها أو السيئة. تأمل في الأمثال التالية: أمثال ٢٢: ٢٦-٢٧؛ ٢٩: ١٢؛ ١٥: ٢٥).

وهنا وإذا ما تطرفت في اعتبار المثلين الأولين (٢٢: ٢٦-٢٧) وصية مطلقة مانعة من الله فقد تنتهي إلى عدم شراء بيت في حياتك، وذلك لتجنب الرهن لحين دفع ديونك. أو قد تفترض بأن الله سيجازيك بفقدانك لكل ممتلكاتك بما فيها فراشك إن لم تف بدينك.

إن قيامك بالتفسير الحرفي والمتطرف سيفقدك الهدف من المثل الذي يبين من خلال الشعر والرمز حقيقة وجوب التعامل مع الديون بحذر؛ لأن الحرمان من العقار المرهون أمر مؤسف جدًا. والمثل يضع هذه الحقيقة في إطار تعابير ضيقة ومحددة: صفق الكف، فقدان الفراش... إلخ. والمقصود منها ليس التعبير عن شيء حرفي عملي بل الإشارة إلى مبدأ أعم من ذلك. ففي أزمنة الكتاب المقدس كان الأتقياء يدينون ويستدينون دونما انتهاك لهذا المثل وذلك لأنهم سبق وأن فهموا المراد منه. فقد كانوا معتادين على الأمثال وبالتالي علموا بأن مثل هذا المثل يوضح كيفية إجراء الدين وليس تجنب كل أشكال الديون تجنبًا تامًا.

أما المثل الثاني أعلاه (٢٩: ١٢) فيجب أيضًا عدم الأخذ بحرفيته. فهو لا يضمن على سبيل المثال بأنك إن كنت موظفًا حكوميًا فسوف تعتبر حتمًا شريرًا بحجة أن رئيسك يصغي لأكاذيب بعض المحيطين به. إن هذا المثل يهدف إلى رسالة أخرى وهي: أن الحاكم المولع بسماع الأكاذيب بدلاً من الحق، سيقوم بالتدريج بإحاطة نفسه بزمرة من الناس تنقل له ما يريد سماعه، وعليه فستكون المحصلة النهائية فسادًا إداريًا. أما الحاكم الذي يُصر على سماع الحقيقة بالرغم من إيلامها فسيساعده هذا على إبقاء حكومته طاهرة. وهذا المبدأ هو المقصود بكلمات المثل التي تستخدم طريقة مجازية لا حرفية دقيقة.

أما المثل الثالث (١٥: ٢٥) فلعله أكثر الأمثال بُعدًا عن الحرفية. فنحن نعلم

من تجربتنا الخاصة كما من شهادة الكتاب المقدس أن هناك بيوتًا لأشخاص متكبرين مازالت قائمة، وأن هناك الكثير من الأرامل ممن تم استغلالهن من قبل الدائنين الجشعين أو بالاحتيال (انظر مر ١٢: ٤٠؛ أي ٢٤: ٢-٣... إلخ). إذن ما الذي يعنيه هذا المثل إن لم يكن يقصد نقل الانطباع بأن الله في الحقيقة هو مدمر للبيوت أو حارس للتخوم؟ إن هذا المثل يعني أن الله يقاوم المتكبرين ويقف إلى جانب المساكين (الأرامل والأيتام والغرباء: كل هذه التعابير تمثل شريحة الناس الذين لا نصير لهم، انظر تث ١٤: ٢٩؛ ١٦: ١١؛ ٢٦: ١٢، ١٣... إلخ). ولدى مقارنة هذا المثل بأمثال ٢٣: ١٠-١١ ولوقا ١: ٥٢-٥٣ يصبح معناه أوضح. إنه مثل مُصغر عن أمثال العهد الجديد، وهو يشير ليس إلى مجرد البيت والأرملة لكن إلى المبدأ العام القائل بأن الله في النهاية سيصحح المعوجات في العالم بإنزال المتكبرين عن كراسيهم وتعويض كل الأبرياء المتألمين (انظر مت ٥: ٣، ٤).

ثانيًا: يجب أن تقرأ الأمثال كمجموعة

ويجب فهم كل مثل من أمثال الوحي بالتوازن مع الأمثال الأخرى وبالمقارنة مع باقي الكتاب المقدس. وكما يوضح لنا المثال الثالث أعلاه (١٥: ٢٥)، أنه كلما قرأ الفرد المثل بمعزل عن الأمثال الأخرى كلما كان تفسير ذلك المثل أقل وضوحًا. فإذا ما قمت بقراءة مثل ما على حدة، وأسأت فهمه، فقد يؤدي بك ذلك إلى مواقف أو تصرفات خاطئة مما لو قمت بقراءة سفر الأمثال ككل. علاوة على ذلك عليك الحذر من ألا تؤدي بك اهتمامات الأمثال العملية إلى التفكير بالأمور المادية وأمور هذا العالم، الأمر الذي يناقض الأسفار الكتابية الأخرى التي تحذر من المادية والروح العالمية.

احذر أيضًا من أن تربط نفسك بنوع الحكمة التي اعتنقها رفقاء أيوب فجعلوا

النجاح في الحياة العالمية أمرًا معادلاً للتقوى في عيني الله. فمثل هذه الحكمة تعد بمثابة فهم غير متوازن لأمثال منتقاه. كذلك لا تحاول أن تجد لك في سفر الأمثال مبررات لتحيا حياة أنانية أو لتقوم بأعمال لا تتناسب وتعاليم الكتاب المقدس الأخرى. وتذكر بأن الأمثال كثيرًا ما قد تم جمعها معًا بطرق مختلفة مما قد يجعل القارىء يقفز من موضوع لآخر أثناء قراءتها، مع ضرورة أخذ الحذر والحيطة تجنبًا لإساءة التفسير.

تأمل أيضًا في المثلين التاليين:

«الحكيم يتصور مدينة الجبابرة، ويُسقط قوة معتمَدها»

(أم ٢١: ٢٢)

«فم الأجنبيات هوة عميقة. ممقوتُ الرب يسقط فيها»

(أم ٢٢: ١٤)

فإن كنت حكيمًا فهل كنت ستخرج لقتال مدينة قوية التحصين وهكذا تقدم عملاً صالحًا لله؟ وإن كنت قد أحزنت الله فهل هناك خطر من أن تسقط داخل فم امرأة أجنبية؟

معظم الناس سيجيبون بالنفي على هذين السؤالين وسيضيفون قائلين بأنه مهما كان معنى هذا الكلام فلا يمكن له أن يعني المعنى السابق. لكن الكثير من الناس للأسف يصرون على أخذ أمثال ٢٢: ٢٦ بمعنى حرفي وذلك لمنع المؤمنين من الاستدانة. وكثيرًا أيضًا ما يقول البعض بأن أمثال ٦: ٢٠ يعني وجوب طاعة المؤمن لأبويه مهما بلغ عمره وبصرف النظر عن الخطأ الماثل في تلك النصيحة.

وهنا نقول إذا ما أخفق الناس في خلق توازن بين الأمثال من جهة وبقية الكتاب المقدس من جهة أخرى ناهيك عن الفطرة السليمة فإنهم للأسف سيظلمون أنفسهم والآخرين.

في المثل الأول أعلاه (٢١ : ٢٢) يمكننا أن نستخلص أن الحكمة قادرة على أن تكون أقوى من القوة العسكرية. ربما جاء هذا التصريح بصيغة المبالغة؛ لكن من حيث الأسلوب فهو لا يختلف عن أن نقول في عصرنا بأن القلم أقوى من حد السيف. إذ هذا المثل ليس بأمر بل هو تصوير رمزي مجازي لقوة الحكمة، وفقط عندما يربط الدارس هذا المثل بالأمثال الكثيرة التي تتغنى بفوائد الحكمة وفاعليتها. (انظر ١:١-٦؛ ٢-٣؛ ٨؛ ٢٢: ١٧-٢٩ وغيرها)، عندها يتمكن من فهم رسالتها. وفي هذه الحالة تكون القرينة الكاملة أمرًا جوهريًا للقيام بالتفسير.

أما المثل الثاني (٢٢: ١٤) فهو يحتاج لأن يقارن أيضًا مع القرينة بكاملها؛ إذ أن هناك عددًا كبيرًا من الأمثال يشدد على أهمية توخي الحرص في التفكير والكلام (انظر ١٥ : ١؛ ١٦: ١٠، ٢١، ٢٣-٢٤، ٢٧-٢٨؛ ١٨ : ٤ وغيرها) وبمعنى آخر إن الذي يورط الإنسان هو كلامه وذلك أكثر بكثير من إصغائه (انظر مت ١٥ : ١١، ١٥-٢٠). إلا أنه بإمكانه دائمًا السيطرة على ما يخرج من فمه.

هنا يمكننا إعادة صياغة هذا المثل على الشكل التالي: إن أنواع الأعمال والأقوال التي تقوم بها الأجنبية (العاهرة) تحمل عليك من الخطر ما يوازي سقوطك في حفرة عميقة. فإن أردت تجنب غضب الله، عليك أن تتجنب مثل هذه الأمور. إن استيعابك للقرينة العامة لكل الأمثال سيساعدك في عدم الوقوع في الخطأ عند تفسيرها.

ثالثًا: التركيب اللغوي للأمثال قصد به أن تكون سهلة الحفظ

كلما كان التعبير عن مبدأ ما مختصرًا في كلماته كلما جاء بصيغة مبالغة، وكلما احتاج إلى مزيد من الفطرة السليمة والحكم الصائب كي يفسر بشكل سليم- وكان فاعلاً وسهلاً للحفظ، في الوقت ذاته لاستعادة المعرفة التي تحاول الأمثال نقلها والتي يمكن تذكرها وليس الفلسفة القادرة على استقطاب إعجاب الناقد.

وهكذا تستخدم الأمثال كثيرًا من العناصر الشعرية والتصوير المفعم بالحيوية. ولقد صممت أمثال كثيرة إما لطبع صورة ما في ذهنك (والعقل عادة ما يسترجع الصور بشكل أفضل من تذكر المعلومات النظرية) أو لتتضمن أصواتًا تُسر الأذان (التكرار، السجع، ترتيب الحروف الأولى لأبيات القصيدة... إلخ). تأمل في أمثال ١٥: ١٩ كمثال على استخدام اللغة المجازية.

«طريق الكسلان كسياج من شوك

وطريق المستقيمين منهج»

إن نوع الزرع الموجود في الطرق المحببة للكسالى ليس هو المقصود من هذه اللغة، بل الإشارة إلى أمور أبعد من ذلك، وهي مبدأ أن الكد والاجتهاد أفضل من الكسل.

إن تصوير المرأة الفاضلة في أمثال ٣١: ١٠-٣١ هو نتيجة لترتيب الحروف الأولى لأبيات القصيدة. فكل عدد يبدأ بحرف موافق للترتيب الأبجدي لحروف اللغة العبرية، وهذا أمر سهل الحفظ وتستسيغه أذن الشخص العبري، لكنه يظهر للناقد الثاقب أو للذي يقرأ حرفيًا بأن مجموعة هذه الأوصاف مستحيلة على أية امرأة من جنس البشر.

إلا أنه إن استطاع القارئ إدراك أن وصفًا كالوارد في ٣١: ٢٢ مصمم عن عمد للتشديد، من خلال صيغة المبالغة، على البهجة التي تدخلها المرأة الفاضلة إلى قلوب أفراد عائلتها، عندها تكون حكمة هذه الأمثال قد حققت غرضها بكفاءة. وهكذا تعلق الكلمات (والصور) في ذهن قارئ النص، وتقدم له إرشادات نافعة عند الحاجة. هذا هو ما قصد الله عمله بواسطة الأمثال.

رابعًا: حاجة بعض الأمثال إلى «ترجمة» تعكس بيئتنا وثقافتنا

هناك عدد لا بأس به من الأمثال التي تُعبِّر عن الحق بناء على ممارسة ومبادئ

لم تعد معروفة، مع أنها كانت سائدة عند بني إسرائيل في العهد القديم. وإن لم نقم بالتفكير بهذه الأمثال في ضوء ما يناظرها في عصرنا الحديث (بمعنى أن نقوم بترجمتها بكل حرص لما يناظرها من ممارسات ومبادئ في يومنا هذا)، فقد يبدو معناها غير واضح لنا أو غير مختص بنا (انظر الفصل الرابع). تأمل في هذين المثلين (أم ٢٢: ١١؛ ٢٥: ٢٤).

«مَنْ أَحَبَّ طَهارَةَ القَلبِ،
فلِنعمَةِ شَفَتَيهِ يكونُ المَلِكُ صَديقَهُ»
(أم ٢٢: ١١)

«السُّكنَى في زاويَةِ السَّطحِ،
خَيرٌ مِن امرأةٍ مُخاصِمَةٍ في بَيتٍ مُشتَرِكٍ»
(أم ٢٥: ٢٤)

وذلك لأن معظمنا يعيش في مجتمعات لا يحكمها ملوك. وأيضًا لم يعد السكن على سطح البيوت مألوفًا في زمننا كما كان في أزمنة الكتاب المقدس، (انظر يش ٢: ٦). فهل نقول إذًا إن قراءة هذه الأمثال مضيعة للوقت؟ لا طبعًا وعلى الإطلاق خاصة إن استطاع الدارس رؤية الأمور عبر المجتمعات وباللغة الحضارية الخاصة بكل منها.

إن الرسالة الجوهرية للمثل الأول (٢٢: ١١) سهلة الاستيعاب شريطة إدراك أن ما يناظر قول المثل «كون الملك صديقه» في أيامنا هذه يصبح شبيهًا بهذا القول «سيكون له تأثير إيجابي على الناس الذين يشغلون مراكز القيادة».

وهذا هو المعنى الذي كان المثل يقصده. فكلمة «ملك» هنا مجاز مرسل يُعبِّر عن كل القادة. إن لغة هذا المثل الرمزية قد استخدمت خصيصًا للإشارة إلى أن القادة والمسؤولين عادة يتأثرون بالصدق وبالحرص في الكلام.

أما معنى المثل الثاني المذكور أعلاه (٢٥ : ٢٤) فهو صعب على الفهم وخاصة إذا قمنا بعمل الترجمة اللازمة له من ثقافة أو مجتمع ذلك العصر إلى ثقافتنا ومجتمعنا نحن.

إذًا يمكننا إعادة صياغته بالشكل التالي: «السكنى في حجرة ضيقة خير من العيش في بيت واسع مع زوجة ما كان ينبغي الزواج بها أبدًا».

تذكر بأن معظم النصائح في سفر الأمثال قد أعطيت لشبان في مقتبل حياتهم، وكانت بمثابة حكمة بالنسبة لهم. ولا يقصد المثل بالحرف أن يقترح عليك ما ينبغي أن تفعله، كرجل متزوج، إذا كانت امرأتك من النوع المخاصم. لكن ما يقصده هو أن تتوخى الحذر عند انتقاء شريك أو شريكة الحياة. فالاختيار السليم هو ما يدعونا له هذا المثل عبر الحضارات المتوالية، وعندما يتم فهمه جيدًا، نرى نصيحة جيدة وصالحة (انظر مت ١٩: ٣-١١؛ ١كو ٧: ١-١٤، ٢٥-٤٠). على الجميع أن يدركوا أن الزواج المتسرع، المبني على الجاذبية المظهرية، قد يؤول إلى زواج غير سعيد.

إليك أدناه، لفائدتك، قائمة موجزة ببعض القواعد التي من شأنها أن تساعدك على الاستخدام السليم لسفر الأمثال وعلى بلوغ النية والغرض اللذين أوحى بهما الله في هذا السفر.

١ كثيرًا ما تكون الأمثال رمزية أو مجازية بحيث تشير إلى أبعد من معناها الظاهري.

٢ الأمثال مادة عملية إلى درجة كبيرة وليست عبارة عن نظريات لاهوتية.

٣ لقد تمت صياغة الأمثال لتكون سهلة الحفظ.

٤ لم يقصد منها أن تدعم السلوك الأناني بل العكس تمامًا.

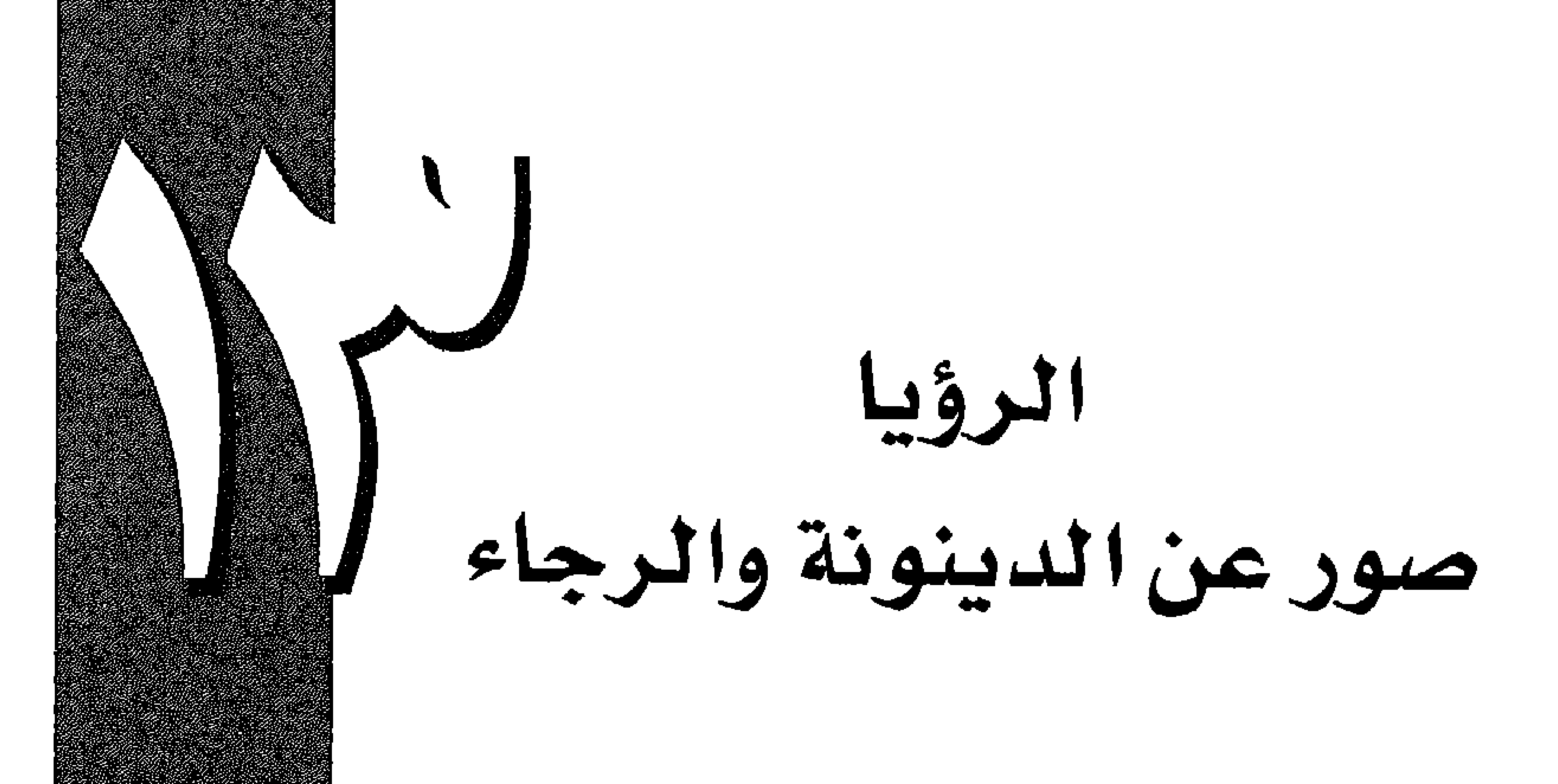
٥ قد تحتاج الأمثال التي تعكس عادة حضارة قديمة إلى ترجمة تقود إلى ما يناظرها في ضوء ثقافتنا كي لا تفقد معناها.

٦ ليست الأمثال صكوك ضمان، بل هي إرشادات شعرية للسلوك الحسن.

٧ قد تستخدم الأمثال لإيصال رسالتها، لغة خاصة للغاية، أو صيغ مبالغة، أو أي نوع آخر من الأساليب البلاغية.

٨ عادة ما تقدم الأمثال النصيحة الجيدة لكيفية التعامل بحكمة مع جوانب معينة بحياتنا، لكنها ليست شمولية في نطاقها.

٩ قد يؤدي سوء استخدام الأمثال إلى تأييد نوع من الحياة المادية المتطرفة. أما عند حسن استخدامها، فهي عادة ما تقدم نصائح عملية للحياة اليومية.



١٣

الرؤيا
صور عن الدينونة والرجاء

الفصل الثالث عشر

الرؤيا
صور عن الدينونة والرجاء

- طبيعة سفر الرؤيا.
- ضرورة عمل التفسير الاستنتاجي.
- القرينة التاريخية.
- القرينة الأدبية.
- قضايا التفسير الحياتي.

عندما ينتقل الشخص من باقي أسفار العهد الجديد إلى سفر الرؤيا، يشعر وكأنه قد دخل بلادًا أجنبية. فبدلاً من القصص والرسائل ذات البيانات المباشرة عن الحق وبدلاً من الوصايا، يأتي الشخص إلى كتاب مليء بالحديث عن الملائكة والأبواق والزلازل والوحوش والتنانين والهاوية.

إن مشاكل التفسير الحياتيَ هنا هي مشاكل متعلقة بصُلب السفر. فسفر

الرؤيا سفر قانوني وبالتالي فهو كلمة الله الموحى بها لنا من الروح القدس. ومع ذلك، عندما نحاول الإصغاء إلى هذه الكلمة، يصعب على معظمنا، في كنائس اليوم، معرفة ما ينبغي عمله من جهتها.

فالكاتب أحيانًا يتحدث صراحة «أنا يوحنا أخوكم وشريككم في الضيقة وفي ملكوت يسوع المسيح وصبره، كنت في الجزيرة التي تدعى بطمس من أجل كلمة الله ومن أجل شهادة يسوع المسيح» (١: ٩). وهو يكتب إلى سبع كنائس في مدن كانت معروفة وفي ظل أحوال القرن الأول المعروفة.

ومع ذلك، فهناك رمزية غزيرة وعميقة بالسفر، بعضها يمكن فهمه (دينونة في هيئة زلزلة ٦: ١٢-١٧)، في حين يظل البعض الآخر غير مؤكد ويدور حوله الكثير من التفسيرات (الشاهدان ١١: ١-١٠). ومعظم المشاكل تنبع من الرموز بالإضافة لكون السفر يتعامل مع أحداث مستقبلية وفي نفس الوقت يقوم باستخدام قرينة يسهل إدراك انتمائها لبيئة القرن الأول.

لا ينبغي لأي إنسان أن يتعامل مع سفر الرؤيا دون أن يمتلك قدرًا معقولاً من التواضع.

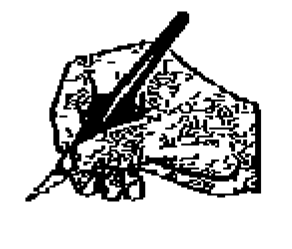
ويبدو ضروريًا القول في مستهل حديثنا أنه لا ينبغي لأي إنسان أن يتعامل مع سفر الرؤيا دون أن يمتلك قدرًا معقولاً من التواضع. هناك كتب كثيرة تهدف إلى «تبسيط سفر الرؤيا»، ولكنه ليس بسيطًا. وكما هو الحال في المقاطع الصعبة «بالرسائل» على الشخص ألا يكون جازمًا هنا، خاصة وأن هناك على الأقل خمس مدارس رئيسية للتفسير، ناهيك عن الاختلافات البارزة بين هذه المدارس.

لكننا نتجاسر على الاعتقاد بأن لدينا ما هو أكثر من مجرد معرفة طفيفة لما كان يرمي إليه يوحنا الرسول. لذا سنقودك أيها القارئ العزيز لبعض الاقتراحات التفسيرية الحياتية التي نعتقد بصحتها. لكن التفسير الاستنتاجي

يأتي أولاً، وفي هذه الحالة بالذات يلعب دورًا حاسمًا، وذلك لأنه قد تم كتابة ونشر الكثير من الكتب والنبذ المعروفة عن هذا السفر. وفي كل حالة تقريبًا، لا تقدم لنا هذه الكتب أي تفسير استنتاجي. فهي تقفز إلى التطبيق مباشرة، وهو يتخذ عادة شكل التخمينات الخيالية التي ما كان يمكن ليوحنا أن يكون قصدها أو فهمها على الإطلاق.

طبيعة سفر الرؤيا

كما هو الحال في معظم أنواع النصوص الأخرى، فإن مفتاح التفسير الاستنتاجي الأول لسفر الرؤيا هو فحص نوع الأدب الذي كُتب به. إلا أننا في هذه الحالة، نواجه نوعًا مختلفًا من المشاكل، لأن سفر الرؤيا فريد من نوعه، وهو خليط من ثلاثة أساليب أدبية مميزة: هي الأدب الرؤيوي والنبوة والرسالة. علاوة على ذلك، فإن الأسلوب الأساسي وهو الأدب الرؤيوي، هو ضرب أدبي لم يعد مستخدمًا في أيامنا هذه. في الحالات السابقة، وحتى وإن كانت الضروب الأدبية تختلف نوعًا ما عن الأمثلة الكتابية، إلا أنه كان لدينا فهم مبدئي لماهية الرسالة أو القصة أو المزمور أو المثل. ولكننا هنا لا نرى شيئًا مثل هذا إطلاقًا. لذا فإن رؤيتنا بوضوح للأسلوب الأدبي الذي نتعامل معه في هذه الحالة هو أمر في غاية الأهمية.



سفر الرؤيا فريد من نوعه، وهو خليط من ثلاثة أساليب أدبية مميزة: هي الأدب الرؤيوي والنبوة والرسالة.

سفر الرؤيا كأدب رؤيوي:

إن سفر الرؤيا بالدرجة الأولى هو أدب رؤيوي. فمع كونه خاصًا جدًا، فهو

بالتأكيد واحد من عشرات الكتابات الرؤيوية التي كانت معروفة عند اليهود والمسيحيين في الفترة ما بين ٢٠٠ ق. م إلى ٢٠٠م. هذه الكتابات الرؤيوية الأخرى، التي لم تكن قانونية بطبيعة الحال، اختلفت أنواعها، مع أنها، بما فيها سفر الرؤيا، تتشارك في بعض الخصائص. **وتلك الخصائص هي كما يلي:**

١ إن الجذر الرئيسي للكتابات الرؤيوية هو النصوص النبوية في العهد القديم، خاصة ما نجده منها في سفر حزقيال، ودانيال، وزكريا، وأجزاء من إشعياء. وكما كان الحال في بعض النصوص النبوية، كان اهتمام الأدب الرؤيوي مُنصبًا على الدينونة والخلاص الآتيين. لكن الكتابة الرؤيوية برزت في أزمنة الاضطهاد أو أزمنة الضيق العظيم. لذا، لم يعد اهتمامنا العظيم ينصب على نشاط الله في إطار الأحداث التاريخية. لقد كان الكُتّاب الرؤيويون يتطلعون فقط إلى الوقت الذي سينهي الله فيه التاريخ نهاية عنيفة وجذرية بشكل يعني انتصار الحق والدينونة النهائية للشر.

٢ على غير ما دأبت عليه معظم الكتب النبوية، فإن الكتب الرؤيوية هي أعمال أدبية من البداية. فقد كان الأنبياء في الأساس ناطقين باسم يهوه، ثم تم جمع وتدوين أقوالهم النبوية في كتب. لكن الكتابة الرؤيوية هي شكل من أشكال الأدب. فلها صيغة وبنية كتابية محددة. فعلى سبيل المثال، يقال ليوحنا: «فاكتب ما رأيت» (١ : ١٩)، بينما قيل للأنبياء أن يتكلموا بما سمعوه أو رأوه.

٣ تظهر محتويات الكتابة الرؤيوية، في أكثر المرات، على شكل رؤى وأحلام، وتكون لغتها خفية ورمزية، لذا فقد احتوت معظم الكتابات الرؤيوية – غير القانونية – على عناصر أدبية بقصد إضفاء روح العصر العتيق على السفر. ولعل أهم تلك العناصر الأدبية هو الأسماء المستعارة، التي جعلت الأسفار تبدو وكأنها مكتوبة بيد أحد المشاهير القدماء من الكُتّاب (أخنوخ،

باروخ... إلخ)، الذين طُلب منهم أن «يختموا» كتاباتهم إلى يوم متأخر، وهذا اليوم المتأخر بطبيعة الحال هو العصر الذي تمت فيه فعليًا كتابة السفر.

٤ كثيرًا ما تكون صور الكتابات الرؤيوية زاخرة بالخيال، بدلاً من الواقع. وعلى عكس ذلك، نجد أن الأنبياء غير الرؤيويين والمسيح قد قاموا باستخدام اللغة الرمزية كثيرًا، لكنها كانت في معظم الأحيان تحتوي على صور حقيقية، مثل الملح (مت ٥: ١٣)، النسور والجثة (لو ١٧: ٣٧)، الحمامة الرعناء (هو ٧: ١١)، خبز الملة (هو ٧: ٨)... إلخ. لكن معظم صور الكتابات الرؤيوية تتسم بالخيال، فعلى سبيل المثال، هناك وحش بسبعة رؤوس وسبعة قرون (رؤ ١٣: ١)، امرأة تلبس الشمس (رؤ ١٢: ١)، جراد أذنابه كأذناب العقارب ورؤوس بشرية (رؤ ٩: ١٠)... إلخ. ليس من الضروري أن يظهر الخيال في الاستعارات نفسها، فنحن ندرك معنى الوحوش والقرون والرؤوس، لكن في كون تركيبة هذه الكائنات معًا غريبة على الصور الأرضية المألوفة.

٥ ولأن الكتابات الرؤيوية كانت أدبية، فقد تم تشكيلها بأسلوب خاص بها. كانت هناك نزعة قوية لتقسيم الزمن والأحداث إلى أقسام منتظمة، وكان هناك أيضًا ولع عظيم بالاستخدام الرمزي للأرقام. ونتيجة لذلك، يكون الناتج النهائي عادة مليئًا بالمشاهد المرتبة بعناية، والكثيرة الترقيم. وكثيرًا ما تكون هذه المشاهد، إذا ما اتصلت ببعضها، تعبيرًا عن أمر (مثل الدينونة) دونما ضرورة لمحاولة الإيحاء بأن كل مشهد منفصل يسير على خطى المشهد الذي سبقه.

تسري على رؤيا يوحنا الرسول كافة ميزات الكتابات الرؤيوية إلا واحدة. وهذا الفارق الوحيد مهم جدًا إلى درجة أنه يجعل سفر الرؤيا عالمًا مستقلاً. لا يحمل سفر الرؤيا اسمًا مستعارًا، فلم يشعر يوحنا الرسول بحاجته إلى اتباع الأسلوب المعهود في استعارة اسم أحد المشاهير هنا. فلقد عرَّف نفسه إلى قرائه، ومن

خلال الرسائل السبع (الأصحاحان ٢-٣)، قام بمخاطبة الكنائس المعروفة في آسيا الصغرى، والتي كان مؤمنوها معاصرين له و«رفقاءه في الضيق». علاوة على ذلك، قيل ليوحنا الرسول ألا يختم على أقوال نبوة هذا الكتاب، لأن الوقت قريب (٢٢: ١٠).

سفر الرؤيا كنبوة:

ربما يتعلق السبب الرئيسي لعدم استخدام يوحنا الرسول اسمًا مستعارًا على الأرجح بإيمانه بأن النهاية قد حلت ولكن ليس بعد (انظر الجزء الأخير من الفصل السابع). لم يكن يوحنا الرسول، مع أسلافه اليهود، مجرد مترقب للنهاية. بل كان يعلم أنها قد بدأت بمجيء المسيح. وتعد قضية مجيء الروح القدس هامة لهذا المفهوم. فالكُتّاب الرؤيويون الآخرون قد سجلوا كتاباتهم وعزوها إلى أنبياء سابقين لأنهم عاشوا منتظرين الوعد النبوي بالروح المنسكب في العصر الجديد. من جهة ثانية عاش يوحنا الرسول في زمن يخص العهد الجديد، فقد كان في الروح عندما قيل له أن يكتب ما رأى (١: ١٠-١١). يسمي يوحنا سفره «هذه النبوة» (١: ٣؛ ٢٢: ١٨-١٩)، ويقول إن «شهادة الرب يسوع» التي عانى هو والكنائس من أجلها (١: ٩؛ ٢٠: ٤)، هي روح النبوة (١٩: ١٠).

إن ما يجعل رؤيا يوحنا مختلفة عن غيرها هو أنها في المقام الأول تجمع ما بين عنصري النبوة والرؤيا. فمن جهة يظهر لنا السفر بقالب رؤيوي ويحتوي على معظم الميزات الأدبية للكتابات الرؤيوية. فقد ظهر هذا السفر في زمن اضطهاد ويهدف إلى إيضاح النهاية بانتصار المسيح وكنيسته، كما أنه يعد قطعة أدبية مبنية بعناية، وزاخرة باللغة المبهمة، وغنية بالرموز كالخيال والأرقام.

من جهة أخرى، يتضح أن يوحنا كان يهدف إلى أن تكون رؤياه كلمة نبوية للكنيسة. لم يكن على سفره أن يظل مختومًا للمستقبل، فقد كان السفر رسالة الله

للناس لتعالج قضاياهم الراهنة. لعلك تتذكر ما جاء في الفصل العاشر أن التنبوء لا يعني التكهن بالمستقبل فقط، لكنه يعني التحدث بكلمة الله في الوقت الحاضر، وهذه كلمة تتضمن عادة الدينونة العتيدة أو الخلاص المستقبلي. وحتى الرسائل السبع في سفر الرؤيا تحمل هذا الطابع النبوي. لدينا هنا إذًا، كلمة الله النبوية لبعض الكنائس في الجزء الأخير من القرن الأول، تلك الكنائس التي كانت تجتاز اضطهادًا من المحيطين بها، وكانت تعاني بعض الفساد من داخلها.

سفر الرؤيا كرسالة:

أخيرًا ينبغي ملاحظة أن هذا الجمع بين العنصرين الرؤيوي والنبوي قد خرج إلينا على شكل رسالة. فعلى سبيل المثال، اقرأ رؤيا ١: ٤-٧؛ ٢٢: ٢١ وستلاحظ أن كافة خصائص صيغة الرسالة موجودة هناك. علاوة على ذلك، يتحدث يوحنا إلى قرائه بصيغة المتكلم/ وصيغة المخاطب.. (أنا.. أنتم). وهكذا، يظهر الشكل النهائي لسفر الرؤيا على هيئة رسالة من يوحنا إلى كنائس آسيا الصغرى السبع.

تكمن أهمية هذا الأمر، كما هو الحال مع كل الرسائل، في وجود مناسبة لسفر الرؤيا (انظر الفصل الثالث). فمناسبة كتابة الرؤيا كانت جزئيًا سد حاجات الكنائس التي أُرسلت إليها. علينا إذًا لكي نفهم السفر، أن نحاول استيعاب القرينة التاريخية الأصلية لسفر الرؤيا.

ضرورة عمل التفسير الاستنتاجي

إن السرد التالي تكرار لبعض مبادىء التفسير الاستنتاجي الأساسية التي سبق وذكرناها في هذا الكتاب، ابتداء من الفصل الثالث، على أن نفعل ذلك واضعين سفر الرؤيا في أذهاننا.

١ إن المهمة الأولى في التفسير الاستنتاجي لسفر الرؤيا هي معرفة القصد الأصلي للكاتب، وبالتالي للروح القدس. وكما هو الحال مع الرسائل، يكون المعنى الأساسي لسفر الرؤيا هو ما قصد يوحنا أن يعنيه، والذي بدوره يجب أن يكون شيئًا كان باستطاعة قرائه أن يفهموا معناه. والحقيقة تقال، إن قراء يوحنا يمتازون علينا بكونهم مطلعين بطبيعة الحال على القرينة التاريخية التي عاشوا فيها (والتي كانت السبب المباشر لكتابة السفر)، ولكون أشكال وصور الكتابات الرؤيوية مألوفة عندهم أكثر مما هي بالنسبة لنا.

٢ بما أن سفر الرؤيا كان أيضًا سفرًا نبويًا، فعلى الشخص أن يقبل إمكانية وجود معنى ثانوي، بوحي من الروح القدس، لم يستطع الكاتب أو القراء أن يدركوه كاملاً. لكن معنى ثانويًا كهذا يقع في ميدان أبعد من التفسير الاستنتاجي ويقع ضمن إطار التفسير الحياتي الأوسع. لذا، فعملية التفسير الاستنتاجي هنا تتلخص في فهم ما أراد يوحنا لقرائه الأصليين أن يسمعوه ويفهموه.

٣ على الشخص أن يكون حذرًا جدًا من المبالغة في استخدام مفهوم التناظر الكتابي عند قيامه بتفسير استنتاجي لسفر الرؤيا. يعني هذا المفهوم أن على آيات الكتاب المقدس أن تُفسر في ضوء آيات الكتاب المقدس الأخرى. ونحن نعد هذا التناظر أمرًا لا يحتاج لإيضاح إذ أننا نؤمن أن كل الكتاب المقدس هو كلمة الله وأن الله هو المصدر النهائي لهذا الكتاب. إلا أننا في تفسيرنا للآيات بالآيات، لا ينبغي أن نبتعد بحيث نجعل من بعض الآيات مفاتيح تفسيرية تحل غموض سفر الرؤيا.

وهكذا فإن إدراك استخدام يوحنا للصور من الرؤيا في العهد القديم، أو الكتابات الرؤيوية غير الكتابية أمر طيب ولكن لا ينبغي أن نفترض، كما

تفعل بعض مذاهب التفسير، أنه توجب على قراء يوحنا أن يقرأوا إنجيل متى أو رسالتي تسالونيكي وأنهم كانوا جراء قراءتهم لتلك النصوص عارفين بعض المفاتيح التي تساعدهم على فهم ما كتبه يوحنا؛ لذا فإن أي مفتاح من مفاتيح تفسير سفر الرؤيا يجب أن يكون موجودًا داخل سفر الرؤيا ذاته، أو أن يكون في متناول مستلمي الرسالة الأصليين من خلال قرينتهم التاريخية.

٤ بسبب طبيعة السفر الرؤيوية/ النبوية، هناك صعوبات إضافية على المستوى الاستنتاجي وبخاصة ما يتعلق منها باللغة المجازية. إليك بعض الاقتراحات بهذا الخصوص.

(أ) على الشخص أن يكون مرهف الحس من جهة الخلفية الثرية بالأفكار التي لعبت دورًا عند كتابة سفر الرؤيا. ولعل العهد القديم هو المصدر الرئيسي لتلك الأفكار والصور، غير أن يوحنا اقتبس صورًا من الكتابات الرؤيوية غير الكتابية. إلا أن استعارة هذه الصور على اختلاف مصادرها لا يعني بالضرورة أنها كانت تفيد المعنى ذاته في تلك المصادر. فلقد تم تفكيكها وإعادة تشكيلها بوحي الروح القدس، وهكذا امتزجت معًا في خليط من النبوة الجديدة.

(ب) يتألف المجاز الرؤيوي من عدة أنواع، ففي بعض الحالات تكون الصور ثابتة. فالوحش الخارج من البحر، على سبيل المثال، يبدو كصورة ثابتة لإمبراطورية عالمية، وليس لحاكم بشري واحد. من جهة أخرى، هناك صور كثيرة المرونة، فالأسد الخارج من سبط يهوذا يتحول في حقيقة الأمر إلى خروف (رؤ ٥: ٥-٦) وهو الأسد الوحيد المذكور في سفر الرؤيا. أما المرأة في الأصحاح الثاني عشر فهي صورة إيجابية واضحة، لكن المرأة في الأصحاح السابع عشر شريرة

وبالمثل تشير بعض الصور إلى أمور معينة. فالمنائر السبع في ١: ١٢-٢٠ هي الكنائس السبع، والتنين في الأصحاح الثاني عشر هو الشيطان. من جهة أخرى، قد تكون كثير من الصور عامة، فعلى سبيل المثال، لا يشير الفرسان الأربعة في الأصحاح السادس إلى أي تعبير معين عن الانتصار والحرب، والمجاعة والموت؛ ولكنهم يمثلون تعبيرًا عن السقوط البشري كمصدر لمعاناة الكنيسة (٦: ٩-١١) التي ستتسبب بدورها في حلول دينونة الله (٦: ١٢-١٧).

خلاصة القول هي أن الصور المجازية تُعد الجزء الأكثر صعوبة لمهمة التفسير الاستنتاجي. ولهذا السبب فمن الجدير ملاحظة نقطتين إضافيتين هامتين:

(ج) عندما يقوم يوحنا نفسه بتفسير الصور المجازية، يجب أن نتمسك بقوة بهذه الصور المفسرة كنقطة بداية لفهم غيرها. ولدينا ست من هذه الصور المفسرة: إن شبه ابن الإنسان (١: ١٣، ١٧-١٨) هو المسيح، الذي وحده كان ميتًا وهو حي إلى أبد الآبدين. إن المنائر الذهبية (١: ٢٠) هي الكنائس السبع. إن الكواكب السبعة (١: ٢٠) هي الملائكة السبعة، أو الرسل السبعة للكنائس (مع الأسف مازال الغموض يشوب هذا الأمر نظرًا لاستخدام كلمة ملاك الذي قد يكون بدوره صورة أخرى). التنين العظيم (١٢: ٩) هو الشيطان. الرؤوس السبعة (١٧: ٩) هي الجبال السبعة التي تجلس عليها المرأة (تمامًا مثل الملوك السبعة، وهكذا تتحول إلى صورة مرنة). وأما المرأة (الزانية) (١٧: ١٨) فهي المدينة العظيمة، التي تشير بوضوح إلى روما.

(د) على الشخص أن يرى الرؤى رؤية شاملة، وألا يشدد رمزيًا على كل التفاصيل. وعليه، فإن تفاصيل إظلام الشمس كمسح من شعر،

وسقوط النجوم كساقط شجرة التين قد لا تعني أي شيء. فهذه الصور تقدم الرؤيا الكاملة للهزة الأرضية بطريقة أكثر تأثيرًا. أما في ٩: ٧-١١ فإن الجراد ذا الأكاليل شبه الذهب والوجوه الشبيهة بوجوه الناس والشعر الشبيه بشعر النساء، كلها تساعد في ملء الصورة بطريقة تجعل صعبًا على القراء الأولين أن يخطئوا ذلك المشهد، حشود البرابرة على الأطراف الخارجية للإمبراطورية الرومانية.

مع أن الكنيسة ستختبر الآلام والاستشهاد، فإنها ستنتصر في المسيح الذي سيدين أعداءه ويُخلِّص شعبه.

٥ ملاحظة واحدة أخيرة: قلما تهدف الكتابات الرؤيوية عامة، وسفر الرؤيا خاصة، إلى إعطاء سرد زمني مفصل عن المستقبل. فرسالة هذا النوع من الكتابات تميل إلى تجاوز هذا الأمر. أما اهتمام يوحنا الأكبر، بالرغم من المظاهر الحاضرة فهو أن الله يسيطر على التاريخ والكنيسة. ومع أن الكنيسة ستختبر الآلام والاستشهاد، فإنها ستنتصر في المسيح الذي سيدين أعداءه ويُخلِّص شعبه. لذا يجب النظر إلى هذه الرؤى في ضوء هذا الاهتمام الأشمل.

القرينة التاريخية

كما هو الحال مع أنواع النصوص الأخرى، فإن الذي يجب أن نبدأ به عملية التفسير الاستنتاجي لسفر الرؤيا هو عمل استرجاع مؤقت أو إعادة تخيل للموقف الذي كُتب فيه السفر. ولكي تفعل هذا جيدًا، عليك أن تقوم هنا بما سبق واقترحناه في كل مكان آخر:

- حاول قراءة السفر من أوله إلى آخره في جلسة واحدة.

- اقرأ من أجل الحصول على الصورة الإجمالية.
- لا تحاول أن تستنتج كل شيء.
- دع قراءتك نفسها تكون موضع التركيز.
- أي دع المشاهد تتدفق أمامك كتدفق الأمواج على شاطئ البحر، واحدة تلو الأخرى إلى أن تبدأ بإدراك مناخ السفر ورسالته.
- مرة أخرى، وبينما تقرأ، قم بملاحظة أو تدوين الملاحظات القصيرة عن الكاتب وقرائه.
- ثم عد ثانية ولاحظ بالتحديد كل الإشارات التي تشير إلى أن قراء يوحنا كانوا شركاءه في الضيقة (١ : ٩). فهذه هي المؤشرات التاريخية الهامة.

فعلى سبيل المثال، انتبه إلى المواضع التالية في الرسائل السبع ٢: ٣، ٨-٩، ١٣؛ ٣: ١٠، لاحظ أيضًا تكرار التعبير «مَنْ يغلب». إن الختم الخامس (٦: ٩-١١)، الذي يتبع الدمار الذي أحدثه الفرسان الأربعة، يبين لنا الشهداء المسيحيين الذين قُتلوا من أجل كلمة الله ومن أجل الشهادة (وهذا بالضبط هو سبب وجود يوحنا في المنفى في ١ : ٩).

وفي ٧: ١٤ نرى أن الجمع الكثير الذي لن يعاني فيما بعد (٧: ١٦)، قد «أتوا من الضيقة العظيمة». هنا أيضًا نرى العلاقة بين الضيق والموت من جهة و«شهادة يسوع المسيح» في ١٢ : ١١، ١٧ من جهة أخرى. وفي الإصحاحات ١٣-٢٠، يُعْزي الألم والموت إلى «الوحش» على وجه الخصوص (١٣: ٧؛ ١٤: ٩-١٣؛ ١٦: ٥-٦؛ ١٨: ٢٠، ٢٤؛ ١٩: ٢).

يعد هذا الأمر هو المفتاح لفهم القرينة التاريخية، وهو يوضح تمامًا مناسبة كتابة السفر وهدفه. لقد كان يوحنا نفسه في المنفى بسبب إيمانه. وكان آخرون أيضًا يعانون الضيق، لدرجة أن أحدهم استشهد (٢: ١٣) من أجل «شهادة

يسوع». عندما كان يوحنا في الروح، أدرك أن معاناتهم الحاضرة لم تكن سوى بداية الويلات التي ستنزل على الذين سيرفضون «السجود للوحش». وفي الوقت نفسه، لم يكن يوحنا متأكدًا من استعداد الكنيسة كلها لمواجهة ما كان ينتظرها. وهذا ما دعاه إلى كتابة هذه النبوة.

إن الأفكار الرئيسية واضحة تمامًا بسفر الرؤيا: الكنيسة والدولة في حال صدام وصراع ويبدو النصر الأولي حليفًا للدولة. وها هو يحذر الكنيسة أن الألم والموت ينتظرانها وسوف تزداد الأمور سوءًا قبل أن تبدأ في التحسن (٦: ٩-١١). ونرى يوحنا مهتمًا جدًا بأن لا يستسلموا في أزمنة الضيق (١٤: ١١-١٢؛ ٢١: ٧-٨). لكن هذه الكلمة النبوية هي كلمة تشجيع أيضًا حيث أن الله يسيطر على كل الأمور. فمفاتيح التاريخ بيد المسيح، وهو يمسك الكنائس بيديه (١: ١٧-٢٠). وهكذا ستنتصر الكنيسة حتى من خلال الموت (١٢: ١١). وفي النهاية، سيسكب الله غضبه على الذين تسببوا في هذا الألم والموت وسيمنح أولئك الذين ظلوا أمناء الراحة الأبدية. وبحسب تلك القرينة، أو السياق كانت روما هي العدو العتيد أن يُدان.

جدير بنا الانتباه هنا إلى أن أحد مفاتيح فهم سفر الرؤيا هو معرفتنا للفرق الذي يراه يوحنا بين كلمتين أو فكرتين هما: الضيقة والغضب. إن الخلط بين هاتين الكلمتين وجعلهما تقولان الشيء ذاته من شأنه أن يربك الشخص ويجعله يائسًا من معرفة قصد الكلام الوارد.

إن الضيقة (المعاناة والموت) جزء واضح مما كانت تمر به الكنيسة ومما كانت عتيدة أن تمر به. أما غضب الله من جهة أخرى، فهو دينونته التي سيسكبها على الذين اضطهدوا شعب الله. واضح من كل أنواع القرائن في سفر الرؤيا أن شعب الله لن يكون عليه أن يتحمل غضب الله العظيم عندما يسكبه على أعدائهم، لكنه واضح أيضًا أن شعب الله سيعانون الكثير على يد أعدائهم. يجب

التنبير على أن هذا الفرق يتماشى تمامًا مع بقية العهد الجديد. انظر على سبيل المثال، تسالونيكي الثانية ١ : ٣-١٠، عندما يفتخر بولس بأهل تسالونيكي في الاضطهادات والضيقات، ولكنه يذكر أيضًا أن الله سيقوم في النهاية بإدانة الذين يضايقونهم.

عليك أن تلاحظ أيضًا كيف أن فتح الختمين الخامس والسادس (٦: ٩-١٧) يثير السؤالين الهامين في السفر. ففي الختم الخامس، يصرخ الشهداء المسيحيون قائلين: «حتى متى أيها السيد القدوس والحق لا تقضي وتنتقم لدمائنا من الساكنين على الأرض؟ » والجواب ذو شقين:

(١) عليهم أن ينتظروا (زمانًا يسيرًا) لأنه سيكون هناك عدد أكبر من الشهداء.

(٢) إن الدينونة مع ذلك أكيدة، كما يصرح الختم السادس.

وفي الختم السادس، عندما تأتي دينونة الله، يصرخ مَنْ أصابتهم الدينونة، «مَنْ يستطيع الوقوف؟» والأصحاح السابع يحمل الجواب: الذين ختمهم الله، الذين «غسلوا ثيابهم وبيضوا ثيابهم في دم الخروف».

القرينة الأدبية

لكي نفهم أية رؤيا من الرؤى الخاصة بسفر الرؤيا من المهم جدًا ليس فقط أن نجاهد لفهم خلفية الصور ومعانيها (المسائل الخاصة بالمحتوى)، بل أيضًا أن نسأل عن وظيفة هذه الرؤيا الواحدة بالنسبة إلى مجمل سفر الرؤيا.

وفيما يتعلق بهذا الخصوص، فإن سفر الرؤيا يشبه كثيرًا الرسائل وليس أسفار الأنبياء. فالأسفار النبوية عبارة عن مجموعات من الأقوال النبوية، ولكننا لا نحظى دائمًا بهدف واضح لوظيفتها فيما يتعلق بعلاقتها مع بعضها البعض. أما

في الرسائل، كما تذكر، فعلى الشخص أن يفكر بحسب الفقرات، لأن كل فقرة تعد لبنة في البناء الكلي للموضوع. هكذا هو الحال مع سفر الرؤيا أيضًا. فالسفر قد بني بناءً كاملاً بديعًا، وكل رؤيا فيه تعد بمثابة جزء مُكمِّل لذلك الكل.

بما أن سفر الرؤيا هو الوحيد من نوعه في العهد الجديد، فسنحاول إرشاد خطاك فيه من أوله إلى آخره، بدلاً من أن نكتفي بتقديم نموذج أو اثنين. وعلينا التنبيه بأن البنية الأساسية للسفر واضحة وليست محل نقاش، أما الاختلافات فهي حول تفسير الشخص لهذه البنية.

يتكشف لنا السفر كما تتكشف مسرحية عظيمة، بحيث تقوم المشاهد الأولى بإعداد خشبة المسرح وتوزيع أدوار شخصيات المسرحية، وتكون المشاهد اللاحقة معتمدة على كل المشاهد السابقة، وذلك لكي تتمكن من متابعة حبكة المسرحية.

تقوم الإصحاحات ١-٣ بإعداد المسرح وتقديم أبرز الشخصيات لنا:

أولاً: هناك يوحنا نفسه (١: ١-١١) الذي يقوم بدور الراوي إلى النهاية. لقد تم نفيه جراء إيمانه بالمسيح، وكان يمتلك البصيرة النبوية ليرى أن الاضطهاد الحالي كان مجرد مقدمة لما كان سيتبع.

ثانيًا: هناك المسيح (١: ١٢-٢٠) الذي يصفه يوحنا بتصاوير رائعة اشتقها جزئيًا من دانيال ١٠ كرب التاريخ ورب الكنيسة. إن الله لم يفقد السيطرة على التاريخ، فبالرغم من الاضطهاد الحالي، فإن المسيح وحده يمسك بمفاتيح الموت والهاوية.

ثالثًا: هناك الكنيسة (٢: ١-٣: ٢٢). من خلال الرسائل إلى سبع كنائس حقيقية على كونها تمثل غيرها أيضًا، يقوم يوحنا بتشجيع الكنيسة وتحذيرها.

فالاضطهاد حاضر بالفعل ويتم وعد الكنيسة بالمزيد منه. ولكن هناك أيضًا مساوئ داخلية تهدد كيان الكنيسة. وهناك أيضًا وعود بالمجد الأبدي للذين يغلبون.

يقوم الإصحاحان ٤-٥ أيضًا بإعداد المسرح. فبمشاهد فريدة غايتها العبادة والتسبيح يعلن السفر للكنيسة أن الله يحكم بسيادة مطلقة (أصحاح ٤)، وبالنسبة إلى المؤمنين الذين يتساءلون عما إذا كان الله حاضرًا معهم ويعمل لخيرهم، يقوم يوحنا بتذكيرهم أن أسد الله هو خروف افتدى بنفسه بني البشر بواسطة الآلام (أصحاح ٥).

يبدأ الإصحاحان ٦-٧ بالكشف عن المسرحية نفسها. يتم تقديم الرؤى خلال السفر كله ثلاث مرات بترتيب سباعي مبني بعناية (أصحاحات ٦-٧، ٨-١١، ١٥-١٦). وفي كل حالة، تنسجم العناصر الأربعة الأولى معًا فتقوم برسم صورة واحدة. وفي ٦-٧ و٨-١١ يقوم العنصران التاليان معًا بتقديم جانبين من حقيقة أخرى.

ويتم فصل هذه الأحداث بفاصل يتألف من رؤيتين، وذلك قبل أن يتم الكشف عن العنصر السابع. أما في الأصحاحين ١٥-١٦ فيتم جمع العناصر الثلاثة الأخيرة دونما فاصل. لاحظ كيفية قيام الأصحاحين ٦-٧ بذلك:

١- الفارس الأبيض = غلبة

٢- الفارس الأحمر = حرب

٣- الفارس الأسود = مجاعة

٤- الفارس الأخضر = موت

٥- سؤال القديسين الشهداء : «حتى متى؟»

٦- الزلزلة (دينونة الله): «مَنْ يستطيع الوقوف؟»

أ - ختم ١٤٤٠٠٠ شخص

ب - جمع كثير

٧- غضب الله: الأبواق السبعة (الأصحاحات ٨-١١)

تكشف الأصحاحات ٨-١١ ما تتضمنه دينونة الله. تشير الأبواق الأربعة الأولى أن جزءًا من هذه الدينونة يتضمن اضطرابات هائلة في الطبيعة. ويشير البوقان الخامس والسادس إلى الاضطراب الذي ستحدثه الحشود البربرية وإلى حرب عظيمة. وبعد الفاصل الذي يُعبِّر عن تعظيم الله لشهوده حتى وإن كانوا يموتون، يعلن البوق السابع نهاية المطاف «قد صارت ممالك العالم لربنا ومسيحه».



يُعد الأصحاح الثاني عشر المفتاح اللاهوتي للسفر. فبمشهدين اثنين يتم إخبارنا بمحاولة الشيطان لتدمير المسيح وبهزيمة الشيطان نفسه أثر ذلك.

وهكذا يفضي بنا الأمر إلى معاناة الكنيسة ودينونة الله لأعداء الكنيسة، وصولاً إلى انتصار الله النهائي. لكن الرؤى لم تنته بعد، ففي الإصحاحات ٨-١١ يتم تعريفنا بالصورة الشاملة، أما الإصحاحات ١٢-٢٢ فتقدم لنا تفاصيل تلك الدينونة وذلك النصر. فالذي حدث يشبه النظر إلى اللوحة المسماة كنيسة سيستين للفنان مايكل أنجلو، فلأول وهلة يشعر الشخص بالهيبة وهو ينظر إلى الكنيسة بأكملها ولكنه سرعان ما يبدأ بإمعان النظر في الأجزاء ويتمتع بالروائع التي تناولت أدق التفاصيل.

يُعد الأصحاح الثاني عشر المفتاح اللاهوتي للسفر. فبمشهدين اثنين يتم إخبارنا بمحاولة الشيطان لتدمير المسيح وبهزيمة الشيطان نفسه أثر ذلك.

وهكذا وضمن إطار العهد الجديد المتكرر والمتعلق بحالة بالفعل «ليس بعد» يظهر لنا الشيطان كعدو مهزوم (تمت هزيمته) لكن نهايته الأخيرة لم تأت بعد. لذلك هناك فرح لأن الخلاص قد تم ولكن مازال هناك ضيق للكنيسة لأن الشيطان يعرف أن له زمانًا يسيرًا ولذا يصب جام نقمته على شعب الله.

ثم يبين الإصحاحان ١٣-١٤ كيف أنه بالنسبة إلى كنيسة يوحنا جاءت هذه النقمة في هيئة الإمبراطورية الرومانية مع أباطرتها الذين كانوا يطالبون بالولاء الديني. لكن الدينونة تأتي على الإمبراطورية وأباطرتها (الإصحاحان ١٥-١٦). وينتهي السفر بقصة مدينتين (الإصحاحات ١٧-٢٢). تتم إدانة مدينة الأرض (روما) للدور الذي قامت به في اضطهاد شعب الله، ثم تأتي بعد ذلك مدينة الله حيث يسكن شعب الله إلى الأبد.

ضمن هذه البنية العامة، تشكل بضعة رؤى صعوبات لا يستهان بها، وذلك من حيث معنى مضمونها ووظيفتها في سياق القرينة. وللإجابة على هذه الأسئلة، ستحتاج كثيرًا إلى مراجعة أحد كتب التفسير الجيدة.

قضايا التفسير الحياتي

كثيرًا ما تشبه صعوبة التفسير الحياتي لسفر الرؤيا تلك التي رأيناها في الأسفار النبوية التي تناولناها في الفصل العاشر. وكما هو الحال مع سائر أنواع النصوص الأخرى، وإن أردنا أن نعرف ما هي كلمة الله لنا، علينا أولاً أن نجدها في كلمة الله لهم. ولكن على عكس الضروب الأدبية الأخرى، فان الرؤيا وأسفار الأنبياء كثيرًا ما تتحدث عن أمور كانت بالنسبة لمَنْ كتبت إليهم لا تزال عتيدة أن تحدث.

فالكثير من ذلك الذي كان عتيدًا أن يحدث كان له علاقة زمنية مباشرة (في

زمن كتابته). أما من موقعنا التاريخي فهو قد حدث بالفعل. وهكذا فإن مملكة يهوذا قد أُخذت للسبي، وتم رد سبيها، تمامًا كما تنبأ إرميا وإن الإمبراطورية الرومانية قد وقعت فعلاً تحت الدينونة الدنيوية، التي كانت في جزء منها على يد القبائل البربرية، كما رآها يوحنا بالتمام.

لذلك فإن الصعوبات التفسيرية الحياتية المتعلقة بهذه الوقائع ليست كبيرة جدًا، فمازال باستطاعتنا الإصغاء إلى أسباب الدينونات بصفتها كلمة الله. فكما أنه يحق لنا الافتراض بأن الله سيدين (الذين يدوسون المساكين بأقدامهم)، يحق لنا أيضًا الافتراض بأن الله سيدين السلطات التي تضطهد المسيحيين، كما كان الحال مع روما.

علاوة على ذلك، مازال باستطاعتنا سماع ما تقوله كلمة الله ويجب علينا الإصغاء حقيقة إلى أن التلمذة تأخذ طريق الصليب، وأن الله لم يعدنا بحياة خالية من الألم والموت، ولكنه وعدنا بالغلبة من خلال هذه المعاناة. فمهما بلغت شرور الشيطان فإننا لا نخشاه لأنه قد يفلح في قتل الجسد وأما الروح فلا. ذلك أن حق الله لا ينتهي وملكه إلى أبد الدهر.

> *وهكذا فإن سفر الرؤيا هو كلمة الله المعزية والمشجعة للمؤمنين الذين يتألمون، ويعانون الاضطهادات أينما كانوا. فإن الله مالك زمام الأمور.*

فكل هذا هو بمثابة الكلمة التي ينبغي تكرار الإصغاء لها في الكنيسة – في كل بيئة وكل عصر. وإذا ما فاتتنا هذه الكلمة فقد فاتنا السفر كله.

لكن مشاكلنا الخاصة بالتفسير الحياتي لا تكمن في الإصغاء إلى هذه الكلمة، أي كلمة التحذير والتعزية التي هي هدف هذا السفر. إن مشكلتنا تتمثل في ظاهرة أخرى هي ظاهرة النبوة وبالتحديد لأن الكلمة الزمنية كثيرًا ما تكون

مرتبطة بالوقائع الإسخاتولوجية النهائية. وهذا الأمر يصح في سفر الرؤيا على وجه الخصوص. يبدو أن سقوط روما في الأصحاح الثامن عشر هو بداية فصول الختام النهائية، والكثير من صور الدينونة (الزمنية) تتضافر مع الكلمات والأفكار التي تشير أيضًا إلى النهاية الأخيرة كجزء من تلك الصورة. ويبدو أن ليس هناك سبيل لتجاهل أو إنكار حقيقة ذلك الأمر. والسؤال هنا هو، ما الذي نفعله بهذا الصدد؟ لقد قمنا بمعالجة ذلك السؤال في الفصل العاشر. **أما هنا فسنقدم بعض الاقتراحات:**

١ نحتاج أن نتعلم أن الصور الخاصة بالمستقبل هي مجرد صور. إن الصور تُعبِّر عن الواقع ولكن لا يجب خلطها مع الواقع، كما لا ينبغي الظن أن كافة تفاصيل تلك الصور يجب أن تتحقق بالضرورة بطريقة محددة.

٢ إن بعض الصور، التي كان القصد الأساسي منها التعبير عن حتمية دينونة الله، لا ينبغي أن نفسرها لتعطي معنى الوشوك بمفهومنا القاصر. وهكذا عندما يُهزم الشيطان من خلال موت المسيح وقيامته ويُطرح إلى الأرض ليجلب الدمار على الكنيسة فهو يعلم أن وقته قصير. لكن كلمة قصير لا تعني بالضرورة أن الوقت وشيك جدًا لكن ربما تعني زمانًا محدودًا. في الحقيقة، سيأتي وقت حين يُربط الشيطان إلى الأبد، أما يوم وساعة حدوث ذلك فلا أحد يعلم بهما.

٣ على الرغم من احتمال وجود مواقف كثيرة تحتوي على بعد ثان لتلك الصور، لم يتحقق بعد، فإنه ليس لدينا أي دلائل لتعقب ذلك. وفي هذا الصدد، يعرض لنا العهد الجديد نفسه مقدارًا من الغموض. فإن شخصية ضد المسيح، على سبيل المثال، أمر صعب على نحو خاص. ففي كتابات بولس الرسول (٢تس ٢: ٣-٤) نراه شخصية محددة. أما في رؤيا ١٣-١٤ فهو يأتي على

هيئة الإمبراطور الروماني. وفي كلتا الحالتين يبدو ظهوره إسخاتولوجيًا أي مرتبطًا بالأمور الأخيرة. ولكن في رسالة يوحنا الأولى، نقابل أضداد للمسيح ليشيروا إلى الغنوسيين الذين كانوا يجتاحون الكنيسة. إذن كيف ينبغي أن نفهم تلك الشخصية فيما يتعلق بمستقبلنا نحن؟

فمن الناحية التاريخية، عاينت الكنيسة (من زاوية ما) عددًا من حكام العالم الذين كانوا تعبيرًا عن ضد المسيح. ومن هذه الزاوية، فإن أضداد المسيح مستمرون في الظهور (١يو ٢: ١٨). ولكن ماذا عن شخصية عالمية محددة يرافق ظهورها الأحداث الأخيرة لنهاية العالم؟ هل هذا هو ما يخبرنا به الإصحاحان ١٣-١٤ من سفر الرؤيا؟ جوابنا هو ليس بالضرورة ولكننا منفتحون لتقبل مثل هذا الاحتمال.

إن الغموض في نصوص العهد الجديد نفسها يقودنا إلى توخيَ الحذر وإلى الافتقار إلى اليقينية من جهة مثل هذا الاعتقاد.

٤ إن الصور التي كُتبت بقصد أن تكون اسخاتولوجية تمامًا يجب أن تؤخذ على هذا المحمل. وعليه فإن الصور الواردة في ١١: ١٥-١٩ و١٩: ١-٢٢: ٢١ هي صور اسخاتولوجية كلية في غرضها. وعلينا أن نؤكد بأنها صور تمثل كلمة الله التي لم تتحقق بعد.

تمامًا كما أن بداية كلام الكتاب المقدس تتحدث عن الله والخليقة، هكذا أيضًا تتحدث كلمة الله الأخيرة عن الله وعن الاكتمال. فإن كان هناك غموض عندنا من جهة كيفية حدوث كل التفاصيل فليس هناك غموض حول اليقين بأن الله سينجز كل شيء في توقيته هو وبحسب طريقته هو. وعلى هذا اليقين أن يفيدنا كما أفادهم بهدف التحذير والتشجيع.

فإلى أن يأتي الرب، سنعيش المستقبل وكأنه تحقق بالفعل، وإنما نفعل هذا بسماع كلمة الرب وإطاعتها. ولكن سيأتي يوم حين لا نعود نحتاج إلى كتب كهذا الكتاب، لأنهم «لا يعلمون بعد كل واحد صاحبه.. لأنهم كلهم سيعرفونني» (إر ٣١: ٣٤). ونقول مع يوحنا، ومع الروح ومع العروس آمين تعال أيها الرب يسوع.

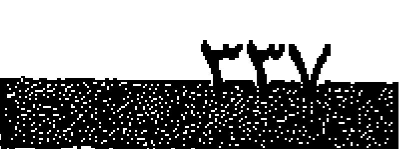
ملحق

تقييم كتب التفسير وكيفية استخدامها

لقد أشرنا خلال هذا الكتاب إلى أن هناك أوقاتًا ستحتاج فيها إلى الرجوع إلى كتاب تفسير جيد. ولازلنا متمسكين بأهمية هذا الأمر. فالتفسيرات الجيدة هي هبة للكنيسة شأنها شأن العظة الجيدة، أو المحاضرات الجيدة المسجلة، أو النصح الرعوي الجيد. إن غرضنا من هذا الفصل بسيط. فهو يقدم كلمات قليلة عن كيفية قيامك بتقييم كتب التفسير من حيث قيمتها الاستنتاجية، وذلك من خلال اتباع معايير معينة.

هناك سبعة معايير على الأقل للحكم على كتب الشرح. وهذه المعايير تختلف من حيث نوعها كما من حيث أهميتها؛ لكنها جميعها تتضافر لتساعد في أمر واحد يتمثل في هذا السؤال: هل يساعدك كتاب التفسير على فهم ما قاله النص الكتابي فعليًا؟

إن المعيارين الأولين هما في الأساس معلومات تحتاج أن تعرفها عن كتب التفسير.



١ هل التفسيرات استنتاجية أم وعظية تأملية، أم الأمران معًا؟ إن ما يهمك في التفسيرات هو التفسير الاستنتاجي. وإن كانت كتب التفسير تتضمن بعض الاقتراحات التطبيقية، فقد تكون مفيدة لك. ولكن ما تحتاجه فعلاً هو أجوبة على أسئلتك المتعلقة بالمحتوى، لأن طبيعة هذه الأسئلة استنتاجية في الأساس.

٢ هل الكلمات مبنية على النص اليوناني أو النص العبري أم على ترجمة بلغة أخرى معاصرة؟ ليس سيئًا أن تكون الكتب مبنية على ترجمة – شريطة أن يكون المؤلف ملمًا بالنصوص في لغتها الأصلية – وأن يستخدم هذا الإلمام كمصدر حقيقي لشروحاته وتعليقاته. انتبه جيدًا إلى كونك تقدر أن تستخدم معظم الشروحات المبنية على النص اليوناني أو العبري، حتى وإن كان هذا يعني عدم إمكانك أن تقرأ الكلمات اليونانية أو العبرية المقتبسة. فعادة لا ينتج عن ذلك سوى خسارة بسيطة جدًا.

أما المعيار التالي فهو الأكثر أهمية، ولعله النقطة الأولى التي تبدأ بها تقييمك.

٣ عندما يحمل النص أكثر من معنى واحد محتمل، هل يقوم المؤلف بمناقشة كل المعاني المحتملة، وتقييمها وإبداء أسباب اختياره؟ فعلى سبيل المثال أعطينا في الفصل الثاني إيضاحًا من كورنثوس الأولى ٧: ٣٦ حيث يحمل هذا النص ثلاثة معان مختلفة على الأقل. تبقى الشروحات ناقصة إلى أن يقوم المؤلف بمناقشة الاحتمالات الثلاثة، مع تقديم الحجج المؤيدة والمعارضة ثم تعليل اختياره.

المعايير الأربعة التالية هامة إذا كنت ترغب في نيل كل المساعدة التي تحتاجها.

٤ هل يناقش المؤلف القضايا الحرجة من جهة النص؟ لعلك سبق وتعلمت أهمية هذا الأمر في الفصل الثاني.

٥ هل يناقش المؤلف الخلفية التاريخية لفكرة النص في المواضع البارزة؟

٦ هل يوفر المؤلف معلومات عن المصادر والمراجع الهامة لكي يمكنك من متابعة البحث إذا رغبت في ذلك؟

٧ هل تقدم مقدمة كتاب التفسير معلومات كافية عن القرينة التاريخية لتمكينك من فهم مناسبة كتابة ذلك السفر؟

لعل أفضل طريقة لمعرفة كل ذلك هي اختيار أحد أصعب النصوص من أحد أسفار الكتاب المقدس ورؤية مدى فائدة كتاب التفسير في إعطائك معلومات وأجوبة على أسئلتك، وبخاصة مدى إجادة مناقشة كافة المعاني المحتملة. قد يستطيع الشخص أن يقيم فائدة شروحات ما من كورنثوس الأولى، على سبيل المثال، وذلك بملاحظة كيفية معالجة المؤلف للعدد ١١: ١٠ أو ٧: ٣٦ وأما عن الرسائل الرعوية، فانظر معالجة المؤلف للعدد تيموثاوس الأولى ٢: ١٥، ولسفر التكوين فإن الآية ٢: ١٧ تصلح لأن تكون امتحانًا. ولسفر إشعياء فإن الآيات ٧: ١٤-١٧ قد تفي بالغرض. وهكذا.

بالطبع يعتمد الحكم النهائي على مدى قدرة المؤلف على جمع كل معلوماته من أجل فهم النص وفق قرينته. ولكن قبل أن نختتم حديثنا عن كتب التفسير، دعونا نكرر هذه الحقيقة:

لا تبدأ دراستك للكتاب المقدس بكتاب شروحات.

باستطاعتك الرجوع إلى كتب التفسير بعد أن تكون قد قمت بعملك أنت، والسبب في احتياجك في النهاية إلى كتاب شروحات هو لإيجاد أجوبة على أسئلة

المحتوى التي برزت أثناء دراستك. وفي الوقت نفسه، فإن الشروحات ستنبهك إلى أسئلة أخفقت في طرحها ولكن ربما كان عليك طرحها.

أخيرًا عليك الانتباه لأن كتاب التفسير الجيد ليس هو ذلك الذي يتطابق مع وجهات نظرك اللاهوتية. فأنت لا تبحث عن الخلاصة التي ينتهي إليها كتاب الشرح بقدر ما تنظر لفائدته.

مكتبات دار الكتاب المقدس

المدينة	العنوان	التليفون
القاهرة:	٧٤ ش الجمهورية	تليفون
	١٣٨ ش الترعة البولاقية	١٩٢٥٠
	١ش على فهمي الزناتي-هليوبوليس	
الأسكندرية:	٢ ش البوستة - المنشية	للقاهرة
	٢٤٠ ش خالد بن الوليد	والوجه
طنطا:	شارع أحمد ماهر أمام مجلس المدينة	
المنصورة:	٢٣ ش المختلط أمام المدرسة الثانوية بنات	البحري
بني سويف:	٤٦ ش سعد زغلول أمام كنيسة مارمرقس مقبل	ت: ٢٣٥٣٥٣٨
المنيا:	عمارة برج القصر - ش ابن خصيب	ت: ٢٣٥٠٦٦٥
أسيوط:	١٥ ش الجمهورية أمام عمارة حشكل	ت: ٢٣١٨٦٨٠
	دير السيدة العذراء المحرق ت: ٢٥٩٠٤٨٠	داخلي ٥٥٥
سوهاج:	شارع ١٥ (النصر) أمام محلات لطفي	ت: ٢٣٢٩٠٤٧
الأقصر:	٢٧ شارع كليوباترا	ت: ٢٣٨٨٠٩٠

www.darelketab.org







ISBN-13: 978-977-230-339-7
9 789772 303397